الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
- قسنطينـــــة-

كلية أصول الدين والشريعة
الإسلامية والحضارة
قسم: العقيدة ومقارنة الأديان

الرقـــم:.....

موضوع البحـــث:

قضية الخلق في القرآن الكريم
دراسة مقارنة بالنظريات العلمية الحديثة

بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه دولة في مقارنة الأديان

إعداد: الطالب/العربـــــي بن الشيخ

إشراف:أ.د/عبد المجيـد عمرانـــي

أمام أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د. رابح دوب	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة	رئيسا
أ.د.عبد المجيد عمراني	أستاذ التعليم العالي	جامعة حاج لخضر باتنة.....	مقررا
أ.د.جمال ميموني	أستاذ التعليم العالي	جامعة منتوري قسنطينة.....	عضوا
د.صالح نعمان	أستاذ محاضر.....	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة	عضوا
د.محمد بو الروائح	أستاذ محاضر.....	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة	عضوا
* جمال بوناح	أستاذ.م.م.د.....	جامعةمنتوري قسنطينة.....	مدعوا

السنة الجامعية:1426 / 1427 هـ الموافق
2005 / 2006م.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	ا
إشكالية البحث	ج
أهمية البحث.....	د
أهداف البحث	هـ
أسباب اختيار موضوع البحث.....	هـ
مكانة البحث من الدراسات السابقة	و
أهم الصعوبات في البحث	ز
تحديد بعض المفاهيم	ز
مفهوم خلق.....	ز
مفهوم النظرية	ح
الفصل الأول: أهمية الخلق في الأديان والمذاهب.....	1
المبحث الأول: أهمية الخلق في الأديان السابقة للإسلام.....	3
المطلب الأول:قضية الخلق في الأديان الوضعية.....	4
أولا: دور الكهنة والمنظرين في توجيه مفهوم الخلق.....	4
ثانيا: أهمية الخلق في الأديان والمذاهب.....	5
ثالثا: طبيعة أديان الشرق الأقصى.....	10
رابعا: قضية الخلق في أديان الشرق الأقصى.....	11
ا-أديان الهند.....	11
ب- أديان الصين واليابان.....	13
خامسا: قضية الخلق في أديان الشرق الأوسط	14
أ- أساطير الخلق في الديانات السامية.....	15
ب- أسطورة الخلق عند قدماء المصريين.....	17
المطلب الثاني:قضية الخلق في الأديان السماوية	19
مفهوم الخلق في الأديان السماوية.....	19

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الرواية الأولى..... 20
الرواية الثانية..... 21
المبحث الثاني:مفهوم الخلق في المذاهب الفكرية والإسلام..... 23
المطلب الأول: مفهوم الخلق في المذاهب الفكرية 24
أولا: المتكلمون..... 24
1- نظرية الكمون..... 25
2- نظرية الخلق المستمر..... 27
ثانيا: قضية الخلق عند الفلاسفة..... 28
ثالثا: قضية الخلق في الأوساط العلمية..... 35
المطلب الثاني: مفهوم الخلق في المنظور الإسلامي..... 42
أولا- التأهيل للبحث..... 42
ثانيا- قواعد استعمال الكشوف العلمية في بيان نصوص الوحي 44
ثالثا- أهم المصطلحات المستخدمة في القرآن الكريم..... 47
رابعا: مراتب الخلق..... 51
1- الخلق من العدم..... 51
2- الخلق من شيء..... 51
3- الخلق المستمر..... 51
الفصل الثاني:خلق السماء ومكوناتها..... 53
المبحث الأول:المخلوقات السابقة على خلق السماء..... 55
المطلب الأول:الـــمـــاء العرش والكرسي..... 56
أولا:الـــمـــاء..... 56
ثانيا: العرش..... 60
ثالثا:الكرسي..... 66
المطلب الثاني:القلم واللوح..... 70
أولا:القلم..... 70

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا:اللوح..... 76

المبحث الثاني :خلق السماء ومكوناتها..... 79

المطلب الأول: المادة الأصلية التي خلقت منها السماء..... 80

أولا :المادة الأصلية للسماء..... 80

ثانيا: فتق السماوات إلى سبع سماوات ومفهوم العدد سبع..... 83

1- فتق السماء عن الأرض..... 85

2- معاني السماء..... 87

ا-جهة الفوق والعلو..... 87

ب-المطر والسحاب..... 88

ج- مصدر رحمة ونقمة..... 88

د- السماء رمز الوحدانية..... 89

هـ-السماء جرم مستقل..... 91

ثالثا:خلق النور والظلام 100

المطلب الثاني:خلق مكونات السماء..... 105

أولا: خلق النجوم والسحب السديمية..... 106

1- ولادة النجوم والسحب السديمية..... 110

2- أوضاع النجوم..... 115

أ- النجوم الأحادية..... 115

ب- النجوم المزدوجة..... 115

ج- الحشود النجمية..... 116

3- موقع الشمس..... 116

1- النظريات العلمية الحديثة في نشوء الشمس..... 119

* النظرية السديمية..... 120

4- نهاية النجم..... 121

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: خلق الكواكب والأقمار والمجموعات..... 123
1-النظريات الفلكية في نشوء المجموعة الشمسية..... 124
ا- النظرية السديمية..... 126
ب – نظرية الكويكيات : *planetesimal theory* 127
ج- نظرية المد الغازي..... 128
د-نظرية انفجار السوبرنوفا..... 128
2- النصوص القرآنية..... 129
ثالثا- خلق الأقمار..... 131
1- نظريات تكوين القمر وتشكيله..... 131
2-القمر في نصوص الوحي..... 133
الفصل الثالث:خلق الأرض ومراحل تكوينها 136
المبحث الأول:خلق كوكب الأرض..... 138
المطلب الأول: مصدر الأرض وشكلها..... 139
أولا: تعريف الأرض..... 139
ثانيا- خلق الأرض..... 141
ثالثا- مفهوم الأرض..... 140
1-الجرم..... 144
2- الحيز أو الموطن..... 146
3- شكل الأرض..... 147
المطلب الثاني:نشوء القارات..... 154
1- تعريف القارات..... 154
2- ورودها في القرآن..... 154
3-تطور شكل الأرض..... 156
4- تركب الكرة الأرضية من طبقات..... 159
الطبقة الغرانيتية..... 159
الطبقة البازلتية..... 159

طبقة الموهو..... 160
الطبقة الساترة..... 160
النواة..... 160
5- التضاريس..... 162
المبحث الثاني: تشكل الغلاف الجوي والظواهر الطبيعية..... 166
المطلب الأول: تركيب الغلاف الجوي..... 167
أولا- تعريف الغلاف الجوي..... 167
1- شكل الغلاف الجزي..... 168
أ-الطبقة الأولى الغلاف الداخلي..... 169
الطبقة المتغيرة: وتسمى بالترويوسفير..... 169
طبقة التروبوبوز ***topropose*** 169
-طبقة الستراتوسفير: ***stratosphère***..... 170
طبقة الميزوسفير..... 170
طبقة الأيونوسفير: ***Ionosphere*** 170
ب-الطبقة الخارجية ***exophere***..... 170
2- تركيب الغلاف الجوي..... 170
3-وظيفة ودور الغلاف الجوي..... 172
أ-توفير غازات التنفس..... 172
ب- حماية الأرض..... 173
المطلب الثاني: الظواهر الطبيعية..... 176
أولا- تعريف الظاهرة..... 176
01-نشوء المسطحات المائية..... 177
02-ظاهرة التساقط..... 181
3- ظاهرة الرياح..... 184
الفصل الرابع: خلق الكائنات الحية والإنسان..... 190
المبحث الأول:خلق الكائنات الحية..... 192

المطلب الأول: خلق الكائنات الغيبية(الملائكة والجن)..... 193
أولا- الملائكة:..... 194
ثانيا: الجن 201
المطلب الثاني: خلق الكائنات الحية المحسة (النباتات والحيوانات)..... 208
أولا- الكائنات الحية النباتية..... 208
ثانيا- الكائنات الحية الحيوانية..... 213
1-مشكلة انبثاق الحياة..... 213
المبحث الثاني: خلق الإنسان..... 222
المطلب الأول: خلق آدم (أول إنسان)..... 223
أولا- تعريف الإنسان..... 223
ثانيا- البنية الجسدية للإنسان..... 224
ثالثا- خلق آدم في القرآن..... 227
1- خلق هيأة الإنسان لا على صورة أو مثال سابق..... 227
2- خلق جسد آدم من طين الأرض..... 228
3-خلق نسل آدم..... 229
رابعا- خلق آدم في الفكر البشري..... 229
1-نظرة بعض المفكرين الإسلاميين..... 230
2-نظريات التطور..... 233
أ- لامارك..... 233
ب- داروين..... 234
المطلب الثاني: تخليق بني آدم..... 239
أولا- مراحل النطفة..... 239
ثانيا- مرحلة الجنين..... 239
الجهاز التناسلي الذكري..... 242
الجهاز التناسلي الأنثوي..... 244
ثالثا- مراحل الجنين في القرآن والعلم..... 244

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-المرحلة الأولى..... 245
2- المرحلة الثانية..... 247
3- المرحلة الثالثة..... 247
4- المرحلة الرابعة..... 248
5- المرحلة الخامسة..... 249
الخاتمـــــــــــة..... 253
ملخص البحث..... 255
ملخص البحث باللغة الأجنبية..... 258
فهرس الآيات..... 262
فهرس الأحاديث والأثار..... 269
قائمة المراجع باللغة العربية..... 271
قائم المراجع باللغة الأجنبية..... 281
فهرس المواضيع..... 283

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة

سلك الناس عدة مسالك واستعملوا وسائل وطرقا كثيرة في التدليل على قناعاتهم بمعتقدات الأديان التي يدينون بها لتقعيدها وترسيخها في تصوراتهم أولا، ثم عرضوا عقائدهم على منوال تلك القناعات لغيرهم أثناء دعوتهم لاعتناق أديانهم وإتباع مذاهبهم.

لكن الاحتكاك بين الملل والمذاهب ولّد تحديات في شتى المجالات وفي جميع الاتجاهات، مما زاد المنظرين نشاطا وبذلا في توصيل أفكارهم ومعتقداتهم إلى الأتباع وغيرهم، والرد على كل ما يشكك في هذه المعتقدات.

أتخذ هؤلاء أعظم القضايا الهامة للإنسان، ألا وهي قضية الخلق التي ما وجد دين أو مذهب في الفلسفة والفكر إلا وعالجها بحسب ما يبرر مواقفه، ويحدد نظرته تجاه مصدر الإنسان ومصيره، لكي يبين وظيفته، ودوره في المنظومة العقدية والشرعية الموجهة لسلوكيات الفرد والجماعة في نوع الإنسان.

جاءت الأديان الوضعية والسماوية متزاحمة ومتنازعة في تقديم المعارف حول عملية خلق الكائنات وكيفية صدورها إلى الوجود، لكلٍ مسوغاته الخاصة للتدليل على قناعاته في ذلك الجانب، ثم ظهر التطور العلمي في شتى المجالات، فكان له دور كبير في محاولة كشف الكثير من أسباب الظواهر التي عجز الإنسان عن التوصل إليها، أو تصليح ما كان متعارفا عليه بصيغة برهانية عقلية، وتطبيقية منضبطة لا تقبل النقض في العديد منها، لكن قد تقبل المواصلة في التدقيق والإضافة والتطوير.

ومع ذلك جاء الباحثون بفرضيات ونظريات تحمل تصورات عن قضية الخلق ناجمة من معتقدات نابعة من أديانهم التي دانوا بها، إلا أن مصدر المعرفة الصادقة - وهو نصوص الوحي في القرآن، والحديث النبوي الصحيح - في الدين الإسلامي وردت فيه نصوص تحمل أخبارا عن قضية الخلق، فصلت بعضها مثل تخليق الإنسان بواسطة التوالد المعروف،

وأجملت الخبر في بعضها الآخر كخلق الكائنات الحية الغيبية والمحسة، واستعمل الوحي مصطلحات خاصة لكل خلق وإيعاز ذلك لقدرة الله سبحانه وتعالى.

ذهب المفسرون مذاهب متعددة في بيان مفهوم مصطلحات ودلالات نصوص الوحي، فأحدث ذلك إشكالا مهما في تخريج المعاني مما ورد في الوحي لدى المسلمين، لكن مضمون هذه المصطلحات يحمل في طياته دلالات تستوعب قابلية المستوى الثقافي ومواكبة المستوى العلمي المتطور لدى الإنسانية، فجاءت المادة الدينية محملة بقواعد لضبط ذلك التطور حفظا للمنهج الديني من الحيود ونبذ المفاهيم الدخيلة، فتطلب الأمر في البحث لعرض أهم المفاهيم الواردة في ملل المجتمعات، ودراسة مقارنة بين مفهوم الوحي والطرح العلمي الحديث.

لقد اتبع في البحث المنهج التاريخي والمقارن، التاريخي أُعتمد فيه ما حملته آثار القدماء وكتبهم المقدسة للنظر في مستوى تصور تلك المجتمعات في قضية الخلق، وهذا يعين على تأصيل الكثير من الآراء والفرضيات السابقة واللاحقة.

أما المنهج المقارن طبقت فيه مقابلة مفاهيم نصوص الوحي مع غيرها من النظريات والفرضيات والقوانين العلمية الواردة في هذا المضمار لتسهيل عملية تخريج أوجه الشبه والموافقات والاختلاف فيما بينها، ومن خلال ذلك تتبين عدة نتائج أهمها وضوح التطور العلمي الذي حث عليه الدين الإسلامي لتسخير المخلوقات للإنسان.

بناء على ذلك صممت خطة دراسة موضوع قضية الخلق في القرآن الكريم دراسة مقارنة بالنظريات العلمية الحديثة في أربعة فصول:

الفصل الأول:أشتمل على مفهوم قضية الخلق عند الأديان السابقة للإسلام من أديان وضعية تعددية وأديان سماوية، وبيان دور طبقة الكهنة في وضع أساطير تفسر كيفية خلق الكون والإنسان، وتصورات المنظرين من أصحاب المذاهب الفكرية والعلمية والفلسفية في وضعهم لكيفية صدور الكائنات إلى الوجود، وكذلك اهتمام الدين الإسلامي بهذه القضية حيث

أستخدم لها مصطلحات وألفاظ خاصة لإعطاء كل مرحلة منها تصويرا خاصا وحث على مواصلة البحث في مجال التعرف على الموجودات، وجعل ذلك من الإيمان والعلم.

الفصل الثاني: تضمن ترتيب المخلوقات ورتب الخلق، وقد أورد القرآن المخلوقات السابقة على خلق السماوات، وبين تخليقها تم من مادة أصلية. ثم عرض ذكر الكائنات العظيمة التي تتركب منها السماء أو التي توجد فيها وتكوّن ظواهر مهمة مع المقارنة بالنظريات العلمية.

الفصل الثالث: قد احتوى على دراسة نصوص الوحي التي تناولت خلق الأرض وأقسامها وما يحل فيها من ظواهر طبيعية وعلاقتها بتأهيل البيئة التي يحي فيها الإنسان ومقارنة ذلك بالكشوف العلمية المختصة بهذه الظواهر.

الفصل الرابع:جاء في هذا الفصل ذكر الأحياء الغيبية من ملائكة وجن وأحياء محسة من نبتات وحيوانات والإنسان وظاهرة انبثاق الحياة على وجه الأرض وكيفية تخليق الأفراد لتكاثر النوع بالتعرض لمراحل الجنين البشري والمصطلحات المستخدمة فيها وما ورد عن ذلك في نصوص الوحي والكشوف العلمية.

خاتمة: احتوت على أهم نتائج البحث.

إشكالية البحث:إن أكبر إشكالية في موضوع قضية الخلق في القرآن الكريم دراسة مقارنة بالنظريات العلمية الحديثة تكمن في تحصيل المعارف الخاصة التي توضح بعض جوانبها، وكذالك مفاهيم المصطلحات التي استخدمها القرآن الكريم لبيان معنى الخطاب الموجه الذي تضمن صورا مجملة، كما يمكن أن يطرح هذا الإشكال في بعض الأسئلة التالية:

1- كيف صدرت الكائنات إلى الوجود؟

2- **هل يمتلك الإنسان القدرة الكافية لاستيعاب وتصور كيفية الخلق من لا شيء ثم التخليق من شيء سابق؟**

3- **هل غطت نصوص الوحي جميع جوانبها؟**

4- **أيكفي ضرب مثال بمخلوق عن بقية الخلائق؟**

5- ما مدى مطابقة الكشوف العلمية لحقيقة الواقع؟

6- تحديد مدى توصل الإنسان إلى تحليل الظواهر الطبيعية التي يتكون منها المحيط؟

7- توالي الكشوف وتعدد الفرضيات والنظريات المختلفة أدى إلى ظهور تحديات وإثارة مواقع متجددة للبحث باستمرار؟

8- بيان مفهوم النصوص المحملة لعملية الخلق يحتاج ويتطلب لمعارف متعددة في مختلف التخصصات والإطلاع على أقوال الباحثين السابقين ؟

9- هل يمكن تخليص نتائج الباحثين من المؤثرات التي توجه خلاصات مباحثهم؟

10- ما هي الأجوبة التي تكون مقبولة في النفس ومستساغة في العقل لا تنافر بينها وبين المعقول والممكن، وفي الوقت نفسه تشبع وتسد حاجة التطلع لمعرفة أهم ما يحث همة الإنسان إلى التعرف عليه، وخاصة جواب الأسئلة النابعة من كيانه الداخلي والخارجي، ويتلخص ذلك في التساؤلات الأتية:- ما هو مفهوم الخلق في الأديان الوضعية القديمة والسماوية السابقة للإسلام، وكيف عالج الإسلام هذا المفهوم؟

- كيف رتبت المخلوقات وما هو المنشأ الأصلي للسماوات وتعريفها ومكوناتها في نصوص القرآن مقارنة بالفرضيات والنظريات العلمية؟

- ما هي مفاهيم نصوص القرآن في كيفية خلق الأرض، وما تحويه من الظواهر الطبيعية، وكائنات حية غيبية وحسية، وما مدى التوافق مع الكشوف العلمية في دراسة انبثاق ظاهرة الحياة، وخاصة ما يخص ظهور الإنسان؟

أهمية البحث: تبرز أهمية موضوع البحث في آثاره على تصور أهم قضية محفزة لهمة البحث عند كل إنسان، ورسم نظرته للحياة داخل منظومته الثقافية والحضارية؛ بل تتحكم في توجيه سلوكياته تجاه غيره من المخلوقات في البيئة والمحيط الذي يحويه ونظرا لهذه القيمة يمكن تلخيص الأهمية في نقاط:

1- التعريف بقضية الخلق.

2- تلخيص أساطير الأديان الوضعية في ذلك.

3- أطروحة أهل الكتاب وعلاقتها بالفكر الأسطوري.

4- تحديد الخرافات التي تبناها بعض الخائضين.

5- بيان أسباب الحيود عن مقاصد الوحي.

6- معرفة المصطلحات والرموز المستعملة في الوحي وغيره في جانب قضية الخلق.

7- الكشف عن حقائق واقعية دقيقة تنبه عن عظمة الخالق.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

8- بيان التطور العلمي في الكشف عن مكنونات الوحي وإضافة دراسة أكاديمية جديدة في الموضوع.

أهداف البحث :

الهدف من هذه الدراسة في موضوع قضية الخلق في القرآن الكريم ومقارنته بالكشوف العلمية وما نتج عنها من نظريات وفرضيات؛ هو تحديد مدى تطابق بعض وجه الكشوف مع معان من معاني النصوص، ثم تحديد ما يمكن تحديده من مفاهيم في هذه القضية المحورية في فكر الإنسان وثقافته، ومحاولة التوصل لنتائج حيادية حرة من أي توجيه؛ لأن مراد الخطاب من نصوص الوحي في الدين الإسلامي هو الانطلاق في البحث دون تقييد، ليتوصل إلى حقيقة النواميس المتحكمة في الظواهر الطبيعية وذاك هو عين مفهوم النص، أو وجه من معانيه وهي هدف الدراسة من البحث.

أسباب اختيار موضوع البحث:

توجد أسباب ذاتية وأخرى موضوعية أهمها:

1- من الدواعي الذاتية التي دفعتني إلى خوض هذا الموضوع التضارب الحاصل بين البحوث -التي يتظاهر منجزوها بحيادية البحث، على أن النتائج الحاصلة قوانين محكمة- وبين مفاهيم النصوص القرآنية في بيان قضية الخلق.

2- بحكم تخصصي في علمي الأحياء النباتية وأمراض النباتات وخاصة الأحياء الدقيقة الفطرية السامة وغير السامة، إن التدافع في صفات هذه الكائنات الحية وتفاعلها مع عناصر البيئة كان أكبر باعث للبحث.

3- الدراسات التي تناولت موضوع البحث كرست جانب الإعجاز والتوكيد على الانبهار بفوت القرآن للعلم الحديث في ذكر لحالة، أو لمخلوق، أو بيان سبب لظاهرة فأدى ذلك إلى توقيف بعض المعاني لنصوص جامعة، أو تحميل ما لا يحتمله النص.

4- شطط بعض الباحثين الإسلاميين في تفسير نصوص الوحي بأقوال الفرضيات والنظريات القابلة للتصويب بمرور الزمن.

5- أغلب النظريات الواردة في خلق الكائنات الحية كانت تجديدا لمعتقدات وأساطير في أديان وثنية سابقة مثل الطوطمية.

6- ورود معظم الفرضيات التي تنسب للعلم الحديث في بحوث الباحثين المسلمين القدماء مستعملة في غير مواردها التي وضعت فيها حديثا.

مكانة البحث من الدراسات السابقة:

لقد سبقت هذا البحث دراسات تناولت موضوع البحث في عدة صور أهمها ما كان في جانب بيان الإعجاز في القرآن والسنة، ، من القدامى الفارابي في كتابه المدينة الفاضلة، والغزالي في كتابه التفكر في خلق الله، والقزويني في كتابه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، وابن أبي الدنيا في كتابه المطر والرعد والبرق، والدميري في كتابه حياة الحيوان، والمفسرون في تفاسيرهم للقرآن مثل البيضاوي، وابن كثير...الخ؛ لكن المحدثون تعرض كل منهم باحث في دراساته لجوانب دون أخرى، كما كانت نتائج بعض هذه البحوث توفيقية بين مفاهيم الفرضيات ومعاني النصوص القرآنية. وأخرى توفيقية أوقفت دلالات نصوص الوحي على مفاهيم الفرضيات واعتبرها هي الحقائق الثابتة التي قصدها الوحي في خطابه.

من بين هؤلاء عبد الكريم الخطيب الذي فسر نصوص القرآن الخاصة بقضية الخلق على غرار نظريات التطور التي قال بها داروين ودي لامارك؛ حيث وقّف مفهوم نصوص الوحي على مفهوم الفرضيات تماما في كتابه التفسير القرآني للقرآن، وفي كتابه قصتا آدم ويوسف، وكذلك الشأن بالنسبة لمحمد جمال الدين افندي ومحمد يوسف حسن في كتاب قصة السماوات والأرض إذ لم يكتفيا بعرض افتراضيهما على التوافق بين نظريات التطور ومدلول النص القرآني؛ بل قاما بالتدليل على ذلك ونفي ما يخالف رأييهما.

كما نجد في المقابل باحثين على قدر كبير من الوعي والفهم في محتويات تلك الفرضيات ومحتوى نصوص الوحي، فجاءت بحوثهم في موضعها من منحى ومسار البحث العلمي الذي زكاه الوحي، فبينوا الأوجه المتقاربة والأوجه المتنافرة. مثل منصور حسب النبي في كتابه الكون والإعجاز العلمي، وعبد العليم عبد الرحمان خضر في كتبه مثل كتاب الإنسان في الكون بين القرآن والعلم وكتاب الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن...الخ؟

وقد جاءت دراسة موضوع: قضية الخلق في القرآن الكريم دراسة مقارنة بالنظريات العلمية الحديثة حلقة من حلقات البحوث تربط بين نتائج بحوث سابقة وأخرى لاحقة.

حيث جاءت الدراسة متممة في بعض الجوانب، وعارضة لمسائل تحتاج بحثا متجددا، لبيان الضوابط المحددة للتصورات الصحيحة، والمعبرة عن حقيقة الدلالة لمفهوم نص الوحي، وللكشف العلمي، وذلك بالتوصل إلى ضوابط تحدد مدى الاستشهاد بنتائج بعض الفرضيات والنظريات في بيان وجه من وجوه المعاني التي تضمنتها ألفاظ النص وسياقه، مع بقاء المعنى الجامع والمطلق قائم في نصوص الوحي.

أهم الصعوبات في البحث:

لا يخلو بحث من صعوبات وعوائق، لكن في هذا البحث كانت خاصة تابعة لطبيعة الموضوع يمكن تلخيصها فيما يلي:

1- توزع أجزاء الموضوع في صورة جزئيات في مصادر مختلفة التخصصات.

2- تعدد لغات المراجع وخاصة فيما يتعلق بالنظريات والفرضيات.

3- كثير من النظريات التي تنسب للعلم الحديث كفرضيات التطور نجدها عند القدماء من الباحثين المسلمين مستعملة في غير ما هي مستعملة فيه حديثا.

4- النقد الموجه للنظريات مختلط بين التأييد وتبني الرأي وبين القدح في جوانب أخرى مما يجعل الباحث يستغرق وقتا طويلا في محاولة الوصول لفرز واضح وجلي حتى يحدد مجالات النقد.

5- صعوبة استيعاب معاني النصوص بدقة لوجود معلومات سابقة تؤدي إلى تشويش في توضيح المفهوم.

6- وجود الكثير من الآراء الأسطورية في أغلب تفاسير القرآن والسنة يعسر تخريج مفهوم محدد منها.

تحديد بعض المفاهيم:

1- مفهوم خلق:

معناها قدر، يقال خلق الأديم إذا قدره قبل القطع. وفي هذه الدلالة قال تعالى(وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي) (110 المائدة) الخلق الذي قام به سيدنا عيسى عليه السلام هو تفصيل كتلة الطين في شكل طائر، أما بث الحياة في هذه الكتلة سر من الأسرار الإلهية جعله الله معجزة لنبيه وذلك ليقرب إلى أذهان الناس عملية خلق، أو التقدير التي تمت بواسطة بناء الصورة من المادة الخام، لأن هذه العملية يمكن

تصورها بإتيان مثل عليها بينما بث الحياة فهو أمر فيه إعجاز ولأن المثل لا يطابق المثل من جميع الوجوه كما قال صاحب القاموس المحيط: "ولو تماثل المثلان من كل الوجوه لاتحدا وعلى هذا لا يكون قرب التمثيل من الحقيقة كقرب الأرداف لما بين لفظي الأرداف والحقيقة من القرب". ولفظ خلق يتضمن إبداع الشيء لا على مثال سبقه، أبدعه الخالق من عدم، ومنه وصف الله بالخالق لشمول هذا اللفظ على دلالات عملية النشوء وإخراج الكائنات للوجود، ولقد ورد هذا المصطلح في القرآن الكريم **176** مرة على أوجه تصريفه منها 83 مرة في صورة خلق، كما وردت عدة مرادفات له، أهمها: برأ، وبث، وبدأ، وأخرج، وصور، وأبدع، وحي، ونشأ، وجعل، وبعث، ونشر، وفطر، ورفع، ومد، وسوى، وكن، وأنزل، وأنبت، وأمسك...الخ.

2- مفهوم النظرية:

هي معرفة تدل على موضوع متناسق منظم قد تكون النظرية تثبت ببرهان يربط النتائج بمباديء. فإذا جاءت عملية دلت على معرفة يقينية خالية من الظن والافتراض لأنها تطبيقية في الواقع فهي لا تقبل النقض أو قد تطوّر بواسطة الوسائل إلى تصور أدق.

كما يمكن أن تكون النظرية معيارية في التحقيق عن مطابقة الواقع الطبيعي في مجال المباحث العلمية التطبيقية، كما يمكن أن تطلق على رأي عالم في مجال معين فهي هنا قد تدل على تركيب عقلي يهدف إلى تفسير ظاهرة من الظواهر الطبيعية أو الاجتماعية.

سواء كان صاحب الفرضية متقدما أم كان من المعاصرين، فالعبرة بالإنجازات العلمية لا بتأريخها وعلى تلك المعايير تم إنجاز هذا البحث.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

أهمية الخلق في الأديان والمذاهب

المبحث الأول: أهمية الخلق في الأديان السابقة للإسلام

المطلب الأول:الخلق في الأديان الوضعية

المطلب الثاني: الخلق في الأديان السماوية

المبحث الثاني: مفهوم الخلق في المذاهب الفكرية والإسلام

المطلب الأول: مفهوم الخلق في المذاهب الفكرية

المطلب الثاني: مفهوم الخلق في المنظور الإسلامي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة الفصل

أكبر قضية تشغل بال الباحثين، وتحفز همة البحث والتفكير عندهم هي قضية الخلق، لأنه من خلال نتائج البحث فيها يتم تحديد مصدر المخلوقات، والإنسان، وبذلك يستطيع الإنسان معرفة الغاية من وجوده، ومصيره، وهذا التساؤل مطروح في كل فكر ودين، وعلى مفهومه تأسست القواعد الفكرية، والعقدية في مناهج كل الأديان والتيارات الفكرية وكل يعطيها تفسيرا حسب معتقداته حيث يبنى عليها جملة القضايا العقدية التي تخدم اتجاهه. لقد عرفت قضية الخلق والوجود منذ وجد الإنسان لأنها تعالج وجوده والهدف من حياته وهكذا أصبحت مشكلة "الوجود" أو تحليل "الوجود" أو تعليل الوجود هي البداية لكل منطلق فكري وهي الانطلاق الفلسفي في فكر كل فيلسوف، وشوهد أنه ما من مفكر يريد أن يدلي بمذهب في الفلسفة إلا وقد اتخذ "الوجود"حاويا لأفكاره منطلقا لتأصيل مذهبه أو التأسيس عليه، وبالنظر في الاتجاهات العقدية يتضح أنها تصنف إلى اتجاهين: الأول يعتقد أتباعه بعدم وجود خالق أول ويوعزون عملية الخلق إلى ما توصلت إليه عقولهم وتصوراتهم. والثاني: يعتمد في تفسير عملية الخلق على أخبار الوحي ونصوصه، وهو رأي أتباع الأديان السماوية وحديثا استخدمت المعارف العملية في البرهان والتدليل على المعتقدات الموروثة.وقد قسم هذا الفصل لمبحثين:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول

أهمية الخلق في الأديان السابقة للإسلام

المقصود بالأديان السابقة للإسلام جميع ما سبق ظهور الدين الإسلامي من أديان وضعية أو سماوية شاعت وسادت في شعوب أو أمم، حيث تكون قد تركت تأثيرا قويا وَجّه فكر الإنسان دهرا، قامت خلاله حضارات وثقافات متعددة، ومختلفة في منظوماتها الفكرية والعقدية مما يجعل لها آثارا مترسبة في فكر الإنسان لاحقا، وذلك يقيّد ويوجه تفكيره ولو جزئيا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول

قضية الخلق في الأديان الوضعية

أهل الأديان الوضعية هم أصحاب الأديان المبتكرة من معارف إنسانية وتشمل عدة تيارات ومذاهب فكرية بشرية لا تعترف بالوحي مصدرا للمعرفة والتشريع لدى الإنسان؛ بل اعتمدت على قوى البشر في تحديد مفاهيم القضايا الهامة للإنسان في جانب وجوده وتوجيه سلوكه الفردية والجماعية ولذلك لم يرد عندهم فكرة الله الواحد الخالق لما سواه، فجاءت تفسيراتهم منبثقة من مكونات المحيط وتفاعلات الإنسان مع عناصر بيئته، تطلب ذلك من المفكرين تلبية المتطلبات الفكرية التي تمليها القوة المخيلة للإنسان. وعلى ذلك قسم المبحث لمطلبين تعرض فيهما أفكار أكبر الفئات الممثلة لهذا الاتجاه. كانت أديان الشرق الأقصى والأوسط قديما هي مصدر الأديان والنحل لكثير من شعوب العالم.

أولا: دور الكهنة والمنظرين في توجيه مفهوم الخلق:

عجز الإنسان عن إدراك حقيقة الظواهر الكونية أدى به إلى ابتكار أساطير يستأنس بها، عند التفكر في أمرها مثل ظاهرة الخلق، مما أدى إلى الانحراف عن تعاليم الوحي عند الشعوب القديمة فاخترعت آلهة وتعبدت بها، ثم نسبت إليها ما كان معجزا للعقل البشري حينئذ.

ودوما هذه الأساطير تنشئها الطبقة التي تمثل منارة العلم والمعرفة في المجتمع؛ حيث نجد الأساطير السومرية، والمصرية والهندية أنتجتها طبقة الكهنة وهي الطبقة العالمة، المدبرة لنظام الحياة الاجتماعية، والعلمية، والدينية آنذاك[1].

وفي العصر الحديث نلاحظ مجموعة من علماء الاجتماع، والبيولوجيا أحدثت أسطورة التطور وفسروا على غرارها نشوء الحياة على الأرض، وادعوا أنها العلم بالحقيقة، وما عداها فكر غير علمي؛ لكن الناظر في هذه النظريات يرى أن لها أبعادا حضارية موروثة، فالعلماء المحدثون يرون البحث العلمي هو ذلك البحث المجرد من أي فكر ديني، لاعتقادهم أن الدين

[1] – السيد وقار أحمد الحسيني. العلوم الفلكية في القرآن الكريم. ترجمة: سمية زيتوني. دار طلاس. دمشق. ط(1996). ص:5.

أسطورة مبتكرة من قبل الإنسان[1]؛ وهذا التطور ورثوه من الفلسفات القديمة. وعلى هذا الاعتبار اتخذت مقاييس مادية صرفة في البحوث العلمية التي توصل إلى جانب من الحقيقة، وتحجب جانبا آخر يتمثل في عالم الغيب، لذا كانت نصوص الوحي مُبَيِّنَة للحدود الفاصلة بين الغيبيات، والمحسات، وأطلقت مجال البحث فيما يمكن إدراكه والتوصل إليه بواسطة النظر والعلم التجريبي، ووضعت حدا يوقف البحث فيما لا يدرك، وأنبأت أن ذلك من صفات الخالق التي لا يمكن أن يحاط بها[2]. مثل قوله تعالى: "أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ"(16الرعد). أشار النص هنا إلى النظر في الخلائق، والبحث في معرفة أنواعها وتركيبها، بأسلوب التعجيز عن البحث في سر عملية التخليق للتوصل إلى خلق مخلوق حي. وهكذا الشأن في الظواهر الكونية الكبيرة فهي تخضع لناموس يرجع لقدرة الخالق ولطفه فيه. كما حثت نصوص أخرى على البحث في ما يمكن التوصل فيه إلى نتائج منضبطة، ودقيقة محسة تدرك بالعقل والحواس، وإن تضمنت جوانب إعجاز لا يمكن إدراكها بالحواس أو العقل، مثل: المجرات، والأجرام فهي: مادة محسة، أما حدود الكون، وما وراء فذاك لا يحصره العقل ولا تحيط به الحواس للاستحالة من جانب التمكن، وعدم سعة الزمان اللازم لتحديده بالنسبةللبشر، وكذلك خلق السماء وتسويتها، وخلق الإنسان الأول من طين الأرض (آدم عليه السلام)، ثم جعل نسله سلالة منه، وخلق الحيوان مسخرا له، ومن ذلك تتجلى قيمة الخلق لدى الإنسان.

ثانيا: أهمية الخلق في الأديان والمذاهب: تعد قضية الخلق محل تقاطع معتقدات جميع الأديان والمذاهب الفكرية خلال مراحل تاريخ البشرية، إذ لا يخلص دين ولا مذهب من اتخاذ قضية الخلق أهم أصل تقوم عليه معتقداته واتجاهاته[3]: تنبني دراسة عقائد الأديان القديمة المندرسة أو

---

[1] – العقاد. عقائد المفكرين. للكتبة العصرية.طبعة (1979م). ص:49.

[2] – يوسف مروه. العلوم الطبيعية في القرآن.دار الهلال.بيروت.ط(1982).ص: 175-185.

[3] – Manzoor-I- Khuda, M,God and the science of creation. Islamic Thought and scientific creativity. Vol :2 (3)(1991) :33-47.

الموجودة على جميع الآثار التي خلفها أصحابها، من عمران، وأساطير، وقصص مروية، أو منقوشة على الأحجار أو مكتوبة[1]. ثم استنبطت معتقدات تلك الأديان اعتمادا على عملية استقراء للآثار، وقراءة النصوص المنقوشة على الأحجار وقطع الخزف في المعابد والقصور؛ لكن عند ملاحظة اللغات والحروف التي كتبت بها النصوص، لوحظ أن أغلبها مجهولة غير مستعملة لا في المنطوق، ولا في الكتابة، إنما هي رموز وألغاز قام علماء الآثار بفكها وترجمتها بمقارنة الأسماء مع المسميات والرجوع إلى اللهجات المحلية القديمة الموجودة في مكان الأثر، لاحتمال أنها من بقايا تلك اللغة. كما يوجد سقط وخرم وقعا في كثير من اللوحات الحجرية والخزفية، وفي الملفائف الجلدية وأوراق البردي[2]. وفي حالة ما تكون هذه القراءة سليمة فإنها لا تعبر إلا عن افكار ومعتقدات الطبقة المتسلطة، وتكون خالية من معتقدات وأفكار المذاهب، والأديان المقهورة السابقة، أو المعاصرة لتلك الحقبة، ومن ثم تكون دلالة تلك المعلومات على الحقائق نسبية، كما أن لتصور الباحث تأثير كبير في تفسير النصوص والأساطير المروية، مثل التجرد من عقيدة التوحيد المتعارف عليه في أوساط الباحثين يصبغ جميع المعتقدات الواردة في آثار الحضارات بالوثنية والإلحاد، كعقيدة اخناتون التوحيدية في وثن واحد (الشمس)[3]. ومثل ما ذهب إليه دوركايم في إرجاع القيم الأخلاقية إلى الوثنية: حيث" ينظر إلى التقاليد التوتمية على أنها الأصل الأول الذي يرجع إليه تحريم الزواج بين الأقارب في الإنسانية جمعاء فيقرر أنه مع تقادم العهد بهذه التقاليد تأصلت في النفوس حرمة الزواج بين الأقارب"[4] الرأي السليم أن الأخلاق، والقيم الإنسانية النبيلة في المجتمعات الإلحادية، والمتدينة أصلها الوحي، وكل الانحرافات المناهضة لها؛ ما هي إلا انحراف عن تعاليم الوحي، مثل ما حدث لأهل الكتاب

---

[1] - ابن خلدون، المقدمة. دار الفكر.ص: 4.

[2] - سبتينو موسكاتي. الحضارات السامية القديمة. ترجمة: السيد يعقوب بكر.دار الرقي.بيروت.ط(1986م). ص: 85.

[3] - ياروسلاف تشرني. الديانة المصرية القديمة. ترجمة: أحمد قدري. هيئة الآثار المصرية.ط(1987م). . ص: 50.

[4] - علي عبد الواحد وافي. الطوطمية. أشهر الديانات البدائية. دار المعارف القاهرة.ط(1959م). ص: 63.

السابقين للإسلام من صابئة، ويهود، ونصارى عندما ادخلوا فلسفات وعقائد وثنية إلى دينهم من باب الدعوة إلى التطور، ومسايرة الواقع المعيش، ما جعل الصبغة الوثنية تغلب على فكرهم وتدخل تراثهم، كما أدى الاحتكاك بين الأمم في الحرب والسلم إلى اكتساب معتقدات جديدة وفقد أخرى. لكن الإشكال لدى أتباع هذا الاتجاه يبقى قائم لعدم تجردهم من التصورات الإلحادية، وذلك لحكمهم أن الوحي من إنتاج البشر، ولم ينظروا لمضمونه بنظرة علمية دقيقة فاحصة للوقوف على الحقائق التي جاء بها. وكل ما فعلوه قالوا ما جاء به الوحي (الإسلام) من معلومات عن قضية الخلق؛ يعد مرحلة راقية في الفكر البشري، لكن تجاوزتها البحوث العلمية نتيجة لرقي الفكر، وأنه " كلما كان الإنسان أدنى في مرتبة التفكير كان تساؤله أقل عن لغز الوجود... ولكن كلما زاد وعي الإنسان اتضاحا بدت له المشكلة أعظم ما تكون. والواقع أن تلك الهمة التي تجعل ساعة الميتافيزيقا دائبة العمل دون توقف تتمثل في الفكرة القائلة بأن عدم وجود هذا العالم يستوي صحة مع وجوده"[1] وبطريقة أخرى " فقد تساءل الإنسان منذ القدم عن جوهر الوجود وأصله ومن أين أتى كل هذا الذي نراه ومن الذي خلقه، وما هو الخالق، وأين يوجد"[2] ومن هذا المنطلق وضعوا الفرضيات لتفسير قضية الخلق خلاف ما جاء به الوحي حيث لا يبحث في ماهية صدور العالم عن الخالق؛ وإنما يبين كيفية وقوعه وتركيبه ويحث على النظر في هذه الكيفية- قال تعالى: " قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (20 العنكبوت) الأمر موجه إلى البحث عن معرفة سر الوجود(وجود الكائنات كيف هي موجودة لا كيف وجدت)، وبذلك يكون البحث في الخلق عند إتباع الوحي كشفا وتنقيبا عن النواميس التي وضعها الخالق في المخلوقات لتسخيرها تلبية لحاجات الإنسان الدنيوية، وتعظيما للخالق وتوحيده، على خلاف ما يقوم به الماديون الذين نقبوا في الآثار، وبقايا المخلوقات

---

[1] – وليام جيمس. بعض مشكلات الفلسفة. ترجمة: فتحي الشنيطي. المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. القاهرة. ط(1962م). ص 41.

[2] – طالب الجنابي. نظرية التطور الداروينية خرافة علمية.دار الأضواء.بيروت.ط1(1989م). ص: 44.

القديمة ليصلوا إلى سر نشوء الحياة وبدء الخليقة، ومن ثم تصبح الأديان الوثنية والإلحاد انحرافا عن الوحي، ولذلك تظهر موافقات مع الوحي في جانب تتبع مراحل الخلق وتطور أحوال المخلوقات وظروفها البيئية، كما يظهر التباين معه في إيعاز الخلق إلى تطور وتغير الظروف وحالات المخلوقات.

كما يؤدي احتلال شعب لشعب إلى حلول ثقافة محل أخرى قديمة، وحلول لغة مكان لغة أخرى. فتغير المصطلحات ودلالتها، واستبدال الخط كأن يصبح " أحيانا حرف واحد يدل على عدة أحرف، ما كان يوقع أحيانا العلماء أنفسهم في اللبس حين يتصدون لقراءة نصوص"[1] واستخراج مفهوم حول قضية عقدية أو اجتماعية، لا يتم ذلك بمعرفة اللغة دون المعرفة بالشؤون الاجتماعية، والظروف البيئية المساعدة في الوسط، والنظم العامة لتلك الحقبة التاريخية[2] التي استخدمت فيها هذه اللغة والمصطلحات لأنه " بمقدار فهم الجماعة، وتحضرها يكون نصيب لغاتها. كذلك من وضع القواعد وفنون التنسيق والتجميل إذ اللغة ظل لحياة الأمة، ومرآة تبدوا على سطحها حال تلك الأمة وما هي عليه من قوة أو ضعف"[3] ومن جانب آخر تسخير علم الآثار الذي يقوم على أسس المنهج التجريبي في تحديد أعمار المستحثات وتعيين المركبات المادية، أزاح كثيرا من الغموض الذي يكتنف أهم القضايا الواردة في صورة روايات، أو نصوص منقوشة، وما زالت إلى حد الآن عدة أمور يثار حولها الشك. ورغم ذلك فإن محصلة المعلومات لا تفي بالغرض المنشود من المعرفة، ولذا" يرى علماء الأجناس البشرية أن الإنسان قد ظهر في صورة ما على وجه الأرض منذ نصف مليون من السنين، وأن عمره عليها قد يصل إلى مليون وأكثر... وبديهي أننا لا يمكننا أن نعلم شيئا عن الثقافة الإنسانية الأولى إلا عن طريق فحص الأشياء التي صنعها الإنسان منذ وقت. وذلك أمثال: الأدوات والأسلحة التي وجدت على الأرض ولعل مشكلة التعرف على ثقافة الإنسان

---

[1] – محمد غنيمي هلال. مختارات من الشعر الفارسي. دار الطباعة والنشر. مصر. ط(1965م).ص: 5-8

[2] – ابن خلدون.المرجع السابق. ص:9.

[3] – ربحي كمال. دروس في اللغة العربية. عالم الكتب. بيروت. ط(1982م). ص: 2.

في هذه العصور السحيقة أكثر صعوبة"[1] من الأزمنة المتأخرة، كما أن عقيدة الباحث لها أثر في تقويم ثقافة وفكر الحضارات القديمة، كعدم ورود أسماء الأنبياء في الآثار الحجرية، وعدم تفسير علماء الآثار أي ظاهرة على أساس الوحي: ومن الأهمية الإشارة إلى أن اسما قريبا من اسم إبراهيم عثر عليه مسجلا تحت اسم (أبراما) في لوحة طينية تعود إلى 1646-1626 ق.م زمن الملك العاشر للدولة البابلية[2]، هذا دليل على تداول أسماء الأنبياء وشهرتهم بين شعوبهم، وعدم ذكرهم يعود إما لقارئ النص وتفسيره له. وإما يعود إلى الصراع القائم بين أصحاب الوحي، والسلطات في الدول التي قامت خلال تلك الحقب مما أدى إلى طمس ذكر هؤلاء ليطفئوا دعواهم ومعتقداتهم، مثل ما حدث لسيدنا موسى عليه السلام؛ حيث لا نجد له ذكرا في الآثار الفرعونية على الرغم من اشتهار قصته وخطورتها في تاريخ الفراعنة، وبقي ذكر الأنبياء والوحي في الكتب المقدسة فقط، وعلى ألسن الأتباع عبر الأجيال[3]، فبقيت " أرجاء المعمورة في الأزمنة تتجاذب فيها أساطير شتى تنطوي على أجوبة غير صائبة عما يخوض فيه الناس من استفسارات"[4] عن الأمور الغيبية، وبالأخص مبدأ الخليقة وخلق الإنسان، ومصيره، ولذا نجد " البحث في الوجود عند الفلاسفة الأقدمين والأديان كان منطلقا لتأصيل مذهب أو فلسفة أو فكرة، "فهو يشبه أرض ثبات لبناء صرح فلسفة مرادة ومقصودة فاصلة، فالبحث في الوجود عند هؤلاء وسيلة وليس غاية في حد ذاته، وإنما كان لغرض الاستعانة به على الوصول إلى نظرية أو قوام فلسفة"[5]، وكل دين أو مذهب يمر بمراحل يتطور خلالها بدء من مرحلة التأسيس إلى مرحلة النضج، وأثناء هذه المراحل يواجه المنظرون تحديات ومستحدثات مما

---

[1] – وهيب إبراهيم سمعان. الثقافة والتربية في العصور القديمة. دار المعارف. مصر. ط(1969م). ص: 45.

[2] – رشيد الناضوري. المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي. دار النهضة العربية. بيروت. ط(1977م). ص: 14/3\174.

[3] –رشيد الناضوري.المرجع السابق. 169/3-174

[4] – عصام الدين حنفي ناصف. اليهودية بين الأسطورة والحقيقة. نشوء وتطور العقيدة الموسوية. دار المروج. بيروت. ط(1985م). ص14.

[5] – مصطفى غلوس، الوحودية في ميزان، مجلة: رسالة الإمام. العدد الرابع أوت 85 ص:13.

يضطرهم إلى إعادة النظر في كثير من القضايا، أو إضافة أراء جديدة مستنبطة من أديان ومذاهب أخرى، كما أن معاشرة أهل أديان مختلفة أو دخولهم في الدين الجديد يكسبه أراء ومعتقدات بواسطة تلاقح الأفكار ورسوخ المعتقدات وهذا ما يلمس في دراسة قضية الخلق عند الشعوب القديمة.

ثالثا: طبيعة أديان الشرق الأقصى:

أديان الشرق الأقصى تعد تيارات فكرية وضعية مادية قديمة.وأهنها أنكروا وجود الفاعل الأول للوجود ووضعوا قواعد يفسرون بها كيفية نشوء الخلق، وفي نفس الوقت استعملوها أدلة تثبت عدم وجود الخالق فهم لا يقولون " بإثنينية في الوجود، وإنما يحصرونه في نوع واحد فقط هو الوجود المادي المحسوس المطلق... وهو اتجاه مادي مرفوض في جميع العقائد السماوية"[1] وكل ما جاء من ذكر الآلهة فهو من عقيدة التعدد، ولم تتضمن أية عقيدة من أديان الشرق الأقصى ذكر الله، ولم يرد لديهم التوحيد في أي صورة؛ لكن أتباع الاتجاه المادي الإلحادي من الباحثين يعتقدون بأزلية المادة وأبديتها، ويفسرون نشوء الكون والمخلوقات بالتطور الذي حدث نتيجة التفاعلات بين مكونات المادة الطبيعية وخلال مراحل هذا التطور ظهر الإنسان في صورته البدائية، ثم تطور حتى وصل إلى ما هو عليه الآن؛ في بنيته الجسدية، والفكرية، وما الفكر الديني سوى مرحلة مر بها أثناء تطوره فكانت بدايتها نبعت من الطوطمية السائدة عند الشعوب البدائية "يقول دوركايم: "(إن هذا النظام [يقصد به العادات والتقاليد والدين] قد انبعث من تلقاء نفسه من العقل الجمعي...ويرى أنها تمثل أقدم ديانة إنسانية لارتباطها بأبسط تكوين اجتماعي؛ وهو تكوين العشيرة، فقد ذهب إلى أن المجتمع نفسه كان أول إله عبده بنو الإنسان)"[2]، ونظرية تطور الإنسان من حيوان فما هي إلا فكرة طوطمية نتجت عن تصور؛

1- مصطفى غلوس ،"الوجود في الميزان".مجلة:رسالة الإمام، العدد: الرابع أوت (1985). ص:13.

2- علي عبد الواحد وافي. الطوطمية. أشهر الديانات البدائية. طبعة (1959م). دار المعارف القاهرة. ص: 105.

أن بعض أفراد التوتم الحيواني أو النباتي قد تحولت إلى أناس وأن من هؤلاء انحدرت العشيرة"[1]؛ لكن لا يوجد دليل يحمل على اليقين أو الظن يؤكد أن نشوء الدين عند البشر ينبني على الطوطمية، وعلى ضوء ما تصوره هؤلاء الباحثون عن نشوء الدين فسروا قضية الخلق الواردة في الأديان المختلفة، وبناء على هذه المقدمة عدوا التجرد من الفكر الديني تقدما علميا ونضجا فكريا يدفع الباحث إلى التدقيق والتحري في الحقيقة لعدم وجود تعاليم توجهه إلى إثبات نتائج مفروضة سابقا[2]، لكن عند التمعن نجد أن الباحثين المحدثين هم المتأثرون بأفكار أديان الشرق الوثنية، وعلى منوالها وضعوا أسس المنظومة الفكرية المتعلقة بدراسة الأديان وقضاياها الرئيسية.

رابعا: قضية الخلق في أديان الشرق الأقصى:

الشرق الأقصى يتكون من عدة بلدان مختلفة في لغاتها وأديانها وثقافاتها؛ لكن الغالب عليها الوثنية والتعدد، وأهم الأديان في تلك المنطقة الهندوسية ومشتقاتها كالبوذية والجينية وغيرها والديانة الطاوية والكنفوشيوسية والشنطو ومختلف معبودات شعوب هذه المنطقة طبيعية.

ا-**أديان الهند:** تعددت في هذا البلد الشعوب واللغات والمعتقدات، ومرت بمراحل تاريخية وحضارات ما جعل الدين السائد فيها عبارة عن تجميع لعادات وتقاليد ومعتقدات مختلفة منتهيا الديانة الهندوسية التي تزودها طبقة الكهنة: البراهمة الذين وضعوا طقوس وتشريعات الدين تبعا لمصالحهم الخاصة، وبناء على هذا المنهج وضعوا لقضية الخلق عدة أساطير ترفع من مرتبتهم الشرفية.

الأسطورة الأولى: تقول إن الإله براهما أول ما خلق الماء ثم وضع فيه جرثومة الحياة التي نمت إلى بيضة ذهبية طافية على سطح الماء فدخلها براهما ومكث بداخلها مائة يوم، وكل يوم يقدر بـ 432×10^7 سنة من سنواتنا الشمسية[3]. ثم قام براهما بشق البيضة إلى قسمين

---

[1] - المصدر السابق، ص: 32 ؛ و Robert. Luffont. Histoire du Développement culturel et scientifique de l'humanite (U.N.E.slo)Vol :1. Ed 1967

[2] - جمال عبد الهادي محمد مسعود. ووفاء رفعت جمعة.الإسلام دين في الأرض وفي السماء.دارالصديقية.الجزائر.ط(1990م).ص:55-57.

[3] - أحمد عبد الغفور عطار. الديانات والعقائد في مختلف العصور.ط1(1401هـ-1980م).مكة المكرمة.ص: 95 ؛ و

Encyclopédie Bordas. La philosophie et les religions. Ed 1967.PP : 271.

العلوي جعل منه السماء وأبراجها وكواكبها، والشق السفلي جعل منه الأرض وأنهارها وجبالها وبحارها وكل الكائنات الحية والإنسان[1].

الأسطورة الثانية: تربط فيها الفلسفة الهندية ظاهرة التمييز الطبقي بنصوص مقدسة وردت في كتب (منو) تبين أن التمييز الطبقي ترتيب شرفي، خلقي وراثي لا يسمح بارتقاء شخص من طبقة إلى طبقة أعلى عن طريق الكسب، لتبقى الفوارق بين الطبقات وراثية فطرية، وإثباتا لذلك جاء في الأسطورة أن براهما خلق السماوات والأرض ثم خلق من رأسه أفضل الناس وأعظمهم قدسية؛ وهم الكهنة البراهمة، ثم خلق من ذراعيه من يلونهم وهم الملوك والمحاربون، الذين يشكلون طبقة الكشتيريا.

ثم خلق من فخذيه أرباب المهن، والتجار والزراع الذين يوفرون شؤون العيش للبراهمة والملوك، وتسمى هذه الطبقة بالفيشيا، ثم خلق من قدميه بقية الناس، وهم الطبقة السفلى التي أفرادها من السكان الأصليين، ولا همَّ لهذه الطبقة في المجتمع سوى خدمة الطبقات الأخرى في أخس حاجاتها وتسمى بطبقة الشودرا أو المنبوذين[2].

كما توجد أسطورة أخرى تقول: أن الأرض خلقت من جسد عملاق ضحى بنفسه على مذبح الآلهة فرضيت به، وحولت جسده إلى ذرات مبعثرة ثم عادت هذه الذرات والتأمت مشكلة الأرض وما يحيط بها من مياه، وهكذا تصور الأسطورة صدور الكائنات أنها حدثت من ذات إله، وما هي إلا جزء منه، ومن ثم تكون الذات الإلهية تحيط بالمخلوقات، وتكون حركة النمو والتوالد تجميعا للعناصر، وموتها انحلال لها وبذلك تصبح دورة الحياة تشبه حركة العجلة[3]؛ وهذا يفسر عقيدة وحدة الوجود، ويبين أن قضية الخلق هي أرض الثبات التي تبنى عليها المعتقدات الأخرى لأديان الهند، وتوضح بنية المجتمع.

---

(1)- سليمان مظهر قصة الديانات. دار الوطن العربي. بيروت. ط1 (1984). ص: 50-51.

(2)- غوستاف لبون. حضارة الهند. ترجمة: عادل زعيتر. ط1 (1948م). دار إحياء التراث العربي. بيروت. ص: 297؛ وسليمان مظهر. المرجع السابق. ص: 52؛ و أحمد شلبي. أديان الهند الكبرى-البوذية - مكتبة النهضة المصرية. القاهرة. ط2 (1966م). ص: 57.

(3)- غوستاف ليون. المرجع السابق. ص: 295-335.

يظهر من تباين هذه الأساطير أنه كان هناك مدارس فكرية، واتجاهات دينيـــة، وتيـــارات فلسفية مختلفة، وهذا بطبيعة الحال يكون نتيجة تعدد الشعوب واللغات في المنطقـــة، وعلاقـــة الديانة الهندوسية بغيرها من الأديان المجاورة، وكذلك مخالطة الآريـــين - في طـــريقهم أثنـــاء نزوحهم إلى الهند - الإيرانيين والتورانيين فتأثروا بعقائدهم وفلسفاتهم[1]، وعند حلولهم بأرض الهند وجدوا ديانات وعادات الهنود الأصليين فحدث امتزاج بين الأفكار والعقائد، كما حدث اصطدام زاد في درجات الغلو والشذوذ، وعلى العموم لا توجد آثار للوحي في معتقداتهم، فهي كلها وثنية مادية ما عدا قضية أن الإله أول ما خلق، خلق الماء، أو بعض الأساطير التي تـــنص على أن الله موجود قبل الخلق، قد يكون هذا من المكتسبات التي اكتسبها الفكر الهندي مـــن الحضارات السامية القديمة.

ب- أديان الصين واليابان:

تنتشر في الصين الديانة الكنفوشيوسية والطاوية وهذه الأخيرة لايوجد لـــديها منشـــئ أول وتنفي وجود خالق[2]. وبذلك تروج عدة أساطير شعبية حول قضية الخلق أهما قصة (يان كو): وهو أول إنسان فصل السماء من الأرض أول مرة فجعل السماء تعلو 10 أقدام كل يوم وتطول قامته بالمقدار نفسه وبعد مرور 18 ألف سنة توقفت العملية، وأخذت الســـماء موقعهـــا مـــن الأرض وتجمعت أنفاس يان كو فصارت رياحا وسحابا، وتكلم فصدر عن صـــوته الرعـــد، ولمعت عيناه فكان البرق من لمعان عينيه، وسالت دموعه فجرى لها النهران الكبيران في الصين، ثم مات يان كو فتحول جسده إلى أرض وعظامه إلى جبال، وصارت عينـــاه شمســـا وقمـــرا واستحال شعره لنباتات وعرقه إلى مطر وسال شحمه ففاضت منه البحار والمحيطات، وتحولت الحشرات المتطفلة على جسده إلى آدميين[3]. يتبين أن الأسطورة مبتورة منها مقـــدمات تحـــدد أصل يان كو. أو سر وجوده ولا توجد إشارات إلى المادة الأصلية التي تكونت منها الســـماء

---

(1) أحمد شلبي. مقارنة الأديان. ص: 40/4.

2 - محمد أبو زهرة. مقارنة الأديان. دار الفكر..ص: 89.

3 - ويل ديورنت. قصة الحضارة. ترجمة: محمد بدران. مطبعـــة لجنـــة التـــأليف والترجمـــة والنشـــر. القـــاهرة. ط3 (1966م).ص: 14/4-15؛ والعقاد. سن ياتس أبو الصينيين. المكتبة العصرية. بيروت. ط(1973م).ص: 35.

والأرض، وهذا يشبه الأساطير الرائجة في اليابان، حيث يعتقد اليابانيون أن مصدر الحياة كان نتيجة انطلاق سهم من الأرض اتجاه السماء فأحدث فيها ثقبا فتساقطت الكائنات الحية على الأرض وانتشرت[1]. كما أن هناك أساطير أخرى وردت في صورة ملاحم دارت بين الآلهة كامي وانتهت الملحمة بتوزيع المهام بين الآلهة، كلف إله القمر بتسيير حكم الليل والإله موزانو كلف بشؤون البحار، والإله لكاي(الشمس) فهو المسئول عن نمو الأرز والمحاصيل..الخ؟ وتنتهي الأسطورة بجعل سلالة الإمبراطور أنها تنحدر من نسل الآلهة. والغرض في الأسطورة الأخيرة، إثبات نسل الحاكم من الآلهة لتكون طاعته عبادة واجبة على المواطنين[2].

مما يشد الانتباه ملاحظة مصدر المخلوقات في أساطير الشرق الأقصى أنها جزء من ذات إله سواء أطلق عليه اسم، أم نسبت إلى مصدر خارجي عن الأرض كالسماء، كما ورد ذكر الماء أنه هو مصدر، أو منطلق عملية التخليق. أو أنه هو المخلوق الأول، قد يعود هذا التصور إلى وجود مياه المحيطات بجوار موطن الأساطير، وإلى الظواهر التي تنشأ من حركياته، كالفيضانات والأعاصير، أو يرجع لقيمة الماء وضرورة الأحياء الملحة إليه في نشاطاتها الحيوية. كما يمكن أن يكون هذا الفكر من آثار أديان سماوية قديمة منذثرة.

خامسا: قضية الخلق في أديان الشرق الأوسط

أديان الشرق الأوسط هي الأديان التي دانت بها شعوب منطقة الجزيرة العربية وما جاورها من شمال إفريقيا وشرقها فهي تشمل أديان الشعوب السامية بالدرجة الأولى. وتميزت هذه المنطقة بظهور الأديان السماوية، والأنبياء والرسل ولذا يوجد بها آثار من تلك الديانات. سواء من الجانب الشرعي، أو من الجانب العقدي، وقد تكون من ذلك المزيج أساطير تحتوي على أسماء وصفات لله مشوبة بكثير من الخرافات، وذلك ناتج عن التأثيرات القادمة من الحضارات المجاورة والاحتكاك بين الشعوب والأمم. ولقد مثلت أديان الحضارات التي قامت في منطقة وادي الرافدين، والحضارة الفرعونية أديان منطقة الشرق الأوسط أحسن تمثيل؛ حيث

---

[1] - سليمان مظهر، قصة الديانات، ص: 244-257.

[2] - Louis, Frederic. Le shinto esprit et religion du japon. éd:bordas1972-Pars.pp:13-22.

كانت أغلب شعوب الجوار تابعة لها، إما سياسيا أو قوميا فكان أكبر عامل في تواصل الثقافات والمعتقدات فيما بينهم.

أ- **أساطير الخلق في الديانات السامية:** يذهب أغلب المؤرخين إلى أن الساميين ينحدرون من موطن واحد، وهو: جنوب الجزيرة العربية، ثم انتشروا إلى باقي البلدان المجاورة، وامتازت الشعوب السامية بعدة تقاليد اجتماعية واحدة أهمها اللغة إذ تتشابه المصطلحات في دلالتها وتركيبها وحركاتها لدى جميع الشعوب السامية[1].

ساهمت هذه العوامل في نقل المعتقدات من شعب إلى شعب إلى آخر، ومن جيل إلى جيل بواسطة الرواية، أو بالنصوص المنقوشة، لكن علماء الآثار كانت نتائج دراستهم تعبر على أن الديانات السامية السائدة وثنية، بينما علماء التاريخ الإسلاميون يقسمون الأمم حسب الرسل الذين بعثوا، ويعدون الوثنية انحرافا حدث في الدين كقول ابن كثير: " إن عادا وهم عاد الأولى كانوا أول من عبد الأصنام بعد الطوفان"[2]، ولذلك جاء خبر بدء الخلق عند الرسل واحدا لا خلاف فيه عند جميع الأمم التي بعث فيها الأنبياء منذ القدم، إلى مجيء رسول الإسلام (ﷺ): لكن آثار الوحي في المعتقدات الوثنية تتجلى في ذكر المادة الأصلية التي خلق منها الإنسان (الطين)، أو ذكر الصراع من قوى الخير والشر الذي تسبب في إخراج الحياة إلى الدنيا. مع الفارق في تصوير أحداث الصراع نتيجة الانحراف على أصول الوحي التي بينت أن الصراع كان بين آدم عليه السلام وإبليس لعنه الله، جاء هذا البيان من عند أهل الأديان الوثنية في صورة ملاحم إلهية، وتمثل قصة الخلق أنوماليش عند سكان وادي الرافدين هذا التصور: حيث جاءت أسطورة بدء الخلق متكررة تقريبا عند السومرين والأكاديين، والأشوريين، ولم يتغير فيها

---

[1] - محمد عطية الأبراشي. الآداب السامية. دار الحداثة. بيروت.ط2(1984م). ص: 10.

[2] - ابن كثير. البداية والنهاية. مكتبة المعارف. بيروت. ص: 121/1.

سوى اسم الإله البطل؛ فهو انليل عند السومرين، ومردودك عند الأكـــادين، وآشـــور عنـــد الآشورين[1]، ولقد ورد في الأسطورة أن مكونات العالم في الأزل ثلاثة عناصر هي:

1- المياه العذبة، 2- المياه المالحة، 3- البخار، وفي لحظة ما امتزجت في صورة كتلة مائيـــة ومنها صدرت أول الآلهة[2].

ثم توالدت وكونت أسرة لكل اختصاصه ومهامه، ثم حدث نزاع بين الآلهة الآباء والأبناء أدى إلى وقوع ملحمة انتهت بانتصار الآلهة الفتية، وبعد انتهاء المعركة قام الإله البطل الـــذي قـــاد المعركة بشق الإلهة تيامات إلى شق علوي صنع منه السماء وشق سفلي صنع منه الأرض. ثم قام بتوزيع المهام من جديد، ويقبع الإله القائد (مردوك) في كوكب يشرف على تسيير شـــؤون الحياة في الأرض[3]، ثم تقوم إلهة النسل بخلق إنسان ذكرا وأنثى من عجينة مقدسة مصنوعة من الطين المقدس الممزوج بدم أحد الآلهة، في صورة تمثل الحالات الاجتماعية[4]. وهذا يوضـــح أن الأسطورة وضعت قاعدة لتشريع طقوس الأضاحي والقرابين المقدمة للآلهة والكهنة، والرضـــا بالحالة الاجتماعية لأنها متأصلة من بدء الخليقة، كما يظهر امتزاج الوضع الوثني مع بقايا الوحي مثل : الماء أول المخلوقات، وفصل السماء عن الأرض، وخلق الإنسان من طين الأرض، ومزج عجينة الطين بدم واحد من الآلهة ترمز إلى الروح، وبث الحياة في الكتلة المادية الطينية الجامدة،

---

[1] - شهد الشاهوري، المدخل في التحلي الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري السياسي في جنوب غرب آســـيا وشمـــال إفريقيا. ص: 1/299؛ وفرانكفورت.هـــ ، وفرانكفورت.هـــ.ا،وجـــون.ا.ولســـن،ونوركيلد جاكوبســـن. مـــا قبـــل الفلسفة.ترجمة:جبرا إبراهيم جبر.دار مكتبة الحياة.بغداد.د.ط.ت. ص: 190-200؛و أنطون مورتكات. تاريخ الشـــرق الأدنى القديم. تعريب: توفيق سليمان وعلي العساف وقاسم طوير.د.ط.ت.ص: 348-358؛ و Payot . (Dr.G) . La magie chez les Assyriens et les Babyloniens; Ed: 1947. Paris.pp: 66-67

[2] - محمد جابر عبد العال الحيني. في العقائد والأديان. الهيئة المصرية العامة للتأليف. ط (1971م). ص: 77.

[3] - فاضل عبد الواحد وافي. الطوفان. جامعة بغداد. ط(1975م). ص: 44؛ وصموئيل هنري هووك. منعطف المخيلـــة البشرية بحث في الأساطير. ترجمة: صبحي حديدي. دار الحوار. اللاذقية.الط1(1983م). ص: 35-56

[4] -فرنكفورد وآخرون، ما قبل الفلسفة .ص:191.

وذلك إيعازا منهم إلى أن انبثاق ظاهرة الحياة يرجع لمصدر إلهي، واتخاذ صورة التضحية اللاهوتية رمزا للتضحية وتقديم القرابين. ولقد صورت أساطير الخلق الحياة الاجتماعية على قانون القضاء والقدر لتكوين موقع نفسي يتفاعل مع هذه المنظومة تلقائيا دون الحاجة لمراقبة خارجية، ولا يعد ذلك غريبا لأن موطن الساميين هو موطن الرسالات والأديان السماوية.

ب- أسطورة الخلق عند قدماء المصريين

لقد تعددت الأساطير عند المصريين بعدد المعابد والمذاهب لكن جميعها يتفق أن نشوء الكون انطلق من كتلة مائية أزلية خرج منها أول إله استطاع أن يخلق عددا من الآلهة تولت تسيير الحياة، وشؤون الكون ورعايته، ولم تخل هذه الأساطير من الصراع بين الآلهة على السلطة والهيمنة على العالم؛ لكن يمكن أن تلخص هذه الأساطير في نظريتين: الأولى مادية ختة تسمى النظرية الأشمونية (الثمانية) جاء فيها: أنه لم يكن في البداية في اللاوجود سوى الفوضى (المياه الأزلية) والإله نون الذي يوصف بأربع خصال زوجية متناظرة، وكل خصلة تتمثل في إله يرعى المهمة التي تدل عليها الصفة. وفي لحظة ما قام إله الهواء (شو) برفع نوت ربة السماء إلى فوق بيديه وبقي (جب) رب الأرض قابعا تحت رجليه، وهكذا تمت عملية خلق السماء والأرض[1]. أما النظرية الثانية: وهي النظرية المنفية يتصدرها الإله بتاح الذي بكلمته المقدسة خُلق الإله شو وتفنوت[2]، ثم اكتملت عملية خلق بقية الآلهة إلى أن وصل العدد إلى التاسوع المقدس، وبدأت عملية الخلق بفكرة في القلب، ثم نطق بها اللسان أمر بكلمة كن، فوجد العالم[3]. ولا توجد نصوص تصور قصة خلق الإنسان، وكل ما هو موجود إشارات في نصوص متفرقة تبين أن الإنسان خلق من مادة وروح إلهية، كما ورد أن الإله رع خلق البشر من عينيه، ثم صنع بقية المخلوقات، يمكن أن نستشف من هذه الأساطير وجود تيارات ومدارس فكرية متعددة في الديانة المصرية، ورود الإله بتاح بهذه الصفات، وخاصة خلقه للعالم بكلمة

---

[1] -أدولف ارمان.ديانة مصر القديمة.ترجمة:عبد المنعم أبو بكر،ومحمد أنور شكري.مكتبة مدبولي.القاهرة.ط1(1995).ص: 30-34

[2] - محمد جابر عبد العال الحيني. المرجع السابق. ص: 48.

[3] -باروسلاف تشرني. المرجع السابق.ص: 55-57.

كن، وكذلك خلق الإنسان من روح إلهية. ووجود الإله مع المياه قبل خلق الكون. فهذه كلها أثار من أخبار الوحي المحرف، وهذه أدلة تجعل المتمعن في تاريخ مصر يتصور إنها كانت ملتقى لعدة أديان ومذاهب فلسفية جاءت من أمم مختلفة الأعراق والأديان ولما تلاقحت المعتقـــدات أعطت الفكر العام لشعوب مصر القديمة، وبالتالي تكونت العقيدة على النسق الذي وصل إلينا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني

قضية الخلق في الأديان السماوية

أعترف أهل هذه الأديان بوجود الصانع الخالق وجعلوا جميع الخلائق ما عداه صادرة عنه بإرادته، واستدلوا بنشوء الخلق من العدم على وجوده سبحانه وتعالى ووحدانيته وكمال صفاته. وفسرت كيفية التخليق على حسب ما جاء به الوحي من توضيحات وأخبار على عملية خلق الكون، والإنسان؛ لكن نصوص الوحي كانت مختصرة، ومجملة، ولم تعط تفسيرات مفصلة ودقيقة؛ إنما أشارت إلى القضايا الكبرى الرئيسية، وبقي الإنسان متسائلا عن كثير من الظواهر الكونية التي يراها، وعجز عن كشف سر وجودها فدفعه تعليلها إلى القول بكثير من الأساطير والخرافات الواردة من الأديان الوضعية نتيجة الاحتكاك والتبادل الثقافي بين الأمم. لقد أقحمت نصوص وروايات الشعوب القديمة في الكتب المقدسة لأهل الكتاب.

مفهوم الخلق في الأديان السماوية: الأديان السماوية في المنظور الإسلامي هي اليهودية والنصرانية وغيرها مما سبقتهما من أديان أندرست ولم يبق من آثارها إلا أخبار تروي قصص الرسل والعقاب الذي أنزل بأقوامهم، ومن ثم تبقى اليهودية والنصرانية الديانتان السماويتان لا غير، وهذان لهما مصدر واحد في أخبار الأمم السابقة وبدء الخلقية التي وردت في أسفار التوراة وكتب الأنبياء من الكتاب المقدس، الذي يعد وثيقة تاريخية تخضع لمنهج النقد العلمي والتصويب، لأن أغلب ما ورد فيه من وضع البشر، والنادر منه أصله من أخبار الوحي، التي حرفت مقاصدها، وحورت مفاهيمهما وترجمتها، والشك ما زال قائما في تحديد اللغة التي أنزل بها الوحي على سيدنا موسى عليه السلام ومعظم الأنبياء اللاحقين به، وذلك لأن تاريخ التوراة وكتب الأنبياء رجح معظم علماء التاريخ والنقد أنها كتبت خلال القرن الخامس قبل الميلاد؛ أي بعد بعثة موسى بحوالي عشرة قرون من قبل علماء اليهود الوافدين من المنفى البابلي إلى

أرض فلسطين وهم الورثة الروحيون لحزقيال[1]. وقد أدى امتزاج بني إسرائيل بالشعوب المتاخمة لهم في الحرب والسلم إلى اكتسابهم معتقدات تلك الشعوب[2]، ويتجلى ذلك في كتابهم المقدس، وبالأخص في قضية الخلق التي تعد المنطلق الأساس لجميع المعتقدات الدينية[3]. وقد ورد في الكتاب المقدس في سفر التكوين روايتان، مختلفتان الأولى من تأليف المدرسة الإلوهيمية، والثانية من تأليف المدرسة اليهوية، ونتيجة لذلك فإن التوراة منقولة من عدة روايات مختلفة في مضمونها، وصياغتها، وحتى في لغاتها التي كتبت أو رويت بها[4].

وقد صرح النص التوراتي في حد ذاته بذلك (سفر الملوك الثاني. 2kgs.22:8-3): "إن التوراة فقدت ردحا من الزمن ثم اكتشفت فجأة على يد الكاهن حلقيا أثناء ترميم المعبد في كوة بالجدار"[5]. وقال ابن كمونة:" إن تواتر اليهود منقطع بواقعة بختنصر وغيرها فلا يصح شيء مما ذكرتم من المعجزات ولا من غيرها"[6]، وبذلك يثبت عدم السند لكتاب أهل الكتاب، وتعدد المتن، ويثبت تعدد المعتقد في القضية الواحدة لاختلاف الروايات فيها، وقد تجلى هذا الاختلاف في قضية الخلق بوضوح تام.

الرواية الأولى: وردت في الإصحاح الأول من سفر التكوين، حيث تمت عملية الخلق على ست مراحل خلال ستة أيام كل يوم خلق الخالق فيه مخلوقات، وانتهت العلمية بخلق الإنسان

---

[1] - أحمد سوسة. ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق.مطبعة أسعد.بغداد.ط1(1978).ص: 134- 142؛ وسهيل ديب. التوراة بين الوثنية والتوحيد. دار النفائس. بيروت. ط2(1985م).ص: 73- 74، موريس بوكاي. التوراة والإنجيل والقرآن والعلم. ترجمة: نخبة من الدعاة. دار الكندي. بيروت. ط1(1978م). ص: 160- 161.

[2] - أحمد سوسة ، المرجع السابق، ص: 153. و عبد العليم عبد الرحمان خضر. مفاهيم جغرافية في القصص القرآني. دار الشروق. بيروت.ط1 (1981م). ص: 235-265

[3] - Charls, F.J. Milieu bibliques ; T1,م.157-158. Toussant,C. Les origines de la -religions de Israël. pp: 32-33.

[4] - علي عبد الواحد وافي. اليهودية واليهود.دار الهنا للطباعة. ط(1970م).ص: 15-16، وابن كمونة اليهودي، تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث.دارالأنصار.القاهرة.د.ط.ت. ص: 27.

[5] - رحمة الله الهندي، إظهار الحق. تحقيق:عمر الدسوقي.دار الكتب.الجزائر.ط(1988). ص: 1/102-103

[6] -بن كمونة .المرجع السابق. ص: 27.

في آخر يوم السادس على صورة الخالق؛ وصرحت الرواية أن الماء هو المادة الأصلية التي خلق منها الله الخلائق، بدأ بالسماء والأرض ثم مكوناتهما، كما يعتقدون أن السماء إلى حد الآن حاجز يحجز الماء الأزلي وراءه[1]. ويتضح من القصة أن الكون محدود بين طبقتين علوية (السماء) وسفلية (الأرض). وأن الخالق خلق الإنسان على صورته، وهذا التشبيه موروث من الأساطير الوثنية التي عايش اليهود أصحابها كالبابليين والحثيين، وقد نبه القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: "أَتَدْعُونَ بَعْلا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ"(125 الصافات)، وذلك إما من باب تقليد المغلوب للغالب، أو إتباع الدعاة محاكاة الحضارات القائمة في زمانهم. اتخذوا قضية الخلق هي العمدة التي تقوم عليها المعتقدات، ومن جانب آخر إذا رُدَّ التحريف إلى مقاصد غير موجهة أساسا للتزييف فتكون الأفكار الدخيلة عن الوحي جاءت من نظرة العلماء في تفسير النصوص بالمعارف الإنسانية الموجودة آنذاك، فحدث التأويل، والترجمة إلى لغات غير لغة التنزيل فأدى ذلك إلى انحراف دلالة النص، ودخلت المغالطات اللغوية والعقدية إلى النصوص المقدسة فاكتسبت الانحرافات الدخيلة قداسة النص[2]. مثل الصور المعبرة عن بعض المعتقدات التي جاءت في شكل شروح أو بيان للنص. منها صور تشبيه الخالق بإنسان كبير يطل من الأفق أثناء صنعه للأرض والسماء، ورسم الأيام الستة لعملية خلق الكون[3]. (الشكل1،2،3) وهكذا "يظهر لنا الله في سفر التكوين "شخصا" لا مجرد قوة"[4].

الرواية الثانية: تقول هذه الرواية: إن الله خلق السماء والأرض، ثم خلق آدم من تراب الأرض وغرس له جنة عدن وجعل له فيها كل أشجار الفواكه، ثم آنس وحشته فخلق له الحيوانات

1- Denis Masson. Monotheisme Coranique et Monotheisme Biblique. Ed:1976. Dasclée de Brower pp:134.

2 – محمد سعيد العشماوي. تاريخ الوحودية في الفكر البشري. الدار القومية للطباعة والنشر.القاهرة.د.ط.ت ص: 48. و العقاد. الإسلام والحضارات الإنسانية.المطبعة العصرية.بيروت.د.ط.ت. ص: 7- 11.

3 – Encyclopaedia: Judaica. Volume:5. C-BH-I. Jerusalem.pp:1075-1078 ؛وفؤاد حسيني علي. التوراة الهيرغليفية.دار الكاتب العربي. القاهرة.د.ط.ت. ص 5-6.

4 – نخبة من العلماء. قاموس الكتاب المقدس.مكتبة المشعل.بيروت.ط6(1981). ص: 346.

البرية والطيور ثم عرضها على آدم ليسمي كل كائن باسمه، وفي الأخير سلط عليه السبات، وأخذ منه أحد أضلاعه وخلق منها حواء زوجته، وهذه القصة أقدم من القصة الأولى التي أنتجتها المدرسة الأيلوهيمية[1]، كما يظهر التباين بين الروايتين جليا و" هذا التناقض البيّن بين القصتين يفسر ببساطة أن القصتين قد استمدهما الكاتب من مصدرين مختلفين ومستقلين أصلا. ثم جمع بينهما في كتاب واحد ونقلهما معا، دون أن يجهد نفسه في أن يخفف من حدة التناقض فيهما أو يوائم بينهما"[2]. وجاء في بعض فقرات كثير من إصحاحات العهد القديم أن الإله صارع تنين العماء، أو الظلام المناهض لأعمال الله، وهذا من تقليد مؤلفي العهد القديم للأشعار البابلية الذي وقعهم في جعل أنداد الله يتصارع معهم، ومن ثم تكون فكرة الخلق من العدم غائبة في التوراة[3].

ولقد تمكن الانحراف من نفوس أتباع اليهودية والمسيحية على حد سواء وكان هو السبب المباشر الذي دفع أتباع الأديان السماوية من أهل الكتاب في عصر النهضة العلمية إلى الردة عن الدين ونبذ كل التصورات التي مصدرها الوحي، والسعي وراء الدعوات العقلانية والمادية المحسة. فكان هذا الانحراف أشد وأنكى مما سبقه على الفكر البشري بصورة عامة، لأنه فتح باب السير وراء الافتراضات التي تريد أن تخضع كل الحوادث والظواهر الطبيعية إلى التجربة والقياس لا غير.

تطورت عقيدة أهل الكتاب في قضية الخلق قديما وسايرت معتقدات أصحاب التعدد، وبذلك أقحموا نصوص أساطير الحضارات السالفة، واستعاروا منها مصطلحات ذات مفاهيم منافية للتوحيد، أضفوها على أسماء وصفات الخالق.

---

1 موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم. ص: 34-39، وما أصل الإنسان. ترجمة: مكتب التربية العربي لدول الخليج.ط2(1985م).ص: 161.

2 -جيمس فريزر. الفلكلور في العهد القديم. ترجمة:نبيلة إبراهيم. الهيئة المصرية العامة للكتاب.ط (1972م).ص: 27.

3 محمد أحمد دياب عبد الحافظ.أضواء على اليهودية من خلال مصادرها.دار المنار.القاهرة. ط(1985م).ص: 169؛ وحسام الدين الألوسي، الزمن في الفكر الديني الفلسفي القديم مجلة: عالم الفكر، عدد يوليو 1977. 120/8؛ لقد جمع جميع النصوص المتعلقة ببداية الزمن في الكتاب المقدس فوجد أن دلالتها ترجع إلى مفهوم نص بدء الخليقة في سفر التكوين من التوراة، حيث قال في مفهوم نص التوراة: (בראית ברא אלהים את השים ואת הארץ והותה תהו ובה והשך עליפני תהום ורוה אלהים מרהפת עלפני המית) "ثنائية الله والمادة فهي تتكلم عن خليط من ماء وظلمة قبل بداية الخلق وتسميه (Tehom) أو العمق(The deep) وهو مرادف للكلمة البابلية(Tiamat) وأن فكرة الخلق من العدم لا توجد أبدا في التوراة "من كتابه: الزمن في الفكر الديني الفلسفي القديم.المؤسسة العربية.بيروت.ط1(1980م).ص:25 ؛ و Toussaint.C. Les origines de la religion d'Israél. Ed: 1931. Librairie orientaliste. Paul.Guthner.p:32

المبحث الثاني

مفهوم الخلق في المذاهب الفكرية والإسلام

بعد ظهور الإسلام واتساع رقعة انتشاره اعتنقته شعوب لها ثقافات وحضارات مختلفة الأصول، مما أدى إلى نشوء عدة تيارات فلسفية ومذاهب كلامية متباينة المناهج والمباحث، وحملت كثير من الآراء والنظريات من تراث ثقافاتها الأصلية، وحاول كل فريق تصوير القضايا المهمة للإنسان التي عالجها الدين الإسلامي بشكل له مسوغات متوافقة مع المنهج العام لمذهبه، فكانت قضية الخلق من المهمات لديهم، ونظرا لذلك أصبح من الضروري معرفة تلك الرؤى بجانب المنظور الإسلامي، وهكذا قسم المبحث لمطلبين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول

مفهوم الخلق في المذاهب الفكرية

ويقصد بالمذاهب الفكرية كل المعارف التي توصل إليها الإنسان ببذله وصنفت على أساس مواضيعها ومناهجها، ومنها معارف الكلام والفلسفة التي تعد إنتاجا فكريا بشريا يعتمد على القدرة العقلية للإنسان حاول أصحابه صياغة المفاهيم الدينية على أسس عقلية لدرء التعارض والمخالفة بين معاني نصوص الوحي ومنحى العقل في الاستدلال وضبط محصلات القضايا بقواعد أقرب لليقين العقلي، أما أصحاب التخصصات العلمية استعملوا وسائل حسية قياسية للظواهر الطبيعية يرون نتائجها حقيقية مطابقة للواقع مجردة من الذاتية، وهي تمثل عين الموضوعية الواقعية.

أولا: المتكلمون: وهم المفكرون المتدبرون في نصوص الوحي لاستخراج مفاهيم عقلانية منه لبيان مجمله وشرح مختصره بالاستشهاد بحوادث الشاهد المحس، أو بالمجرد المقيد بالمبادئ العقلية كاستعمال المبادئ الرياضية في توضيح المستحيل المنتهي إلى ما لا نهاية. وعلم الكلام[1]. مقصده " حفظ عقيدة أهل السنة، وحراستها عن تشويش أهل البدعة"[2]: ولا يتعدى مقصده إلى إثبات العقائد لأنها مثبتة بالكتاب والسنة[3]. وكل نظرية في العقيدة لا تنسب إلى علم الكلام، وإنما تلحق بصاحبها على أنها نظرية فلسفية لا تتعلق بالدين مثل نظرية الكمون. والخلق المستمر اللتان قال بها النظام[4].

---

[1] – عرف بن خلدون علم الكلام بقوله: « هو علم يتضمن الحجاج عن عقائد الإيمانية بالأدلة وبالرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقاد وعن مذاهب السلف وأهل السنة» المقدمة. ص: 458؛ والإيجي. المواقف. ص: 131-133؛ ويحي هويدي، علم الكلام والفلسفة الإسلامية. ص: 102.

[2] – الغزالي.المنقذ من الضلال .تصحيح:محمد محمد جابر.مكتبة الخندي.مصر.د.ط.ت.ص:14.

[3] – محمد الصالح السيد. أصالة علم الكلام. دار الثقافة والنشر. القاهرة. ط(1983م).ص: 15.

[4] – "هو أبو إسحاق إبراهيم بن يسار بن هانئ البصري توفي سنة 231 هـ من أصحاب أبي الهذيل العلاف" أبو القاسم البلخي، القاضي عبد الجبار، والحاكم الجشيمي، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة.تحقيق: فؤاد سيد. الدار التونسية للنشر.تونس. ط(1986م). 364.

1- نظرية الكمون: قال بها النظام:" بأن الله تعالى خلق الناس والبهائم والجمادات والنباتات في وقت واحد، وأن خلق آدم لم يتقدم خلق أولاده غير أن الله عز وجل أكمن بعض الأشياء في بعض والتقدم والتأخير إنما يقع في ظهور الأشياء من مكامنها دون اختراعها "[1]. وهذا يخالف النصوص التي بيّنت أن أول الخلق القلم واللوح ثم السماوات والأرض ثم الإنسان " وفي هذا تكذيب منه لما اجتمع عليه سلف الأمة مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى والسامرة"[2]. وقد يكون النظام نظر إلى التفاعلات بين عناصر المادة ينتج عنه مواد جديدة تختلف عن المركبات الأصلية في الشكل، والقوام، والوظيفة فظن أن الجديد كان كامنا في القديم؛ كاشتعال العود يؤدي إلى ظهور النار، وهي مخالفة للعود في قوامها وشكلها ووظيفتها، ومن ثم تساءل من أين جاءت النار إن لم تكن كامنة في العود[3]. وقال الشهرستاني في النظام: " أخذ هذه المقالة من أصحاب الكمون والظهور من الفلاسفة وأكثر ميله أبدا إلى تقرير مذاهب الطبيعيين منهم دون الإلهيين"[4].أما بعد تقدم الكشوف العلمية أصبحت دواعي الكمون ليست معللة غير مقنعة، بل مفندة، وإذا ما نظرنا إلى الكمون تتضح دلالته: أن الخالق خلق الخلق كلهم دفعة واحدة في آن واحد ثم أكمن أشياء في أشياء؛ أي جميع المخلوقات تشترك في القدم، ولا يوجد ما هو أسبق من غيره في الوجود، القائلون بالكمون يؤمنون بثبوت القديم لعدم تصورهم إن إرادة الله قديمة متحكمة في القديم والحديث، وأن الحوادث تعود لحداثة إرادة وقوع الحادث، وهذا يخل عندهم بقدم القديم فجاءوا بالكمون توفيقا بين القول بثبوت القديم على هيئته وصفته، وحدوث الحوادث من إرادته، يعني تجدد الإرادة، ولقد رد أبو حامد الغزالي عن القائلين بقدم الخلق في كتابه تهافت الفلاسفة ردودا شافية[5].

---

[1] -البغدادي، الملل والنحل.تحقيق البير نصري.دار الشروق.بيروت.ط2(1983).ص: 97، والفرق بين الفرق.تحقيق:محمد محي الدين.دار المعرفة.بيروت.د.ت. ص: 142؛ والخياط أبو الحسين. الانتصار والرد على بن الراوندي الملحد. ص 97.

[2] - البغدادي ، الفرق بين الفرق، ص: 162.

[3] - ابن حزم الفصل في الملل والأهواء والنحل.دار الكتب العلمية.بيروت.ط1(1996م). ص: 3/239-240.

[4] - الشهرستاني .المرجع السابق. ص 56/1.

[5] - الغزالي. تهافت الفلاسفة.تحقيق.موريس بويج.دار الشروق.بيروت.ط3(1982م).ص: 48-80.

وملخص القول في هذا الأمر أن هؤلاء وقعوا في تشبيه صفات الله وذاته بالمخلوقات لمحاولة إحاطتهم بصفات الخالق بعقولهم، ومن المعلوم أن الإنسان يكتسب المعلومات عن طريق الحواس، ثم يدخرها في مخيلته، التي لا تصف شيئا أو تصوره في العقل إلا عن طريق المشابهة والمماثلة لشيء سبق إدراكه بالحس[1]. ثم انتقل إلى المجرد في المخيلة، وكل شيء لم يسبق له مثال يكون خارج مجال الإدراك، ولا يعرف، ولو مع وجود أثره في غيره[2]. مثال ذلك اللانهاية في الحساب لا يمكن إدراكها إلا بتحديدها وإذا حددت صارت منتهية، أو قسمة عدد على أعداد أقل من الواحد يعمل على تكبير النتيجة كلما صغر العدد القاسم، وإذا عكسنا العملية فإن العدد المقسوم على اللانهاية نقول عنه تؤول النتيجة إلى الصفر، نحن نستعمل الصفر واللانهاية كثيرا في العلميات الحسابية؛ لكنا لا نستطيع تصورهما في الواقع إلا بالتجريد. وذلك لان حواس الإنسان محدودة بين عتبتين، قصوى ودنيا لا يمكن إدراك ما هو خارج مجال الإدراك المحدود بين العتبة القصوى والدنيا، وتصور العلم وصناعة الوسائل التي تعمل على توسيع مجال الإدراك في السمع والبصر، ما هي إلا عملية نقل لصورة العينة من خارج مجال الإدراك بالتكبير والتصغير إلى مجال الإدراك. وهذا هو شأن الوسائل المادية في إيضاح ما ليس بواضح بالحاسة المجردة. وفائدة تحديد مجال الإدراك هي رفع التداخل بين مظاهر الأشياء وصورها، وذلك لطف من الخالق: مثل مجال إدراك العين البشرية للأشعة الضوئية المسماة بالأشعة المنظورة محصور بين اللون الأحمر الذي طول موجته 7600-6200 A°، واللون البنفسجي الذي طول موجته 4200-3900 A°. وخارج هذا المجال من الجهتين ما تحت الأحمر، أو فوق البنفسجي لا يرى لدى الإنسان[3]. ومن التجربة وجد أن الألوان تتغير خارج هذا المجال، كما وجد أن الأشعة خارج عن المجال المنظور ذات قدرة مدمرة لكثير من الأحياء، ومن لطف الخالق أن أغلب الأشعة الواردة للأرض من الشمس محصورة داخل المجال المنظور، والمراد من هذا المثال هو بيان حدود

---

[1] -ابن سينا الشفاء.دار المؤسسة الجامعية.بيروت.ط(1982). ص: 218-219.

[2] - لكونت دي نور. مصير الإنسان.ترجمة:خليل الجر.المطبعة البولسية.بيروت.ط(1967م). ص: 21-24.

[3] - عبد الفتاح رياض. التصوير بالأشعة غير المنظورة.دار الهنا.ط1(1964م).ص: 14-15.

مدارك الإنسان في مجال المخلوقات، فكيف به أن يتعداها إلى محاولة إدراك صفات الخالق بضرب أمثلة من المخلوقات، ومن ثم يستلزم أن كل ما أدركه الإنسان فهو واقع لا محالة ضمن المخلوقات، وذلك يوافق قوله تعالى" ليس كمثله شيء"، لأن المخلوقات محددة بمجالات ثنائية والحالة الثالثة إن وجدت فهي توسط بين الطرفين الأقصى والأدنى وهي نسبية، مثل حالة الحركة والسكون، فكل جسم إما متحرك أو ساكن، ولا توجد حالة ثالثة لا هي حركة ولا سكون، وكذلك حالة الحيز إما نور أو ظلام، ولا توجد حالة خارج النور والظلام، أو حالات المادة الغازية، والصلبة والسائلة، ووجود حالة رابعة بينها صعب؛ لأنها قد تكون مرحلة عبور بين أحد هذه الحالات إلى حالة أخرى وهي غير مستقرة، وبالتالي إدراكها غير ممكن، إلا ما يحدث عنها من آثار، وهذا ممكن، أما نظرية الكمون فوجودها محال لعدم وجود حالة بين العدم والوجود للأشياء، فالمخلوقات إما موجودة أو معدومة لا غير، وإذا كان الكمون حالة يمر بها المخلوق، فهي غير مشاهدة ولا يوجد لها أثر في تفاعلات المخلوقات، إذاً فهي معدومة.

2- نظرية الخلق المستمر: جاء في كتاب أبي الحسين الخياط الرد على ابن الروانديِ الملحد أن النظام قال: " إن الله يخلق الدنيا وما فيها في كل حال من غير أن يفنيها، ويعيدها وهذا أيضا لم يحكه عنه غير عمر بن بحر الجاحظ وقد أنكره أصحابه عليه"[1]. وبغض النظر عن صحة نسبة هذه النظرية للنظام، لكن ورودها دليل على أنه يوجد من قال بها، ولعلها مستمدة أصلها من القرآن الكريم من قوله تعالى: " إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا(41 فاطر)، لكن عند النظر في مدلول النظرية يبدوا وكأن الله خلق الكون بإخراجه من العدم بقوة؛ وإذا لم يجدد هذه القوة على الدوام لإمساكه في الوجود فإنه سيعود بفعل معاكس إلى العدم، وهو تشبيه لصفات الله بالظواهر الطبيعية، وهذا المفهوم لا يتوافق مع دلالة الآية السابقة لأن القصد منها: تماسك

---

[1] - الخياط. الرد على ابن الوراندي الملحد. ص: 29 ؛ والبغدادي. الفرق بين الفرق. ص: 141.

الكون وانتظام أجزائه بدقة وبدون ظهور تلك القوة القاهرة المسيرة له؛ لئن زال هذا التماسك والحفظ الذي سيقع عند قيام الساعة، هل يستطيع أحد حفظ هذا الكون؟.

وفي ذلك إعجاز على وجود خالق قادر قاهر[1]. " إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا كراهة أن تزولا فإن الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ يمنعهما أن تزولا لأن الإمساك منع ولئن زالتا إن امسكهما من احد من بعده، من بعد الله، أو من بعد الزوال حيث أمسكهما ولكانتا جديرتين بأن تهدا كما قال: تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخرُّ الْجِبَالُ هَدًّا(19)(مريم)"[2].

أي أن الله لما خلق الكون جعل فيه نواميس تضبط العلاقات بين أجزائه تحت رعاية الخالق ولو أوكله لذاته لاختلطت، وتضاربت القوانين، وسادت الفوضى. لكن حتى وقوع التضارب والفوضى ليس خارجا عن قدرة وعناية الخالق، والنص جاء يتحدى الذي يريد خرم النظام القائم. أو إمساكه إن أزاله الخالق، ومن ثم تكون عملية الخلق المستمر لا على ما يراه النظام، حتى الكون عنى الدوام؛ بل هي ثبات الخلق على هيئته التي خلقه الخالق عليها تحت رعايته، والعجز عن إتيان ما يماثله من سواه، أو منعه من الزوال إن أراد الله له ذلك، لقوله تعالى:" هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلْ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ"(11لقمان).

ثانيا: قضية الخلق عند الفلاسفة: الفلاسفة هم المفكرون الذين يبحثون في قضايا مبدأ الخلقية ومصير الإنسان في حياته بالاعتماد على العقل؛ وقد اختلف في تحديد مفهوم الفلسفة ودورها في الفكر الإنساني حسب أعراق الشعوب، والعصور التاريخية التي مرت بها المعرفة الإنسانية[3]. لكن مفهومها العام يتضمن معنى الحكمة، وكانت أهم الموضوعات التي ناقشتها الفلسفة، قضية الخلق بأبعادها: العقلي والنفسي، والمادي والزماني، وبحسب تصور هذه الأبعاد وتعريفها

---

1 - السيد قطب. في ظلال القرآن.دار الشروق.ط24(1995م). 2948/5.

2 - البيضاوي . أنوار التنزيل وأسرار التأويل.دار الفكر.د.ط.ت. ص: 580.

3 - وليم جيمس. بعض مشكلات الفلسفة.ترجمة:فتحي الشنيطي.مطبعة مصر.د.ط.ت. ص: 13-16؛ وعبد الرحمن مرحبا.من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية.المطبوعات الجامعية.الجزائر.ط3(1983). ص: 2637؛ ونخبة من العلماء. الموسوعة الفلسفية.ترجمة:سمير كرم.دار الطليعة.بيروت.ط6(1987م). ص: 336-354.

اختلف الفلاسفة إلى طائفتين؛ طائفة قالت بقدم العالم، وأخرى قالت بحدوثه ردا على الأولى، وذهب بعضهم إلى أن خلق العالم من مادة أزلية غير مخلوقة، فقالوا: " إن الصانع ما خلق من العدم إنه يستعمل عناصر موجودة ليوجد أشكالا جميلة إنه لا يخلق الوجود، بل النظام والجمال"[1]. وقد قال بهذا أفلاطون، أما أفلوطين وأبرقليس فقالا بنظرية الفيض[2]، ثم أخذها عنهما الفارابي، وابن سينا وأخوان الصفا، إذ يرى الفارابي: إن الموجودات تصدر عن الأول من جهة الفيض، وجود لأن الوجود يفيض فيضا ضروريا إلا أنه ليس لغاية لأن الخالق لم يوجد لأجل غيره، بل أن هذا الإيجاد جود منه[3]، بينما ابن سينا يرى أن عملية الفيض بدأت بالعقل الأول (المعلول الأول)، ثم يرتبها حسب الأفلاك إلى أن تصل إلى العقل المقارن العاشر الفعال الذي يتوقف عنده الفيض، ويفيض منه عالمنا عالم دون فلك القمر[4]، ويرى أخوان الصفا والاشراقيون أن الوجود يصدر عن الواحد صدور النور عن الشمس، أو الحرارة عن النار، وأول ما فاض عن الواحد العقل الذي فاضت عنه النفس التي فاضت عنها المادة فيضا ضروريا أزليا[5].

ودلالة الفيض تفضي إلى " أن الله مفيض للموجودات كلها وإن ما يوجد عنه غير متأخر عنه بالزمان، بل بالذات والرتبة... ومتى وجد للأول الوجود الذي هو له لزم ضرورة أن يوجد عنه سائر الموجودات"[6]. وهذا جعلنا نتصور "أن الفيضيّين يرون أن الله يفعل بطبيعته وليس عن روية وتجربة، وكل شيء يفيض عنه مثلما يفيض عن الشمس نورها"[7]. أي يكون مجرى

---

1 - بوملحم فيصل. أصول الفلسفة العربية. المطبعة الكاثوليكية. بيروت. ط2(1967). ص: 69.

2 - الشهرستاني. الملل والنحل. ص: 153-154؛ و يحي هويدي. دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية.دار الثقافة. القاهرة.ط(1985م). ص: 163-170.

3 - الفارابي . المدينة الفاضلة. دار موفم. الجزائر. ط(1987م). ص: 39-44.

4 - مصطفى غالب. في سبيل موسوعة فلسفية (ابن سينا).دار مكتبة الهلال. بيروت.ط(1985م). ص: 47؛ ومحمد عبد الرحمن مرحبا. من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية. ص: 506-512؛ وماجد فخري. تاريخ الفلسفة الإسلامية.دار المتحدة. بيروت.ط(1974م). ص: 207-208.

5 - إخوان الصفا. جامعة الجامعة.تحقيق:عارف تامر.دار الحياة. بيروت.د.ط.ت.ص: 96؛ وموسى الموسوي. من السهر وردى إلى الشيرازي .دار المسيرة.ط1(1979م).ص: 21.

6 - حسام الألوسي. حوار بين الفلاسفة والمتكلمين. المؤسسة العربية. بيروت.ط2(1980م). ص: 25

7 - أبو يعرب المرزوقي. مفهوم السببية عند الغزالي.دار بو سلامة.تونس.ط2(1985م).ص: 28.

الحياة ضروريا، وكل ما يحدث يصدر عن الخالق طبعا وهذا ينفي حكمته تعالى، وإرداته المطلقة وعلمه المحيط، ومن ثم يكون تدليلهم عن وجود العالم بإمكانية وجوده فهو لم يسبق بامتناع، ثم أصبح ممكنا وهذا لا أول له، إذا فالعالم قديم " لم يزل موجودا مع الله تعالى ومعلولا له ومسوقا له غير متأخر عنه بالزمان مساوقة المعلول للعلة ومساوقة النور للشمس"[1]. يلاحظ أن هذه الفرضية على مدارك العقل تلغي كل ما لا يدركه؛ لأن الإشكال يتعلق بأمر تعليل الوجود القائم على المكان والزمان وما يتولد منهما من حركة وسكون، وقد ناقش الكندي تعريف المكان والزمان، ودلل على وجودهما فقال: "أما المكان فقد اختلف فيه الفلاسفة بسبب غموضه، وخفائه فقال بعضهم أنه لا يوجد مكان بتة، وقال بعضهم أنه جسم كما قال أفلاطون، وقال بعضهم أنه موجود لكنه ليس جسما.. ونحن نسمي ما يحوي الجسم مكانا"[2]. وهو الحيز الذي يشغله الجسم. ويذهب الكندي: إلى أنه لا يوجد مكان خال من جسم يشغله والعكس. وذلك لوجود أحدهما مضافا للآخر اضطرارا، ومن ثم ينعدم وجود الخلاء، والملاء بعد العالم؛ لأنه لا يمكن وجود مكان وجسم بلا نهاية، ولا يوجد خلاء بعده، أما الزمان ليس سوى العدد أي عدد للحركة متصل غير منفصل[3]. أي أنه اعتباري ناتج عن حركة الكائنات وسكونها لتعلقه بوجود المتحرك والساكن لا غير. وكل ما هو خارج الحركة والسكون فوجوده لا زماني، ومن هذه التصورات توصل الفلاسفة بأفكارهم: إلى أن التلازم بين وجود الخلق والخالق زمانا حتما، فقالوا بالفيض ليعدم الفارق الزماني. والذين قالوا: أن لعالم بداية تصورا أن المادة الأصلية (الهيولة) قديمة غير مخلوقة، وبدأ الخلق منها، وبذلك يكون وجود العالم داخل الزمان، لأن الفناء لا يمكن تصوره لعدم وجود ما يماثله أو ما يشبهه في مجال الإدراك العقلي للبشر.وبالتالي تصور العدم أكان سابقا أم لاحقا للوجود معناه لا شيء موصوفا، ولا صفة، لكن الوجود يثبت العدم بغيابه، والله سبحانه وتعالى قادر على الإيجاد من العدم المحض

---

[1] – الغزالي: أبو حامد. تهافت الفلاسفة. ص: 48.

[2] – حسام محي الدين الألوسي. فلسفة الكندي.دار الطليعة.بيروت.ط1(1985م). ص: 194-195

[3] – المرجع السابق. ص: 208-209.

وإعدام الموجود في أي حال وآن شاء، إعداما محضا، على خلاف ما ذهب إليه المعتزلة في قولهم عن الله سبحانه وتعالى يخلق الفناء "لا في محل ، فيعدم كل العالم دفعة واحدة وينعدم الفناء المخلوق بنفسه حتى لا يحتاج إلى فناء آخر فيتسلسل إلى غير نهاية"[1]. ولذا تبدو قضية بدء الخلق هي الأرضية التي ترسى عليها التصورات، والمعتقدات عند أهل الأديان والفلسفات، ونظريات الفلاسفة ترفض التسليم والتفويض بالأمور التي تعد أسرارا لا يدركها العقل، وتأسس البحث فيها على المعقولات التي تقوم على مقدمات ونتائج تعبر عن موقف الفيلسوف[2]. سواء تحليلا أم تركيبا.

الاختلاف بين علم الكلام والفلسفة هو أن "الكلام خاص بدين معين فهو جدل يدور حول أصول دين بعينه، ولكن الفلسفة تبحث عن الحقيقة على وجه العموم، ومن حيث المنهج نجد أن الكلام يبدأ من مسلمات عقائدية يفترض صحتها؛ أي أن المتكلم يبدأ من قاعدة معترف بها، ثم يلتمس الطرق التي تؤدي إلى إثبات هذه القاعدة، أما الفيلسوف فإنه يبدأ من درجة الصفر "من قواعد المنطق الأساسية والمقدمات البديهية ويتدرج منها إلى النتائج مستخدما منهجا عقليا صرفا"[3]. بينما ينهج المتكلم طريقة البرهان العقلي في أقوال الخصوم ليصل بهم إلى نتائج ملزمة، وكذلك يعمل بطريقة تأويل ما أشتبه إلى ما أحكم في النصوص الثابتة[4]. مع التفويض والتسليم ببعض الأمور التي تعد من الأسرار الإلهية، ومن صفات الخالق التي لا يدركها العقل، ومن ثم جميع النظريات، والفرضيات التي جاء بها المتكلمون والفلاسفة و لم ينص عليها الوحي فهي من إنتاجهم، ولا تنسب إلى علم التوحيد، أو الكلام، والقول بالكمون فما هو إلا فرضية لصاحبها النظام.

---

[1] – الغزالي. تهافت الفلاسفة. ص: 84.

[2] – محمود زيدان. مناهج البحث الفلسفي.دار الأحد.بيروت.ط(1974م). ص: 121-125.

[3] – محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام.دار النهضة العربية.مصر.ط1973م). ص: 121-125.

[4] – علي الشابي. مباحث في علم الكلام والفلسفة.دار بو سلامة. تونس.ط2(1984م).ص: 19؛ ومحمد على أبو ريان . المرجع السابق. ص: 135.

عند إمعان النظر في هذه النظريات يلاحظ أن نظرية الفيض تعد الأصل المصَدِّر لجميع النظريات الأخرى كصدور الكامن من مصدره؛ ما هو إلا فيض عنه، ولما حوربت هذه الأفكار تبناها جماعة من "المتصوفة وأبرزوها في صور أخرى"[1]. مثل وحدة الوجود التي نسبت لابن عربي الذي " يرى أن لا موجود إلا الله ... فهو الوجود الحق، والوجود كله، ولا موجود سواه.. وأن ليس ثمة خلق على نحو ما يذهب المتكلمون، بل مجرد فيض وتجل"[2].ويعتقد بن عربي: أن كل المخلوقات مظهر لتجليات الخالق وصورة من صوره ولكل مخلوق وجه من الخالق ووجه من الخلق[3]. أما بن سبعين فقال بالفيض وترتيب الموجودات التسعة[4]. وذهب الكاشاني إلى مفهوم آخر في صدور العالم عن المولى عز وجل فقال: "كل موجود تام فإنه يفيض على ما دونه مما في جوهريته وصورته المقومة لذاته ما لو أمسك عنه لبطل ذلك الفيض مثال ذلك النار فإنها تفيض على ما حولها من الأجسام التسخين والحرارة وهي جوهريتها والصورة المقومة لها، ومتى لم تتوفر منها الحرارة متصلا عدمت وبطلت... وذلك لأن الفيض ما دام متواترا متصلا دائما دام المفاض فإن انقطع فهكذا وجود العالم من الباري سبحانه... ليس بجزء من ذاته بل فضل وفيض يتفضل به وينيض"[5]. القول هنا صريح وواضح الدلالة في تقعيد الفيض عقيدة لدى الكاشاني، وخاصة عند ربطه الوجود بالزمان؛ أي جعله قديما لم يسبق بزمان لم يكن فيه موجودا " فالزمان والحركة بهويتهما الامتداديتين الغير القارتين فاضا من الحق الفياض فيضة واحدة في متن الواقع، وظرف الإيداع بالإحداث والإيجاد بلا زمان وامتداد فصار لك سببا لتجدد المتجددات وتعدد الإضافات"[6].إلا أن مفهوم الفيض

---

1 - إبراهيم مدكور. في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه.دار المعارف.مصر.ط3 (1983).ص: 57/1

2 - إبراهيم مدكور، المرجع السابق، ص: 73/2.

3 -عناية الله إدلاع الأفغاني. جلال الدين الرومي بين الصوفية علماء الكلام.الدار المصرية.ط1(1987). ص: 160؛ ومحي الدين بن العربي. فصوص الحكم. دار موفم .الجزائر. ص: 01.

4 - ابن سبعين . بد العارف.تحقيق:جورج كتورة. دار الأندلس.بيروت.ط1(1978م). ص: 39-66-112.

5 - الكاشاني. قرة العيون.دار الكتاب العربي. بيروت.د.ط.ت. ص: 374-375

6 - الكاشاني. المرجع السابق. ص: 379.

عنده يدل على تجدد الخلق في كل آن؛ أي أنه فيض مستمر ومتجدد عبر الزمان، ولو انقطع لفني العالم ، من قوله : "ولما لم يكن الوجود ذاتيا لسوى الحق بل مستفادا من تجليه افتقر العالم في بقائه إلى الإمداد الوجودي الأحدي مع الآنات من دون فترة ولا انقطاع إذ لو انقطع الإمداد المذكور طرفة عين لفني العالم دفعة واحدة "[1]. لقد أثبت الكاشاني نظرية الخلق المستمر التي قال بها النظام، إلا أنه يصرح في أقواله أن العالم يشده الفناء إليه والله يمسكه ويمنعه من الفناء في كل آن وذلك مستمر منذ وجود الكون بقوله تعالى: "كن" " فهو الله سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن بلا حرف ولا صوت فيكون، فإذا كان أشرف على العدم لهلاكه الأصلي وبطلانه الذاتي فيقول الله جل جلاله ثانيا كن فيكون ثانيا. بهذه الكلمة الثانية وإن شئت قلت بتلك الكلمة الأولى بعينها لأن أمر الله واحد وكلمته واحدة إلا أنها ثانية في حق العالم فإذا كان ثانيا أشرف على العدم من ساعته فيقول الله عز سلطانه ثالثا كن فيكون ثالثا، هكذا إلى ما شاء الله"[2]. ولم يبين الكاشاني سبب هلاك العالم عند انقطاع أمر الكينونة من الخالق بمعنى هل هناك قوة تنازع أمر الله بإفناء خلقه؟ ما هو مصدرها؟ أهي مخلوقة من الباري سبحانه.؟ أم هي ندٌ له تبطل عمله سبحانه وتعالى. في حالة حسن الظن بالكاشاني يمكن القول أنه أراد تصور الفناء والعدم فتخيل العدم هو: تلاقي موجب بصورته السالبة نتج عن ذلك عدم وجود الموجب الموجود في الوجود، وهذا يؤدي إلى وجود عالمين، عالم موجب، وآخر سالب متطابقين تماما، وهذا لم ينص عليه الوحي، ولا يقبله العقل؛ لأنه لو كان كذلك لصار فناء الكائنات يتم باصطدام صورتي المخلوق الموجبة بالسالبة، ولأحتاج ذلك إلى واسطة عبور بين النقيضين، وهذا غير حادث وإذا تصورناهما معا في عالم واحد مثل الشحنتين الموجبة والسالبة؛ حيث تظهر كل منهما على حدة، وكلما وصلا بتوصل أفنت كل منهما أثر وجود الأخرى ظاهريا، وهذا ليس دليلا على فنائها، وإنما هو تعادل حصل بتداخلهما، كما أنه يمكن إعادة فصلهما بقوة عن بعض، مثل الطابع وقالبه إذا وضعا بتقابل يغطي كل منهما الآخر الذي هو

---

[1] -الكاشاني، المرجع السابق، ص: 378

[2] -الكاشاني، المرجع السابق،، ص:380.

وجه سالب له فلا يشاهد الصورة الموجبة ولا السالبة له، لكن عند أبعادهما عن بعض تظهر كل واحدة على حدة. والنتيجة واحدة من أقوال الخائضين في هذا الأمر دون تسليم للأسرار الإلهية، أو التوقف عند حدود ما لا يدرك لأن إخضاع جميع الأمور للعقل البشري يؤدي إلى تصور غير صحيح، أو نفي ما هو ثابت وهذا يخالف العقل الحقيقي لأنه لا "معاندة بين الشرع المنقول أو الحق المعقول"[1]. أما قضية خلق الكائنات الحية والإنسان في النظريات السابقة فهي مندرجة ضمن غيرها من المخلوقات، إلا أن هناك فرضيات تبين ترتيبها، وصدورها.

ابن رشد يرى أن المركبات العضوية "وهي أجزاء النباتات والحيوان، أي أجزاء الكائن الحي عامة، وهو آخر مرتبة من مراتب الموجودات المركبة في عالم الكون"[2]، وذهب ابن سبعين في ترتيب المخلوقات إلى أن الجزيئات وهي أجسام المولدات ترتقي من الأنقص إلى الأرفع، من الجمادات إلى الكائن الحي النامي إلى الحي العاقل، فقال: " تنتقل من المعدن إلى النبات، ثم إلى الحيوان، ثم إلى النفس الناطقة، ثم إلى العقل الفعال، ثم إلى العقول المجردة"[3]، وهذه الفرضية قال بها زكريا بن محمد القزويني بقوله : " فإن المعادن متصلة أولها بالتراب أو الماء وآخرها بالنبات. والنبات متصل أوله بالمعادن وآخره بالحيوان، متصل أوله بالنبات، وآخره بالإنسان"[4]. وقال ابن خلدون بالفرضية نفسها في باب إثبات الوحي واتصال الأنبياء بالعلم الروحاني[5]. إلا أن أحمد بن سهل البلخي فصل في فرضية صدور الإنسان، حيث يبين أن آدم حيوان تولد من رطوبة الأرض، كما يتولد سائر الهوام، وكان جلده كجلد السمكة[6]، ثم

---

[1] – العراقي. الاقتصاد في الاعتقاد.دار الكتب العلمية.ط1(1983م). ص :3.

[2] – سميح الزين. ابن رشد.دار القاموس الحديث.بيروت.د.ط.ت. ص: 53.

[3] – ابن سبعين.المرجع السابق. ص: 112.

[4] – زكريا ابن محمد القزويني. عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات.مطبعة البابي الحلبي.القاهرة.ط4(1970).ص: 241.

[5] –ابن خلدون .المرجع السابق. ص: 96.

[6] –أحمد ابن سهل البلخي. البدء والتاريخ.تحقيق:خليل عمران المنصور.دار الكتب العلمية.بيروت.ط1(1997). ص: 144/1؛ومحمد علي يوسف . مصرع الدراوينية.دار الشروق.بيروت.ط1(1983). ص: 7 .

تطور بمرور الزمن من مرحلة إلى مرحلة حتى صار إنسانا، ومن ثم مقارنة الفرضيات الحديثة يتضح أنها مقدمة لما جاء به دي لامارك، وداروين لاحقا، مع الفارق البين.

أهل المعرفة الإسلاميون توصلوا لهذه الفرضية لعلمهم أن جميع المخلوقات مسخرة للإنسان وبالتالي يستلزم أن يكون آخر المخلوقات خلقا، وما دامت المخلوقات مسخرة له بمعنى أنها من مكونات بيئته التي يعيش فيها يتطلب ذلك أن يكون جسده يتركب من المركبات نفسها التي في محيطه تبعا لنواميس الخالق في مخلوقاته، وذلك دليل على وحدانية الخلق لخالق واحد؛ مما يدل على وحدانية الخالق؛ على عكس ما استخدمت له هذه الفرضية عند علماء الغرب الذين جعلوا منها إثباتا للإلحاد.

ثالثا: قضية الخلق في الأوساط العلمية: كانت الريادة العلمية للمسلمين قبل نهضة أوروبا، آنذاك حث حكام المسلمين العلماء على البحث، والسعي وراء طلب العلم، وقدموا لهم مساعدات. كبناء المراصد وإنشاء المدارس، وتخصيص رواتب مالية للمعلمين، وتقديم جوائز لمترجمين على عكس الأمم السابقة[1]، التي كانت يحتكر فيها العلم لطبقة دون غيرها في المجتمع مثل "كهنة المصريين القدماء كانوا يستأثرون بالعلم لأنفسهم، ويعتبرونه حقا لهم دون غيرهم، ويعدونه سرا من الأسرار الإلهية حبتهم إياه الآلهة، وجعلته مقصورا عليهم "[2]. وكذلك اليابسون والخثيون. هذه الأمم استطاع علماؤها أن يتوصلوا إلى كثير من المكتشفات الأساسية في العلوم التجريبية، التي أسس عليها علماء اليونان علومهم وخاصة في المجال النظري. مثل أعمال فيثاغورس، وإقليدس " يقول بروكلاس: عن الهندسة نشأت أول ما نشأت في مصر بسبب الحاجة المستمرة إلى إعادة مسح الأراضي"[3]. أما العرب قبل الإسلام ذكر القرآن الكريم منهم أقواما مثل عاد وثمود، وقوم تبع وهؤلاء امتازوا ببناء العمران وتشييد

---

[1] - حيدر بامات. إسهام المسلمين في الحضارة الإنسانية.ترجمة: ماهر عبد القادر،وعبد القادر البحراوي.دار المعرفة.د.ط.ت. ص: 78-104.

[2] - محمد فاتح الزرقوي، وأبو الفتوح محمد التونسي. الخوارزمي. الدار القومية للنشر.مصر.ط(1964). ص: 18.

[3] -المرجع السابق.ص: 53

السدود، وكثير من العلوم كعلم الفلك، والرياضة، وعلم الطبيعة، ولما جاء الإسلام لم يهمل تلك العلوم، بل حث عل تحصيلها وتهذيبها، وبين فضل العلم والعلماء في القرآن والسنة الشريفة، حيث أمر الرسول (ص) المسلمين بطلب العلم، فكان ذلك حافزا قويا للعلماء المسلمين في مجال البحث والتنقيب والسعي في نشر المعرفة، وإنفاق الأموال في تحقيق المعلومات وإثبات الكشوف في شتى المجالات، وكانت "العقيدة السليمة التي كان يؤمن بها العلماء وهي أن العلم لا يسخر إلا في خدمة الناس وما ينفعهم"[1]. مما استنهض همة العلماء للكشف عن القوانين وإجلائها وتجريدها من الأوهام والأساطير[2]. ومن بين هؤلاء العلماء البيروني الذي "لم يكن ينقطع لحظة واحدة عن الكتابة، أو التأليف، أو لتحقيق الأرصاد الفلكية أينما كان وحيثما ذهب"[3]. إذ توصل إلى حساب قطر الأرض، وأنها تدور حول الشمس. وجاء في كتبه أن البحر يتحول إلى أرض بمرور الزمن، وتتحول اليابسة إلى بحر خلال حقب متوالية[4]. وللبيروني عدة مؤلفات، ومقالات في مختلف العلوم، كما أنه نقل عدة نظريات من لغات الهند وفارس إلى العربية، وكذلك الخوارزمي الذي قام بتطوير علم الفلك والرياضة ولا تزال نظرياته في الجبر والتحليل قائمة إلى حد الآن[5]، وغيره كثير أمثال البتاني، وابن هيثم وجابر ابن حيان... الخ.

ولم يستطع هؤلاء العلماء، وغيرهم من التوصل إلى الكشوف العلمية الدقيقة إلا نتيجة لتعاليم الوحي الملتزمة بالأخلاق الكريمة، وتسخير العلم للمنفعة العامة، وهذا هو الفارق العظيم بين علماء الأمة الإسلامية وعلماء الأمم الأخرى السابقة واللاحقة، ومن هذا المنطلق استنبط منهج البحث العلمي في تحقيق معارف تخدم الهدف الأساسي في حياة الإنسان، من حيث حفظ عقيدته ونفسه وتسخير الكائنات والطبيعة له، وهذا أدى إلى تحرر البحث العلمي من وصاية

---

[1] - محمد عاطف البرقوقي، وأبو الفتوح محمد التوانسي. المرجع السابق. ص: 82.

[2] - محمد عقله. الإسلام حقيقته وموجباته.دار الشهاب.الجزائر.د.ط.ت. ص 96.

[3] - بركات محمد مراد. البيروني فيلسوفا.دار الصدر.مصر.ط1(1986م). ص: 15.

[4] - محمد عاطف البرقوقي، وأبو الفتوح محمد التوانسي.المرجع السابق. ص: 59؛ والسيد الجميلي . الإعجاز الكوني في القرآن، دارالشهاب. باتنة. د.ط.ت. ص: 28.

[5] - قدري حافظ طوقان. العلوم عند العرب.إدارة الثقافة.مصر.ط(1956م). ص: 104-111.

وتوجيه طائفة دون غيرها، وأدى إلى تحديد طرق تضبط البحث بشقيه العقلي والطبيعي، المتمثلان في القياسات والتجارب، قال هيمولدت: "يعتبر العرب هو المؤسسون الحقيقيون لعلم الطبيعة"[1]، وقد سخروا القوانين الطبيعية لخدمة الإنسان في دينه ودنياه، ولم تكن نظرة المسلمين الأوائل إلى تطوير العلوم الطبيعية من أجل البحث عن حقائق جاء بها الوحي فقط، بل أخذوا منه التوجيهات في مجالات البحث، وكانوا السباقين لضبط كثير من النواميس التي تحكم المادة، وصنفوا الكائنات الحية، وكان أول من تبحر في هذه العلوم خالد بن يزيد بن معاوية الذي أهتم بعلم الطب والكيمياء، وهو أول من نقل هذه العلوم إلى اللغة العربية، وله في ذلك مصنفات منها كتاب الحرارات، وكتاب الصحيفة الكبير[2]، وسار على منوال خالد كثير من العلماء، منهم من ترجم علوم السابقين، ومنهم من ألف في علم الهيئة والفلسفة، ومنهم من أهتم بالعلوم التطبيقية التي تستخدم في الحياة العملية كفن العمران، والري، والزراعة وحساب المساحات والأثقال، والبصريات، والحركة والسكون، ومن بين هؤلاء الذين برزوا في هذا المجال: جابر بن حيان الذي قعد علم الموازين، وقياس الطبائع والكميات[3].

خلال هذه الحقبة الزاهية بالتطور العلمي في العالم الإسلامي كانت أوروبا تغط تحت وطأة الجهل والقهر الكنسي، ويعود ذلك إلى أن الإسلام جاء بما يحفز همة الإنسان في البحث والتدبر في ملكوت الخالق، بل جعل ذلك من مهمات الإنسان في الأرض فعمق حاجاته الطبيعية بتسخير المخلوقات، ومن ثم كانت " الحاجة أم الحضارات الإنسانية. ذلك أن النفس البشرية فطرت على شوق لا حد له إلى الرفاهية والسيطرة...فالمثل الأعلى للإنسانية يكمن وراء عدد لا يحصى من الحاجات كلما حصل على واحد منها اتسع مجال طموحه إلى ما يليها"[4] في حين

---

[1] – حيدر بامات. المرجع السابق. ص: 106.

[2] –خليل داوود الزرو. الحياة العلمية في الشام. ص: 177–178؛ و وحيد الدين خان.أقضية المعت الإسلامي.ترجمة:محسن عثمان الندي.دار الصحوة.القاهرة.ط(1984م). ص: 92–93.

[3] – عمر فروخ. تاريخ الفكر العربي. ص: 256–261؛ وهنري كوربان. تاريخ الفلسفة الإسلامية. ص: 202–209؛ وقدري حافظ طوقان. العلوم عند العرب. ص: 101، 97–103؛ ورنيه تاتون. تاريخ العلوم العام. ص: 439/1.

[4] – هل. ي. الحضارة العربية.ترجمة:إبراهيم احمد العدوي.المكتبة الأنجلو مصرية.ط(1956م). ص:1.

كانت الكنيسة تحظر طلب العلم ونشره، وخاصة العلوم الطبيعية لظن أن تلك الكشوف العلمية تؤدي إلى هتك المعتقدات، والكفر، فقاومت الكنيسة تعلم العلوم الحديثة[1]، وحرقت كتب الباحثين، وأنشأت محاكم تفتيش " تلاحق الباحثين، فأغلقت هذه المحاكم سبل الإصلاح الديني والتقدم والحضارة إلى حد كبير خلال عدة سنوات، وكذلك قتلت ألوفا من دعاة الإصلاح والتقدم بوحشية غريبة"[2]. ففي سنة 1277 "أدين جمع من الطلبة بإعدامهم بواسطة الخازوق... وقتل ثلاثة من خيرة المدرسين الباريسيين الممتازين.. وأحد أولائك هم سيجردي برنت (Sigere de Brabant) [3]، وفي سنة 1163م أصدر مجلس توروس البابوي، قرارا يوجب على المدارس الطبية أن يهملوا تعليم الجراحة"[4] لأنه لا يجوز تغيير خلق الله في حين كان الأطباء العرب يشيدون مقاما رفيع للعلوم وخاصة الطب وقسم الجراحة منه. مما أدى إلى نشوء حركة علمانية مضادة للكنيسة، ولما تقوت هذه الحركة أحس الرهبان والباباوات بإفلات زمام الأمر من أيديهم فقام بعضهم بحركة إصلاح ديني داخل الكنيسة...عن التقاليد المتعلقة بدراسة كتابات الآباء فقال: عن تضحية المسيح ليس تكفيرا على خطيئة شيطان، وإنما كانت تضحية ربط الله لخلقه عن طريق الحب" فيما يرى القديس برنار أن اعتقاد أبيلاردو لا يمكن قبوله لأنه استخدم العقل في علم اللاهوت"[5]. ولما كانت هذه الإصلاحات رد فعل عن العلمانية ومحاولة كسب للوقت والموقف، " ولم يكن هذا الإصلاح مطابقا للسنة الطبيعية كما أنه لم تبذل الجهود المخصصة لجعله كذلك"[6]. تواصلت حركة التحرر في جميع الاتجاهات، وبدأت الكشوف العلمية تتوالى على أوروبا، وترجمت أغلب المخطوطات الإسلامية وبالأخص تلك المتعلقة بالعلوم الطبيعية

---

[1] – وحيد الدين خان.المرجع السابق. ص:93.

[2] – محمد تقي الأميني الندوي.عصر الإلحاد.ترجمة:مقتدى حسن ياسين.دار الصحوة.القاهرة.ط(1984).ص:38.

[3] – كولسون.ج.ج.عالم العصور الوسطى.ترجمة جوزيف نسيم يوسف.مؤسسة الشباب.الأسكندرية.ط(1983م).ص:233.

[4] – قدري حافظ طوقان.العلوم عند العرب.ص:25.

[5] – كولسون.ج.ج.المرجع السابق.ص:221-222؛ولويس غوادية،وفواتي.فلسفة الفكر الديني.ترجمة:صبحي الصالح،وفريد جبر.دار العلم للملايين.بيروت.ط1(1967م).321/1.

[6] – محمد تقي الأميني الندوي.المرجع السابق.ص:40.

والرياضة، ودرست بمنهج علماني، فضاعت الأخلاق وظهر الشعور بالقوميات، والتحيز العنصري، وعلى هذه الأسس وضعت مناهج البحث والتعليم، وصار التجرد من الفكر الديني من خطوات البحث العلمي والتعليم، ولذلك كانت أكبر هموم علم الفلك والطبيعة وعلم الأحياء عندهم: البحث في بدء الخليقة باعتبار أنه لا يوجد خالق يعلل وجود هذا الكون [1].

وقد جاءت جميع الفرضيات التي وضعها الباحثون تفسيرا لنشوء الكون تنطلق من وجود مادة أصلية أزلية وهي: السديم الكوني، ونتيجة لتفاعلات ما حدث انفجار أدى إلى ولادة المجرات والنجوم والكواكب.

أما الحياة فنشأت في كوكبنا عن طريق المصادفة تشكلت المادة الحية في المياه ومنها نتجت أول حنية حية توالدت وأعطت بواسطة التطور هذا الكم من الأجناس والأنواع الحية المنقرضة والباقية. واعتمد أصحاب هذه الفرضيات على ترتيب تاريخي لوجود أصناف دون أخرى أثناء حقب تاريخية بحيث يمكن أن تعطي تحليلا معقولا يدعم صحة النظريات، وخاصة عندما تم الكشف على ظهور الإنسان أنه متأخر عن غيره من الكائنات، فكان ذلك دليلا عندهم على نظريات التطور التي تقرر أن الدين ظاهرة اجتماعية شأنه شأن الثقافات، والحرف...الخ؛ لكن الابتعاد زمنيا عن الاضطهاد الكنسي، وزيادة تطور وسائل تحصيل المعرفة جعل كثيرا من الباحثين يقفون على حقائق، ودلائل دقيقة تثبت لهم أن لهذا الكون المنظم خالقا يرعاه ويقدر فيه مكوناته بموازين دقيقة، ومضبوطة تنفي وقوعها بالصدفة، أو من غير قوة عاقلة فاعلة مديرة حارقة أمرا مستحيلا.

أول إشكال واجه أصحاب فرضيات التطور هو حساب دورات الحياة للكائنات الحية لتصل إلى الكائن الحي الأول، الذي نتجت عنه الأحياء بواسطة الطفرة، أو التكيف، فوجد أن المدة الزمنية التي بدأت فيها الحياة على وجه الأرض غير كافية لإنتاج كل الأنواع بهذه الأعداد[2] وذلك لأن الفرضيات تأسست على الوقائع المحسة، وأبعد غيرها لقطيعة الفكر الديني. لكن وقع الحقائق العلمية يترك العقل يتفكر في التعليل الصحيح للكون، فبدأ بعض علماء الغرب يعترفون بحقائق غائبة عن العقل مثل ماندير(Mandire) قال: "إن الوقائع المحسوسة

---

[1] - وحيد الدين خان .قصية البعث الإسلامي .ص:46-48.

[2] - Ernst.mayr.la biologie de l'evoletion.Herman.éd(1978).pp: 1-2

هي أجزاء من حقائق الكون غير أن هذه الحقائق التي ندركها بالحواس قد تكون جزئية، وغير مرتبطة بالأخرى فلو طالعناها فذة مجردة عن أخواتها فقدت معناها مطلقا فأما إذا درسناها في ضوء الحقائق الكثيرة مما علمنا مباشرة أو بلا مباشرة فإننا سندرك حقيقتها"[1] المتمثلة في القوانين التي تضبط العلاقة بين أجزاء الكون. ومنهم من وصل إلى نتيجة أن هذا النظام لا يمكن أن ينتج صدفة ويستمر بلا رعاية من خالقه وبذلك أصبح العلم الحديث وسيلة جدل بين منكري الفكر الديني، وبين مثبتي حقائق الوحي، والمعتقدات الدينية وصار علم كلام جديد "قد كان علم الكلام القديم يبنى على نمط الاستدلال الفلسفي بينما علم الكلام الجديد يبنى على نمط الاستدلال الطبيعي وكانت الحقيقة تبرهن سابقا لمنطق القياس، ولكنها تبرهن في عصرنا هذا عبى الشهادات الواقعية"[2]، ولهذه الأسباب كان اتجاه العلم يتخذ من بقايا وآثار الكائنات الحية البائدة، والأطوار التي مرت بها المخلوقات دليلا على عدم وجود الخالق ويوعز عملية الخلق للصدفة أولا، ثم يوعز الرعاية والاستمرار إلى القوانين الطبيعية لكن يبقى إشكال لابد من بيانه وهو كيف استغلت أوروبا التراث العلمي الإسلامي في الطبيعة والرياضة؟ ثم انحرفت به عن المقاصد الكبرى التي عالج من أجلها المسلمون القضايا العلمية، ولاسيما أنهم الذين حرروا العلوم من الأساطير "وساروا فيها أشواطا جديدة بدفع من هذه النظرة القرآنية التي تبحث عن دقيق صنع الله الذي أتقن كل شيء وعن سنن الله في خلقه، تلك التي وضعت بالثبات والاطراد في قوله تعالى: "فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلا(43 فاطر)"[3] فهذه التعاليم الواردة في الوحي توضح نظرة الإسلام للعلم، بينما أصحاب العلم الحديث أرسوا قواعد معارفهم على نتائج التراث العلمي الإسلامي، فأخذوا منه الجانب الطبيعي الذي يخضع للتجربة، والاستقراء، والقياس، وهكذا صنفوا المعارف، فركنوا جميع الحقائق والقضايا المتعلقة بالوحي، أي كل ما يخضع للخبر والذوق، أو ما يدل على ما وراء الطبيعة؛ لأنهم لم يدرسوا علم الرواية والخبر الذي لا يخضع للتجربة، وإنما له قواعد عقلية تشبه المبادئ الرياضية، سواء كان هذا التوجه عن قصد، أم عن غير قصد فهو الداعي إلى انحراف العلم الحديث عن حقائق الوحي، وخاصة قضية الخلق التي تعد الأصل الذي على مفهومه تقوم بقية المعتقدات، ومن ثم كانت نظرة المنصفين من علماء أوربا إلى التراث العلمي الإسلامي على

---

[1] -وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى.ترجمة:ظفر الإسلام خان.دار المختار الإسلامي.القاهرة.ط7(1977م). ص: 63.

[2] -وحيد الدين خان. قضية البعث الاسلامي. ص: 103.

[3] -محمد المبارك الاسلام والفكر العلمي .دار الفكر.بيروت.ط1(1978).ص: 11-12.

أنه حلقة جد متطورة في تاريخ البشرية، نسبة لزمانها، أما الآن فهي بمثابة توطئة للنشاط العلمي الحديث لا غير، وسبب انتقال هذه العلوم إلى أوروبا هو ركود البحث العلمي الناتج عن إعاقة العلماء، وعدم الاهتمام بكشوفهم، وتسخيرها في العالم الإسلامي أثناء فترة الحكم التركي مما اضطر العلماء إلى الهجرة إلى أوربا التي كانت تترقب مجيئهم، وبذلك انتقلت الأعمال العلمية إلى أوربا والغرب،[1] هذا من جهة المشرق، أما من جهة المغرب فقد استولت أوروبا على تراث حضاري عظيم في الأندلس متنوع الفنون والاختصاصات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] - وحيد الدين خان. بعث اليقظة الاسلامية. ص 95.

المطلب الثاني

مفهوم الخلق في المنظور الإسلامي

تقوم جميع الحقائق العلمية والمعتقدات في الإسلام على قواعد مضبوطة لا تخالف المعقول، مصدرها الوحي (القرآن الكريم والسنة الشريفة)، لأنه الخبر المنقول عن الخالق، وبالتالي ينتفي التعارض بين الخبر المقروء والواقع المنظور، هذا هو المبدأ الأساسي الذي انطلق منه العلماء المسلمون في بحوثهم لاعتبار أن الكشف عن طبائع المخلوقات وقوانين الطبيعة دلائل محسة، يدركها العقل، ويتصور بيان حقائق الوحي المنقول " و إذا استخرجنا هذه النظرة من الكتاب والسنة تمكنا من معرفة الخصائص المميزة للإسلام التي تظهر الفروق بينه وبين غيره من الأديان والمذاهب والفلسفات"[1] كما تبين لنا الاختلافات والموافقات بينه وبين الحضارة الغربية الحديثة التي تعتمد على الكشوف العلمية التجريبية، فأول الموافقات الحث على طلب العلم الطبيعي وتحصيله، وتسخير القوانين الطبيعية، التي تربط بين أجزاء هذا الكون فيما يخدم الإنسان، ويوفر له الراحة في معاشه، أما الفوارق فهي جعل الإسلام طلب العلم مقيدا بأخلاق تجلب المنفعة وتحقق المصلحة، وتدرأ المفسدة، وبذلك يكون تحصيل هذا العلم وسيلة للخير، وجعله الله في كتابه آيات تدل على قوة الإيمان به، وإدراك عظمته في خلقه لقوله تعالى: "قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"(20 العنكبوت) وقوله تعالى: "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ"(53فصلت)

أولا- التأهيل للبحث:

وضع المسلمون شروطا للعلم تبعا لتعاليم الوحي، ولطالبه، وضوابط تضبط المعارف منهجا وموضوعا لكل علم[2]، فالشروط أولها: أن يكون العلم نافعا أي تتحقق من طلبه مصلحة للعباد. وثانيها: يشترط في الباحث أن يكون أمينا وصادقا وله القدرة على استيعاب العلم الذي يحمله، ومن ثَمّ كان العلماء المسلمون الأوائل ينتقون تلامذتهم، ويوصونهم بعدم نشر العلوم على من يفتقد لهذه الأوصاف درء لاستغلالها في المفاسد، وإثارة الفتن و"نحن نعلم

---

[1] -محمد المبارك. الاسلام والفكر العلمي. ص :22.

[2] -حسن صعب. الاسلام وتحديات العصر.دار العلم للملايين.بيروت.ط4(1979). ص 9.

قطعا أنه لا يخلو عصر من الأعصار من علماء يرون أن في الشرع أشياء لا ينبغي أن يعلم بحقيقتها جميع الناس"[1].

ومن القواعد الضابطة لعلوم الشريعة استخرج العلماء قواعد عامة في المنهج أهمها الاستقراء والتجربة، حيث لا تعمم نتيجة إلا بعد استقراء عمومها في حالها، أو بعد إجراء تجربة، أو تكرارها في ظروفها، وكانت أهم مميزات منهج الباحث الموضوعية المتعلقة بنتائج البحث، وتقبل النقد في الدراسة، والاحتكام إلى الأدلة القاطعة المجردة من التدخل الذاتي؛ أي تقرر النتيجة تبعا للأدلة والمرجحات للمفهوم المتوصل إليه[2] وذلك مستخلص من القرآن الذي "رفع المستوى العقلي للمسلمين ووجههم إلى اكتشاف المجهول عن طريق مشاهدة الواقع والتأمل فيه فأحصب الحركة الفكرية"[3] بأهم القواعد الاستدلالية في تخريج النتائج العلمية التي تخص غير المنصوص عليه بواسطة القياس، وتحديد العلل، وبهذه الضوابط في البحث الشرعي استطاع المسلمون أن يستخرجوا المنهج التجريبي في كثير من العلوم وخاصة الفنون التطبيقية [4] المضبوطة بنواميس طبيعية أودعها الخالق فيها، ورفض المسلمون بطلان كل ما لم يتوصلوا إليه وإنما بذلوا الجهد في تحقيق الأدلة التي يقوم عليها، قال أبو بكر الرازي في ذلك : "لا ينبغي لنا أن ندع شيئا نؤمن فيه نفعا من أجل أن قوما جهلوا وتعدوا، وقد كان الواجب عليهم لو كانوا أهل رأي وتثبت أن لا يبتدروا إلى إنكار ما ليس عندهم على بطلانه برهان [5]، يطبق هذا المنهج في المعقول والمحس.

أما المنقول الخارج عن الإدراك فالتحقيق فيه والبرهان على صحته ينصرف إلى دراسة الرواية، وضبطها وصحة تأويلها، الذي يعتمد على ثلاثة دلائل: الخطابية، والجدلية، والبرهانية، كل دليل يختص بنوع من الناس، ومن كان من أهل الخطاب، أو الجدل فضرب له الله في الكتاب أمثالها وأشباهها؛ أما العلماء فيعلمون بالبرهان فما تقرر شيء في الشرع لا يجوز تأويله لأن تأويله خطأ مثل يوم الحساب مفهومه من ظاهر اللفظ[6]، وبناء على هذه المناهج تكون

---

[1] – ابن رشد.فصل المقال.الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.الجزائر.ط(1982). ص: 38.

[2] – بركات محمد مراد.المرجع السابق. ص: 95-108.

[3] – عز الدين الخطيب، وآخرون. نظرات في الثقافة الاسلامية.دار الشهاب.الجزائر.ط(1988م). ص: 15-18.

[4] – حيدر بامات.المرجع السابق. ص: 80.

[5] – المرجع السابق. ص: 83-93.

[6] – ابن رشد .المرجع السابق. ص: 46-52.

العلوم الشرعية والعقلية تخدم أكبر قضية في الدين وهي: توحيد الله وما يتبعها من قضايا أما العلوم الطبيعية فهي تخدم قضية الاستخلاف في الأرض التي مفادها توحيد الخالق، والاهتداء بهديه، ومن هنا تتوجه العلوم الطبيعية إلى دراسة الموجودات لاستخراج المنافع الكامنة فيها وتسخيرها لتحصيل المصالح العامة والخاصة، وليس لإثبات الحقائق المنقولة بالرواية في الوحي إلا من باب تقريب تصور بعض الجوانب منها ذهنيا لبيان وجه الإعجاز المستمر عبر الزمان.

ثانيا- قواعد استعمال الكشوف العلمية في بيان نصوص الوحي:

يوجد رأيان عند علماء المسلمين في تفسير نصوص الوحي بنتائج الكشوف العلمية، فمنهم من عارض الاستدلال بالكشوف على تخريج معاني ودلالات النصوص، ومن رأى أن الاستشهاد بها يبين الإعجاز العلمي الملازم لنصوص القرآن، والأحاديث، ويعد دليلا على استمرار المعجزة الخالدة، إن جيل الصحابة وهم المعاصرون للتنزيل لا يمكن عدهم معارضين، أو مؤيدين؛ لأن القرآن وأحاديث الرسول (ص) كانت تواكب الأحداث، أما أخبار الغيب فكانوا يتقبلونها بالتسليم، ومن هذا الموقف السليم بالنسبة لهم استدل المعارضون على أصالة رأيهم مثل الشاطبي، الذي يرى أن القرآن عربي والسنة عربية في الألفاظ، والأسلوب، والمعنى فلا يصح استدلالا على استنباط، إلا بما سلك به بمسلك كلام العرب[1]، وذهب إلى معارضة استخدام العلوم والفنون في بيان معاني نصوص الوحي، وضبط موقفه بموقف السلف من الصحابة وتبع باللاحقين الذين أضافوا في التفسير بعض العلوم الطبيعية.[2] فقال: " إن كثيرا من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين من علوم الطبيعيات، والتعاليم والمنطق وعلم الحروف، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها. وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح وإلى هذا فإن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بينهم كانوا أعرف بالقرآن وبعلومه وما أودع فيه، ولم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم في شيء من هذا المدعى، سوى ما تقدم وما ثبت فيه من أحكام التكاليف، وأحكام الآخرة وما يبني ذلك ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر لبلغنا منه ما يدلنا على أصالة المسألة

---

[1] -الشاطبي. الموافقات. تحقيق: عبد الله دراز. دار المعرفة. بيروت. ط2(1975م). 44/1.

[2] -معاد يلدرم. مستندات التوفيق بين النصوص القرآنية وبين النتائج العلمية الصحيحة. المؤتمر العالمي الأول. تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. إسلام آباد .(25-28 صفر 1408هـ).ص:38.

إلا أن ذلك لم يكن، فدل على أنه غير موجود عندهم، وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا"[1].

ثم بين أن المعاني التي لا عهد للعرب بها غير معتبرة، فقال: "ربما استدلوا على دعواهم بقوله تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ) (89 النحل) وقوله تعالى: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ" (38 الأنعام)...فأما الآيات فالمراد بها عند المفسرين ما يتعلق بحال التكليف والتعبد، أو المراد بالكتاب في قوله: (ما فرطنا في الكتاب من شيء) اللوح المحفوظ و لم يذكروا فيها ما يقتضي تضمنه لجميع العلوم النقلية والعقلية... فليس بجائز أن يضاف إلى القرآن ما لا يقتضيه، كما أنه لا يصح أن ينكر منه ما يقتضيه...فمن طلبه بغير ما هو أداة له ضل عن فهمه وتقول على الله ورسوله فيه"[2].

كذلك عارض محمد حسين الذهبي التفسير العلمي لنصوص القرآن من الجوانب الآتية:

- إن إضافة معاني جديدة لألفاظ القرآن يؤدي إلى توسع دلالاتها عن ما هي معروفة عند العرب أثناء التنزيل وهذا لا يعقل لأنه جعل لتلك الألفاظ معاني جديدة واصطلاحات حادثة.

- من الناحية البلاغية التي هي مطابقة مقتضى الحال، والتفسير العلمي يغير من بلاغة القرآن: وذلك بفرض إما أن العرب يجهلون هذا المعنى وهذا يجعل القرآن غير بليغ، وإما أن تكون معلومة لديهم أثناء التنزيل، فلم لم تحدث نهضة علمية شاملة في تلك الحقبة. و لم تأخرت بعد ذلك بزمن.

- وكذلك من جانب العقائد فتطور المصطلحات والدلالات يؤدي إلى تغيرها، وهذا يشكك في القرآن.[3]

أما المؤيدون لتفسير العلمي لنصوص القرآن فمنهم من ذهب إلى الاستدلال بكل ما بلغه من فرضيات، ونظريات حيث اخضع مفهوم النصوص لها دون ضابط، أو قيد وهؤلاء وقعوا في المحظور على خلاف المفسرين المعتدلين، مثل الفخر الرازي الذي اعتمد بعض الحقائق الثابتة واستعملها في المقارنة لتقريب التصور السليم حوْل مفهوم من مفاهيم الآية، و لم يقصر مفهومها على ذلك، بل أطلقه كقوله: "ما لمراد من كون تلك الأيام الأربعة سواء؟ [10 فصلت] فنقول

---

[1] -الشاطبي.المرجع السابق. 2/79-80.

[2] - المرجع السابق. 2/80-82.

[3] - معاد يلدرم.المرجع السابق. ص: 39-40.

إن الأيام قد تكون متساوية المقادير كالأيام الموجودة في أماكن خط الاستواء وقد تكون مختلفة كالأيام الموجودة في سائر الأماكن"[1].

استشهد الرازي بتسوية الأيام إذا كان مدلول اليوم حقبة زمنية، ومدلول لفظ سواء عائد إلى التسوية بين الأيام، وأطلقه إذا كان المقصود به غير ذلك.

ولقد وضح محمد الطاهر بن عاشور الإعجاز العلمي في تفسيره إذ قسمه إلى قسمين: "قسم يكفي فيه لإدراكه فهمه وسمعه وقسم يحتاج إدراك وجه الإعجاز فيه إلى العلم بقواعد العلوم فينبلج للناس شيئا فشيئا انبلاج أضواء الفجر على حسب مبالغ الفهوم، وتطورات العلوم وكلا القسمين دليل على أنه من عند الله لأنه جاء به أمي"[2]. وذلك لأن ألفاظ القرآن موجزة تتضمن معاني لم تف بها الأسفار الكثيرة والمخاطبين به يقتضي أن يكون المفهوم الأصلي مفهوما لديهم، وما زاد يفهم لدى من اكتسب آلة فهمه لأن عجائبه لا تنقضي ومن وجب عدم قصر أنواع معانيه.[3]

وبالنظر في أقوال المعارضين والمؤيدين للتفسير العلمي، أو الاستدلال بالكشوف العلمية في تفسير معنى من معاني نصوص الكتاب، يمكن الجمع بين أوجه التعارض لتحريج ضوابط تحدد مجال استعمال نتائج الكشوف العلمية الطبيعية في بيان مفهوم النص وهي:

1. نصوص القرآن وحي من الخالق علمه محيط فلا يقتضي التصويب، وعلم المخلوق محدود ونسبي في الصحة والخطأ.

2. يمكن الاستدلال بالحقائق العلمية في بيان وجه من معاني نص قطعي الدلالة.

3. التعارض بين نصوص الوحي قطعية الدلالة بدلالة الفرضيات يبطل تلك الفروض.

4. إذا وجد تعارض بين نص قطعي الدلالة وبين حقيقة علمية دل على وجود خلل في بيان مفهوم أحدهما. لا يمكن اعتماد الفرضيات العلمية في بيان النص الظني الدلالة إلا بإشارة وجود توافق في معنى من المعاني وترك المعنى المطلق قائم بلا تقييد.

6- وفي حالة توافق مفهوم لنص قطعي الدلالة مع مفهوم حقيقة علمية يكون بيانا له دون تقييد أو حصر المعنى الجامع المطلق للنص عليه.

---

[1] -الفخر الرازي. التفسير الكبير.دار إحياء التراث العربي.ط3.د.ت. 103/27.

[2] -محمد الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير.الدار التونسية.ط(1977). 127/1.

[3] -المرجع السابق. 45/1.

7- مفاهيم النصوص لا تخالف دلالات ألفاظ النصوص العربية الجامعة والمحيطة بالمعنى المطلوب، إن مراعاة هذه الضوابط يبين وجه الإعجاز العلمي في نصوص القرآن بدقة وضبط.

كما يوجه البحث في توضيح وتصحيح نتائج الكشوف المتعلقة بالظواهر الطبيعية، لتسخير القوانين في خدمة الإنسان، وتكون دراسة الإعجاز في الوحي بمثابة خلود المعجزة المستمرة الدالة على صدق القرآن وصلاحيته في مختلف الأزمان، ولجميع الأجيال البشرية. ومن ثم تكون دراسة قضية الخلق في القرآن ومقارنتها بالنظريات العلمية الحديثة أحسن وأشمل قضية في بيان ما ورد من نصوص تحتوي على تفسير الظواهر الكونية، التي بحثت كثيرا في العلوم الحديثة ووضعت فيها فرضيات، ونظريات كثيرة، في عدة علوم مثل: علم الآثار، وتاريخ الأمم السالفة، وعلم الهيئة، وخواص المخلوقات، وبدء الخليقة، وتسخير المخلوقات والظواهر الطبيعية، فهذه العلوم تتوافق مع توجيهات الوحي وتعاليمه ما عدا ما ليس بعلم كالخرافات[1].

ولتفصيل عملية الخلق في القرآن الكريم، وإتباعا للضوابط السابقة يجب تحديد المصطلحات والألفاظ المرادفة للفظ خلق، للتدليل على ما يدركه الإنسان في عملية النشوء، وبيان حدود مجال ما يمكن إدراكه وتصوره، كما أن هذه المصطلحات تبين ترتيب الموجودات.

ثالثا - أهم المصطلحات المستخدمات في القرآن الكريم

خلـــق:

معناها قدّر. يقال خلق الأديم إذا قدّره قبل القطع.[2] وفي هذه الدلالة قال تعالى"وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي"(110 المائدة)، الخلق الذي قام به سيدنا عيسى عليه السلام هو تفصيل كتلة الطين في شكل طائر، أما بث الحياة في هذه الكتلة سر من الأسرار الإلهية جعله الله معجزة لنبيه وذلك ليقرب إلى أذهان الناس عملية الخلق، أو التقدير التي تمت بواسطة بناء الصورة من المادة الخام، لأن هذه العملية يمكن تصورها بإتيان مثل عنيها؛ بينما بث الحياة فهو أمر خارج عن مجال الإدراك البشري، فجاء القول فيه بإعجاز و "لأن المثل لا ينبسه المثل من جميع الوجوه ولو تماثل المثلان من كل الوجوه لاتحدا، وعلى هذا لا يكون قرب التمثيل من الحقيقة كقرب الأرداف لما بين لفظي الأرداف، والحقيقة من القرب

---

[1] - محمد الطاهر. بن عاشور. التحرير والتنوير. 45/1.

[2] - محمد بن أبي بكر الرازي.مختار الصحاح.رتبه محمود خاطر.مكتبة شهاب أحمد بن محمد. مراكش.ص: 187 ؛ وابن منظور. لسان العرب. دار النشر. بيروت .ط(1968م). 85/10.

لمماسة الرديف الردف، بخلاف المثل من المثل"[1] ولفظ خلق يتضمن إبداع الشيء على مثال لم يسبق إليه، أو على مثال أبدعه الخالق، ومنه وصف الله بالخالق[2] لشمول هذا اللفظ على دلالات عملية النشوء وإخراج الكائنات للوجود، ولقد ورد هذا المصطلح في القرآن الكريم 176 مرة على أوجه تصريفه منها 83 مرة في صورة خلق، كما وردت عدة مرادفات له، أهمها: برأ، وبث، وبدأ، وأخرج، وصور، وأبدع، وحي، ونشأ، وجعل، وبعث، ونشر، وفطر، ورفع، ومد، وسوى، وكن، وأنزل، وأنبت، وأمسك.

برأ: برأ الله الخلق من باب خلق وقطع وهي ترادف معنى التقدير والتفصيل، أو القطع وقيل "وهذه اللفظة من اختصاص بخلق الحيوان، وقلما تستعمل في غير الحيوان فيقال برأ الله النسمة وخلق السموات والأرض"[3]

بث: بمعنى نشر وأظهر وشتت، وخلق الله الخلق فبثهم في الأرض أو نشرهم وكثرهم[4] وجاء في قوله تعالى:" ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيها من دابة" (29 الشورى).

بدأ: هو الاختراع ابتداء من غير سابق مثال، والبدء فعل الشرع أول ومنه جاء اسم الله عزوجل المبدئ[5]، قال تعالى:"قل الله يبدأ الخلق ."(34 يونس).

أخرج: معناها استنبط، وأنشأ. قال تعالى:"وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي"(27 آل عمران)"إخراج الحي من الميت وبالعكس إنشاء الحيوانات من موادها، وإماتتها، أو إنشاء الحيوان من النطفة"[6]

صور: فصل الشيء وقطعه وقال تعالى" وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير"(3 التغابن)، وقال:"هو الخالق البارئ المصور.."(24 الحشر) بمعنى تفصيل الشيء الموجود على هيئة معينة، وترتيب الموجودات.[7]

أبدع: معناها اخترع لا على مثال. أي أنشأ، وبدأ، وأحدث، وتحمل معنى الحسن والجمال[8]

---

[1] – ابن أبي الأصبع المصري. بديع القرآن. ص: 85.

[2] – ابن منظور .المرجع السابق. 10/85~89.

[3] – ابن منظور. المرجع السابق. 1/31؛ والفيروز ابادي. القاموس المحيط. 1/8؛ والرازي. مختار الصحاح. ص: 37.

[4] –الفيروز البادي. المرجع السابق. 1/161.

[5] – بن منظور . المرجع السابق. 1/26.

[6] – البيضاوي.المرجع السابق. ص: 70.

[7] – الرازي. المرجع السابق.ص: 242؛ وابن منظور.المرجع السابق. 4/473؛والبيضاوي .المرجع السابق. ص:778.

[8] – الرازي. المرجع السابق.ص: 42؛ والفيروز آبادي. المرجع السابق. 2/110.

أحيا: وهو ضد الموت، و أحيا أي بث الحياة، وتعني النماء والخصب[1] وقال تعالى:" قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ"(79يس) جاء قوله تعالى:"ردا على تساؤل المشركين في قولهم من يحي العظام وهي رميم"، أي من الذي يقدر على إعادة خلقها وبث الحياة فيها بعد ما رمت وتلاشت، فقوله: قل يحييها ... بمعنى سيخلقها مرة أخرى الله كما خلقها أول مرة ولم تكن، وبذلك يكون معنى الإحياء هو إعادة الخلق أو مواصلته قال تعالى:" يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنْ الْحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ"(19 الروم).

أنشأ: ابتداء وحي وربا، وشب بمعنى كون ونمى أي قام بعملية بناء شيء مركب من إجراء[2] كقوله تعالى:"... هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنْ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا..."(61 هود) ركب أجسامكم من تراب الأرض وخلق جسد أبيكم آدام منه.[3]

جعل: تحمل معنى صيّر ووضع، وخلق[4]، كقوله تعالى:"وجعل الظلمات والنور..." (1 الأنعام)"وفي الجعل معنى التضمين مثل أنشأ شيئا من شيء، أو تصير شيء شيئا، أو نقله من مكان إلى مكان"[5]

بعث: معناها هب وأيقظ، وبعث الله الخلق يبعثهم بعثا: نشرهم وقال تعالى:"... فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ...(259 البقرة) أي أحياه أو أعاد خلقه من جديد واستعمل البعث بعد الموت تشبيها باليقظة من النوم.[6]

نشر: معناها أحيا وبعث أي إعادة خلق الخلق، ومنه قيل أنشر الرضاع اللحم، وأنبت العظم أي لحق منه. وتتضمن معنى النمو أن انتشار الورق يكون إيراق الشجر، وكذلك الأرض إذ تما فيها الكلأ فيقال نشرت الأرض نشورها وهو ما خرج من نباتها[7].

---

[1] - ابن منظور. المرجع السابق. 14/211-223 ؛والرازي. المرجع السابق. ص : 113- 114.

[2] - ابن منظور .المرجع السابق. 1/170-173؛ والرازي.المرجع السابق. ص:417؛ والفيروز آبادي.المرجع السابق. 1/30.

[3] - البيضاوي .المرجع السابق. ص: 300.

[4] - الرازي .مختار الصحاح. ص: 105؛ والفيروز ابادي.المرجع السابق. 3/228؛ وابن منظور.المرجع السابق. 10/35.

[5] - الزمخشري. الكشاف.2/2؛ واسماعيل حقي البرسوي. روح البيان. دار التراث العربي. بيروت. 3/3.

[6] - ابن منظور. المرجع السابق. 2/117.

[7] - بن منظور . المرجع السابق. 5/206-210؛ والفيروز آبادى. المرجع السابق. 2/142؛و الفيومي.المصباح المنير. مكتبة لبنان.بيروت.ط(1987م).ص: 231.

فطر: شق، والفطور هو التشقق الذي تحدثه البذرة في وجه التربة عند نموها، أو ما يحدثه الناب عند نموه إذا شق لحم اللثة، وفطر الله الخلق يفطرهم، خلقهم وبدأهم، وهي الابتداء والاختراع[1] وقال تعالى:" الحمد لله فاطر السموات والأرض"(1 فاطر)."مبدعها من الفطر بمعنى الشق كأنه شق العدم، بإخراجها منه"[2]

رفع: صعد الشيء، وهو ضد خفض ووضع[3] ومعناها البناء و التأسيس في قوله تعالى:"إذيرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل..."(127 البقرة) وقال تعالى:"وإلى السماء كيف رفعت"(19 الغاشية) ومنه جاء اسم الله الرافع.

مدّ: الجذب والمطل:" ومد الله الأرض يمدها مدا بسيطا وسواها، وفي التنزيل العزيز وإذ الأرض مدت وفيه؛ والأرض مددناها، ويقال مددت الأرض مدا، إذا ردت فيها ترابا"[4]، وتحمل معنى البسيط، والاتساع.[5]

سوى: سوى الشيء من اعوجاج، أو أقبل وقصد ، وعمد[6]؛ والمعنى الإجمالي هو نقل الشيء من حالة سابقة إلى حالة جديدة تكون أوفق وأحسن مما كانت عليه كقوله تعالى:"الذي خلقك فسواك فعدلك"(7 الانفطار).

كن: فعل أمر لفعل كان يكون كونا، معناها صير أي كون الله شيء أو أوجده وصوره، وأخرجه من العدم إلى الوجود[7]."تدل على الأخبار عن حدوث شيء إما في زمان ماض أو زمان راهن.... المكان اشتقاقه من كان يكون"[8] ويستدل على أن الكائن هو الذي يشغل مكانا وحيزا خاصا به، ومن ثم يكون حدوث الشيء في مكان معين.

---

1 – ابن منظور. المرجع السابق. 5/55-59، والفيروز آبادي. المرجع السابق. 2/110.

2 – البيضاوي. المرجع السابق. ص: 574.

3 – ابن منظور. المرجع السابق. 8/128-131؛ والرازي.مختار الصحاح. ص: 167؛ والفيومي. المصباح المنير.ص:89.

4 – ابن منظور. المرجع السابق. 3/396-397.

5 – الفيروز آبادي. المرجع السابق. 1/336؛ والبيضاوي . المرجع السابق. 327.

6 – الرازي . المرجع السابق. ص: 324؛ والفيروز أبادي. المرجع السابق. ص: 3/348، وبن منظور. المرجع السابق. 11/110، والفيومي. المرجع السابق. ص:113.

7 – الفيومي. المرجع السابق. ص: 208؛ ابن منظور. المرجع السابق. 19/363- 368.

8 – بن فارس. معجم مقاييس اللغة. تحيق:عبد السلام محمد هارون.دار الجيل.بيروت.ط1(1991).5/148.

أنزل: معناها من نزل والحدر، وتفيد الترتيب والمنزلة من الرتبة[1]، وقال تعالى " وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج..."(6 الزمر)، وقال:"وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد..."(25 الحديد) لفظ أنزل تفيد الخلق والمجيء بما أنزل من خارج الأرض إليها[2] بدون تفصيل لكيفية الإنزال.

أنبت: نبت نباتا وإنباتا، نشأ نشء صغار[3] قال تعالى:" و الله أنبتكم من الأرض نباتا"(17 نوح)"أنشأكم منها فاستعير الإنبات للإنشاء لأنه أدل على الحدوث والتكون من الأرض"[4]

أمسك: حبس، وقبض، والشيء المتماسك الذي يشد بعضه بعضا، والمسكة الموضع الصلب والأرض المسيك التي تحبس الماء فلا ينضح[5]، قال تعالى:" إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا"(42 فاطر)" إن الله يمسك السموات و الأرض أن تزولا كراهة أن تزولا فإن الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ يمنعهما ن تزولا لأن الإمساك منع..... حيث مسكها وكانتا جديرتين بأن تهدا"[6].

وعلى هذا الأساس درست قضية الخلق واستخرجت مفاهيمها من نصوص الوحي حيث استخدم القرآن الكريم عدة ألفاظ ومصطلحات مختلفة في بيان ما يمكن إدراكه من الناحية العقلية، والواقعية، وبتقصي مفهوم عملية الخلق في القرآن من جملة المعاني و الدلالات الدالة عليها مصطلحات الخلق فإنه يبين اشتقاق ثلاثة أقسام لها تصنف ضمنها المخلوقات حسب ترتيبها في الوجود.

رابعا: مراتب الخلق

1- الخلق من العدم:

وهو إخراج المخلوق من العدم المطلق أي اللاوجود المحض إلى الوجود المحس أو الغيبي. وهذه العملية لم يفصل فيها الخالق، ولا النبي (ص) لأنها صفة فوق إدراك العقل، وكل ما ورد في القرآن عن هذه العملية قوله تعالى:" إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ "(82 يس) مثل نشوء المادة وعناصرها أول مرة.

---

[1] - بن منظور.المرجع السابق. 656/11 - 660.

[2] - الزمخشري. الكشاف. ص: 338/3، 68/4.

[3] - الفيروز أبادي.المرجع السابق. 158/1.

[4] - البيضاوي.المرجع السابق. ص: 762.

[5] - بن منظور.المرجع السابق. 486/10-490.

[6] - البيضاوي.المرجع السابق. ص :580.

2- الخلق من شيء:

وهو إخراج المخلوق من شيء سبقه وهذه العملية لها، وجهان وجه يمكن إدراكه وتصوره، وهو: تشكيل جسم المخلوق؛ أما الوجه الثاني فهو من صفات الخالق فوق إدراك المخلوق، ويتمثل في الإبداع؛ وهو أن الخالق خلق الأشياء لا على مثال سابق، وكذلك بث الحياة في الأجساد، فهذا سر من الأسرار الإلهية الخارجة عن نطاق الحس و المعقول مع ظهور أثرها في عالم الحس، مثل خلق جسم الإنسان من الطين، وخلق أجسام الجان من النار في قوله تعالى:" خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ"(14،15 الرحمن).

3- الخلق المستمر:

وهو إمساك الشيء المخلوق على هيئته وصورته التي خلق عليها أثناء فترة وجوده، ووضع الخالق نواميس مضبوطة تنظم تفاعلات، وحركيات المخلوقات فيما بينها. وظهور هذه النواميس يتجلى في النظام و النسق البديع في الكون قال تعالى:" إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا"(42 فاطر)، وهكذا يكون هذا التقسيم مشتق من الألفاظ المرادفة لكلمة خلق التي استخدمها القرآن في بيان عملية الخلق و النشوء، وبالتالي دراسة الخبر المنقول وتحليله واستخراج دلالاته اللغوية ومفاهيمه ممكنة للإنسان، والثاني: العلوم الطبيعية التي تتناول دراسة الظواهر الطبيعية وعلاقتها بأصلها ومنشئها، ثم ربط نتائج الكشوف العلمية بمعاني نصوص الوحي، مع توخي ضوابط تفسيرها للحد من الانسياق وراء الفرضيات والنظريات ذات المفاهيم النسبية القابلة للتصويب تمرور الزمن وتطور وسائل البحث و التنقيب.

وبناء على المفاهيم المستخرجة من نصوص الوحي لعملية الخلق ومراتبها، يتضح المسلك المتبع في بيان ما ورد من نصوص، وتعاليم الوحي في عملية خلق أي كائن ومقارنته بالمعارف العلمية المتوصل إليها من قبل الباحثين لتحديد مدى المقاربة وتوجيه النص في مجال البحث. ولقد استخدم النص القرآني عدة ألفاظ في عرضه لخلق مخلوق واحد، وأحيانا يخصص لفظا محددا لمخلوق معين، وهذا حسب تركيب الكائن لتعدد أوجه التخليق والتنسيق بين تلك الأوجه والأطوار التي رتبت فيها عملية الخلق، وضبطها بنواميس تنظم العلاقات والتفاعلات بين العناصر التي تتركب منها المخلوقات، دون أي خلل؛ بل جعلها منسجمة تماما مع أدوارها وحركياتها في محيطها.

الفصل الثاني

خلق السماء ومكوناتها

يتكون هذا الفصل من مبحثين:

المبحث الأول:المخلوقات السابقة على خلق السماء

المطلب الأول: الـــمـــاء العرش والكرسي

المطلب الثاني :القلم واللوح

المبحث الثاني خلق السماء ومكوناتها

المطلب الأول: المادة الأصلية التي خلقت منها السماء

المطلب الثاني: خلق مكونات السماء

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة الفصل

السماء رمز القوة والتحكم في الأحداث، والمستحدات لدى الإنسان قديما وهي مصدر الطاقة التي تنشط الحياة على لأرض، وذلك حفز همته إلى التساؤل عنها، هل هي كل ما علانا، أو ما أحاط بالأرض من الفضاء اللامتناهي؟ أو هي مخلوقة من مادة ولها نهايات وحدود، وهل سبقتها مخلوقات؟ فما هي وأين موقعها منها؟ والسؤال الذي يلخص كل هذه الأسئلة هو: كيف كانت الحال قبل الخلق؟ إن السعي وراء الإجابة عن هذه الأسئلة تعددت مسالكها حسب معتقدات الباحثين، لكن مرور الزمن وتطور العلوم الحديثة، أدى إلى تقارب هذه المسالك، فوضعت فرضيات تفسر ظاهرة نشوء الكون مؤسسة على نتائج الكشوف العلمية الطبيعية الحديثة. وتلاحقت الكشوف العلمية خلال العصر الحديث فيما يخص علم الطبيعة، والحياة، والفلك، ما أدى إلى تجلي جزء يسير من الحقائق عن ظاهرة وجود الكون ونشوء بعض النجوم والكواكب.

القرآن الكريم ذكر خلق السماء، وتسويتها، وأورد ذكر مخلوقات تحت اسم مسميات معروفة في التصور الذهني للإنسان، لكن حقيقة هذه المخلوقات غيبي مثل (الماء العرش والكرسي والقلم والروح). إن تعريف هذه الأشياء بلغة البشر معروف ودلالته مبنية في منطوق لفظ القرآن. أما حقيقة مفهومها غائبة لا يدرك كنهها. ومن ثم العلوم الحديثة لا يمكنها أن تتعرض لهذه الأشياء الغيبية، ولا يستطيع باحث أن يخضعها لدراسته. لأنه فاقد لإدراكها فضلا عن عدم امتلاكه وسائل تبلغه إليها، ومادامت هذه الأمور من الغيبيات لا تملك لها صورة ذهنية لخروجها عن مجال إدراكنا المحدود بقوانين طبيعية تحده عتبة قصوى وأخرى دنيا في ظرف الزمان والمكان فيبقى المصدر الوحيد الذي يمدنا بالمعلومات عنها هو الوحي.

المبحث الأول

المخلوقات السابقة على خلق السماء

إن عالمنا حسي مركب من كائنات تخضع لقوانين تضبط حالاتها داخل مجال محدود بين عتبتين قصوى ودنيا بتدرج حالة المادة فيها بالتزايد، أو بالتناقص طبقا لكسب أو فقد المؤثرات المسببة لظهور الحالة وأعراضها، وبذلك يبدو لنا أن كل حالة من أحوال المادة لها وجهان؛ أي ثنائية فوجود وجه زائد عن الإثنين فهو توسط بين الحالتين، أو امتداد لإحداها لا غير؛ أما الخروج عن المجال الثنائي المحصور بين عتبتين يكون خارج عن الطبيعة المحصورة، ويعد غيبا بالنسبة لنا لعدم خضوع الكائن للقوانين التي نعلمها، مثل حالة الجسم المادي فهو متحرك أو ساكن، والسكون هو تباطأ، أو تناقص في الحركة، وكذلك درجة الحرارة، والكثافة التي تكون عليها المادة داخل مجال الإدراك، أي تخضع لقوانين طبيعية معهودة. أما إذا كانت الأجسام المادية تحت ظروف خارجة عن المجال المحدود الذي يمكن للإنسان أن يدركه بحواسه ووسائله، فإن العقل يقر بعجزه عن تصور تلك الحال؛ مثل ما توصلت إليه الكشوف العلمية، حيث تثبت أن زيادة كتلة جسم تتناسب مع زيادة سرعته، فتكون أصغر كتلة لجسم داخل المجال الطبيعي هو الجسم الذي تقل سرعته سرعة الضوء، كما ثبت أن المادة ما هي إلا صورة لطاقة مكثفة، وذلك لأنه يمكنها أن تتحول إلى طاقة وكذلك الطاقة، وهذا ما أكدته التجارب في التفاعلات النووية، فقد وجد أن كتلة النواة لذرة ما مثل الهليوم (He) أقل من مجموع كتل مكوناتها كل بمفرده وهي، أربع نيكلونات (بروتونان ونيترونان) وفرق الكتلة تحول إلى طاقة تحررت بسبب تشكل تلك النواة بدء من مكوناتها[1]، وهذا الأمر حوادثه في عالم الدنيا الذي تُضبط تفاعلاته بعوامل محدودة ومضبوطة بقوانين، أما خارج هذا العالم، لا نستطيع أن نعلم، بل نرجح أن هذه القوانين الطبيعية الضابطة لهذه الحركيات والتفاعلات تتوقف، وتصبح المادة تخضع لناموس مجهول تماما، وما دامت وسائلنا المساعدة على الكشف العلمي كلها مادية

---

(1) – عبدو محمدخير الأحمر. الكون والنسبية.دار طلاس. مشق. ط2(1995م) .ص:41.

فهي الأخرى تتوقف عن التقاط أية معلومة، ومن ثم يكون وجود كائنات غيبية مؤكدا، ومن بينها ما جاء ذكره في نصوص الوحي، ولقد سبق أن نهى علماء الإسلام عن البحث في هذه الغيبيات إلا بما أورده القرآن، أو حدث به الرسول صلى الله عليه وسلم [1]، ومن هذه الغيبيات الماء الأول، والعرش والكرسي، والقلم واللوح وقد قسم المبحث لمطلبين.

المطلب الأول

السماء العرش والكرسي

ذكر الوحي في نصوص القرآن والسنة خلق الماء والعرش والكرسي بصيغة إجمالية مؤكدا فيها ضرورة الإيمان بهذه المخلوقات الأولى والغيبية نسبة للبشر، منها ما هو أصل لغيره من الكائنات ومنها ما هو محل، أو مصدر يمد المخلوقات بحاجيات معلومة، وأخرى غير معلومة. أما ترتيب هذه المخلوقات الغيبية من حيث الأسبقية فيما بينها أمر متعسر الإدراك.

أولا-السماء

هو ذلك الجسم النظيف السائل الرائق الشفاف الذي يتجمد عند درجة الحرارة 0° إلى جليد أو ثلج أبيض اللون، ويغلي ويتحول إلى غاز عند الدرجة 100م° وهذا العنصر في صورته السائلة هو الوسط الذي تتم فيه جميع التفاعلات الكيماوية الحيوية داخل أجسام الكائنات الحية بدون استثناء، ولا يمكن أن تكون حياة بلا ماء سائل، وتركيبه الكيماوي (H_2O). لقد جاء ذكره في القرآن حوالي 63 مرة وكلها ألفاظ تحمل ثلاثة دلالات الأولى الماء الأول الذي قال فيه تعالى: "كان عرشه على الماء"(7هود) ، والثانية الماء المعروف السائل الذي يحتاج إليه الكائن الحي، قال تعالى" وجعلنا من الماء كل شئ حي..."(30الأنبياء) والثالثة: هو ما يقصد به لقاح الذكور الذي تلقح به الإناث عند الإخصاب قال تعالى" فَلْيَنظُرْ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ

---

(1) -محمد سعيد رمضان البوطي. كبرى اليقينيات الكونية. دار الفكر. دمشق. ط 8 (1402هـ). ص:304-305.

دَافِقٍ..."(6الطارق)، هذه المياه كلها تحمل حقيقة الماء المركب من العنصرين الهيدروجين (H_2)والأكسجين (O_2)، لكن يبقى ذكر الماء الوارد في القرآن الذي سيكون عذابا في جهنم أو نعيما لأهل الجنة غير معلوم في حقيقته إلا من جانب المماثلة بما يلاحظ في الحياة الدنيا.

قال تعالى:"وكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ..."(7،هود) يدل هذا النص على أن الماء من أوائل المخلوقات وتبقى صفته وحالته في علم الله، لقد أورد بن كثير :إن ابن عباس (رضي الله عنه) سئل عن قول الله وكان عرشه على الماء على أي شيء كان الماء قال متن الريح .[1] وروى البيهقي أن ابن عباس سئل عن أصل الأشياء فقال:" خَلق الماء أولا أو الماء وما شاء من خلْقه لا عن أصل ولا على مثال سبق، ثم جعله أصلا لما خُلق بعده"[2].

وقوله تعالى: "وجعلنا من الماء كل شيء حي..."(30الأنبياء) أنه أصل لكل الأحياء" [3]. أما علماء الطبيعة كجورج جامو، والفروبيتا قاموا بوضع مخطط يبين توليد العناصر الطبيعية من عنصر الهيدروجين العنصر الأساس الذي يتركب من اتحاد بروتون ونيترون من الإشاعات في البدء: أن تحولت الطاقة إلى مادة وهذه الجسيمات الدقيقة. كانت في حالة خلق وفناء مستمرين. فكان الكون في حالة اتزان بين الفناء والوجود وهو تحول الإشعاعات إلى جسيمات مادية، ثم تحول هذه الجسمات إلى طاقة إشعاعية مقدار الطاقة = الكتلة مضروبة في مربع سرعة الضوء[4]. ثم بدأ تشكل أول ترتيب للأنوية الذرية التي أعطت أول عنصر مادي وهو الهيدروجين الذي نتج عن تفاعله عنصر الهيليوم (H_e). ثم تسلسل تركيب بقية العناصر، التي كونت السحب السديمية، ومنها نتجت المادة الأولية التي تكونت منها النجوم والمجرات والكواكب وبقية الأجرام.

ويجوز أن تكون هذه البحوث، والنظريات تفسيرا للمادة الأصلية التي صنعت منها الأجرام والسحب السديمية، كما يجوز أن تكون هذه المادة لاحقة في الوجود بعد العرش والماء المذكورين في القرآن والحديث الشريف، بل يمكن أن يكون ذلك الماء هو مصدر عنصر

---

(1)- ابن كثير.تفسير القرآن.344/3.

(2)- البيهقي. الأسماء والصفات.دار إحياء التراث العربي.ص:389.

(3)- ابن كثير. المرجع السابق. ص: 251/4.

(4)- محمد باسل الطائي. خلق الكون من العلم والإيمان.دار النفائس.ط1(1998).ص:89.

الهيدروجين الأول المعروف بالمادة التي تضبطها مقاييس طبيعية، وتخضع للقانون الطبيعي المعروف الذي يشمل العناصر المحددة بأقصى سرعة لا تفوق سرعة الضوء، وبكثافة طبيعية لذرات العناصر المادية المعروفة وبذلك تكون حالات العناصر المادية خارج هذا المجال لا يمكن تعريف خصائصها وصفاتها؛ مثل ما يحدث لأي نجم "قد ينهار إلى الداخل تحت تأثير قوى الجذب حتى يصل حجمه قريبا من الصفر، وتصبح كتلة كل النجم محتواة في هذا الحجم المتناهي في الصغر، وتصل الكثافة وانحناءات الزمان / أي الزمان-المكان /إلى قيم لا نهائية هذه النقطة التي تحتوي النجم، وبهذا الوصف تدعى النقطة مفردة /في الزمان-المكان/، وتعرف باسم الثقب الأسود"[1].

ولذلك لا نستطيع تحديد حالة الماء المذكور وكل ما نعلمه أنه ورد باسم الماء المعروف وهذا لا يخالف أن يكون الماء على صوره المعهودة السائلة.

وجاء في الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم يكره أن يُسأل فإذا سأله أبو رزين أعجبه قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض قال صلى الله عليه وسلم "كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء ثم خلق العرش على الماء"[2] "يعني ثم خلق الماء وخلق العرش على الماء"[3] قال البيهقي الحديث تفرد به يعلي بن عطاء عن وكيع ابن حدس ولا نعلم لوكيع[4] بن عدس هذا راويا غير يعلي بن عطاء. ووجدته في كتاب في عماء أي فوق سحاب مديرا له وعاليا عليه"[5] وقال ابن فورك " وقد رُوى هذا الخبر على وجهين أحدهما بالمد وهو أن يقال في عماء ممدود و العماء في اللغة هو السحاب الرقيق. وروى مقصورا أن يقال في عمى مقصورا احتمل أن يكون المعنى أنه كان وحده. ولم يكن سواه فشبه العدم بالعمى توسعا لاستحالة أن يرى ما هو عدم كما يستحيل أن يرى بالعمى فكأنه قال، أنه لم يكن شيء سواه و لا

---

(1)- عبدوحير الأحمر.المرجع السابق.ص:64 ؛ ومحمد ياسر الطائي. المرجع السابق.ص:68.

(2)- أخرجه: البيهقي في الأسماء والصفات. باب بدء الخلق. ص: 376-377

(3)- المرجع نفسه.

(4)- "وكيع بن عدس عن عمه لا يعرف تفرد عنه يعلى بن عطاء بن حدس ذكر اسم والده ابن حبان في ثقاته وقال أرجو أن يكون الصواب بالمد". الذهبي. ميزان الاعتدال.تحقيق:علي محمد البجاوي.دار المعرفة.بيروت.د.ط.ت. 335/4.

(5)- البيهقي. المرجع نفسه

فوق و لا تحت ولا هواء"[1]، وقد جمع الكوثرى بين الدلالتين في قوله "وروى في عماء أي في حجاب معنوي يحول دون العلم به فيتفق الممدود والمقصور في المعنى وارتضاه بن العربي"[2]، وقال به ابن قتيبة.[3] ويتحمل النص في لفظ عماء الممدود:السحاب الذي لا يوجد تحته ولا فوقه هواء وهو ما يعبر عنه بالسديم الكوني، كما يحتمل أن يكون المعنيان مقصودين في لفظ عماء أي العمى والسحاب الرقيق، بحيث يكون الظلام والعتمة تخيم على السحاب لأنه لم يتم إيجاد مصادر منيرة تنبعث منها الإشاعات الضوئية، إلا بعد تكاثف مادة السديم الأول وارتفاع درجات حرارته ثم انفجاره ليتشكل النجوم، والمجرات، وبقية الأجرام[4]الذي قد تكون مادته الأصلية هي الماء في صورة ما ويكون عرشه على الماء ليس محمولا؛ وإنما منصوبا عليه أي محيطا به، ويكون ما يسمى بالكون وما يحتويه من مجرات، وأجرام وسحب سديمية تحت العرش محدودا به. من هذه النصوص والآراء يمكن استخلاص ما يلي:

1- الماء بإطلاقه معروف في حالته الطبيعية التي يوجد عليها، هي خاضعة للمقاييس والقوانين المحسة

2 - أما كيف كان الماء آنذاك. وتحديد مكانه وحالته زائدة عن دلالات النص، ولا يمكن إضافة شيء لمدلول النص؛ هذا الغيب الذي لا مصدر للعلم به إلا هذا النص.[5]

3- لا يمكن أن نجعل الفرضيات العلمية القائمة لتصويب تفسيرا للنصوص القرآن، ومصداقا له؛ حتى ولو ظهر منها ما يتوافق مع ظاهر النص. لأن الفرضيات قائمة على مدى تمكن الإنسان من الوسائل العلمية المستعملة في الاستكشاف. وكلما اهتدى الباحثون إلى افتراض جديد يقرب تفسير الظاهرة الطبيعية إلى الذهن أكثر تركوا الفرض

---

(1)- بن فورك.أبو بكر.مشكل الحديث وبيانه.تحقيق:موسى محمد علي.عالم الكتب.بيروت.ط2(1985).ص:168-169

(2)-الكوثري.على هامش الأسماء والصفات للبيهقي.ص:376

(3)- ابن قتيبة أبي عبد الله ابن مسلم.تأويل مختلف الحديث.تصحيح:محمد زهري النجار.مكتبة الكليات الأزهر.د.ط.ت.ص:222.

(4)- عبد العليم عبد الرحمان خضر. الظواهر الخرافية بين العلم والقرآن.الدار السعودية.جدة .ط1(1404هـ-1984م). ص:62.

(5)سيد قطب. في ظلال القرآن.1857/4.

الأول، وأقروا اللاحق، بينما النص القرآني والحديث صادق بذاته، والكشوف العلمية مهما تقدمت فهي احتمالية ونسبية، ومن ثم بناء الاعتقاد يتبع ما صرحت به نصوص الوحي، ويؤخذ بمفاهيم العلوم للاستئناف، وليس للجزم.

ثانيا– العرش:

هو سرير الملك، وعرش البيت سقفه، وجمعه عُرَش .[1] وهو ما تطوي به البئر من خشب بعد أن تطوى بالحجارة، وهو كذلك ما نتأ من ظهر القدم، أو المظلة يقال :عرش الكرم رفع دواله على الخشب، واعترش العنب إذا صعد على الخشب.[2] من التعريف العام للفظ العرش يتضح أن الدلالات والمعاني التي يحملها تؤول إلى شكل مبني له سقف أو دعامات وعرصات يرتكز عليها، بمعنى يكون هذا البناء يحيط ويلتف حول حيز، ولذلك أطلق على كل ما يحمل على قوائم من الأبنية أو الأثاث، ومن ثم يكون معنى عرش أي بنى عشه، أو صعد وتسلق ليشكل مظلة أو سقفا.

لقد ورد ذكر العرش في القرآن بلفظ العرش 33مرة، وفي صورة فعل يعرشون مرتين، وقد اختلف في تأويله" فقال بعضهم أن العرش شبه السرير واستدلوا على قولهم بقوله تعالى:" أيكم يأتي بعرشها"(38النمل) وقوله:"ورفع أبويه على العرش"(100يوسف)[3]. وقع في التشبيه من أعطى للعقل حق تصور الغيبيات بالمماثلة، والمقايسة على الشاهد. مثل ما قالت به العرب قبل الإسلام، وأهل الكتاب :أن العرش آلة مخلوقة تشبه السرير.

قال أمية ابن الصلت في ذلك :

مجدوا الله وهو للمجد أهل*** ربنا في السماء أمسى كبيرا

ذلك المنشئ الحجارة والمو*** تى وأحياهم وكان جديرا

بالبناء الأعلى الذي سبق النا***سَ وسوى فوق السماء سريرا

رجعا لا ينالـه بصرُ النا *** سِ ترى دون الملائك صورا

---

(1) – محمد ابن بكر الرازي.المرجع السابق.ص: 276.

(2) – الفيروز آبادي.المرجع السابق.2/277-278؛ وابن منظور .المرجع السابق. 313/6.

(3)– أحمد بن سهل البلخي.المرجع السابق. 1/88-89.

وقال أيضا:

بفصوص ياقوت وكظ بعرشه *** هول ونار دونه تتوقد.[1]

وذهب أكثر المسلمين إلى أن العرش خلقه الله لمنتهى علم عباده لا أن يكون ذلك حاملا له لأنه منزه عن الحلول على أن يكون محمولا، أو محدودا، أو محاطا به،[2] لقوله تعالى:" سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ"(82 الزخرف) لقد جاء في هذا النص إقران الربوبية بالسماء والأرض والعرش "وهذه الآية من أدل الدلائل على أنه تعالى غير مستقر في السماء، لأنه قال في هذه الآية أن نسبته إلى السماء بالأوهية كنسبته إلى الأرض، فلما كان إلها للأرض مع أنه غير مستقر فيها فكذلك يجب أن يكون إلها للسماء مع أنه لا يكون مستقرا فيها"[3]، وكذلك نسبته للعرش .

لقد ورد في القرآن قوله تعالى: "الرحمن على العرش استوى" سبع مرات: (54 الاعراف)؛ (3 يونس)؛ 2الرعد، 5طه؛ 59الفرقان؛ 4 السجدة؛ 4الحديد)؛ اللفظ في هذه الآيات صريح ومع ذلك يبقى مفهوم كيفية الاستواء غيب، قال في ذلك:"مالك وغيره الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب"[4]، العرش مخلوق لا تسعه مخيلة الإنسان كي يتصوره، أما المكان الذي وسعه فهو أبعد أن يدرك، إذا كان هذا أمر مخلوق، فإن أمر الخالق " كما قال الأئمة منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري قال أمن شبه الله بخلقه كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس بما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه.[5] وعلو الباري على "عرشه لا قاعد ولا قائم ولا مماس ولا مباين عن العرش يريد به مباينة الذات التي هي بمعنى الاعتزال أو التباعد لأن المماسة والمباينة التي ضدها والقيام والقعود من أوصاف الجسام والله عز وجل أحد صمد فلا يجوز على الأجسام تبارك وتعالى "[6]وورد عن ابن حزم تأويل الاستواء

---

(1) - المرجع نفسه.

(2)- أحمد بن سهل البلخي .المرجع السابق. 88/1-89.

(3)- الفخرالرازي.التفسير الكبير.323/27

(4)البيهقي. الأسماء والصفات. ص:408؛ والسيوطي:جلال الدين.الدر المنثور.دار المعرفة. بيروت. 91/3

(5)ابن كثير:أبو الفداء اسماعيل ابن كثير. تفسير القرآن. دار الثقافة.الجزائر.ط(1990م). 111/3.

(6)البيهقي. المرجع السابق.ص:410.

بالاستيلاء، لنفي وصف الخالق بالمستوى؛ لأنه لم يثبت ورود اسم الله بهذا في نص، ولا يجوز لنا أن نسمي الله بما لم يسم به نفسه، و إلا جاز أن ندعوه يا مستوي أو يسمى به الناس بعبد المستوى وهذا غير حادث، وكذلك ليست كل ما نفى عن الله أوجب وقوع ضده عليه تعالى وذلك لو كان الاستواء لم يزل لكان العرش لم يزل. وهذا خروج من الملة، والقول الراجح أن الاستواء هو انتهاء خلقه إليه فليس بعد العرش "خلق وأنه نهاية جرم المخلوقات الذي ليس خلفه خلاء ولا ملاء"[1] ويدعم هذا القول حديث الرسول صلى الله عليه وسلم:"فإذا سألتم فاسألوه الفردوس الأعلى فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وأراه قال وفوقه عرش الرحمان ومنه تفجر أنهار الجنة". [2]

جاء وصف العرش في أحاديث منها الضعيف ومنها الصحيح، روى البخاري قال "حدثنا أبو نعيم حدثنا الأعمش [3] عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر(رضي الله عنه) قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد عند غروب الشمس فقال يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس قلت الله ورسوله أعلم قال فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله تعالى:" وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ(38يس) " [4] وفي رواية يحي عن ابن جعفر" فإنها تذهب تستأذن في السجود فيؤذن لها وكأنها قد قيل لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها ثم قرأ (والشمس تجري لمستقر لها) يدل الحديث أن العرش شيء متميز بذاته عن غيره من المخلوقات، كما لا يمنع أن يحتوي على أشياء، ومخلوقات أخرى -وسجود الشمس تحته لربها لا يعيق سيرها والتصرف فيما

---

(1)- ابن حزم.الفصل في الملل وأهل الأهواء والنحل. 383/1.

(2)- أخرجه البخاري في صحيحه.كتاب الجهاد. (647) رقم: 986.تحقيق:قاسم الشماعي الرفاعي.دار القلم.بيروت.ط1(1987م). 408/4-409.

(3)- الأعمش مدلس وقد عنعن ولكن الشيخين قبلا عنعنته ووافقا على تصحيح حديثه، وأغرب الألوسي وقال : «أن الشمس نفسها كما قيل في الأفلاك فتسلخ منها وتسجد تحت العرش لكن خوض منه فيما لا قبل له به والواجب =أن تصدق أنها تسجد كما ورد في الخديث ولا يجب أن نعلم كيف سجودها وهي تحت العرش في كل آن وتسجد وتنقاد للرحمان في كل لحظة». الكوثري.هامش الأسماء والصفات للبيهقي. ص:393.

(4)- أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب التفسير باب: 456 رقم 1228. 592/5، وأخرجه عن طريق محمد بن يوسف. كتاب بدء الخلق. باب:881 رقم: 1363 . 546/4،من طريق يحي بن جعفر في كتاب التوحيد. باب. 216 رقم: 2225 . 793/3..

سخرت له، ولفظ تحت لا يفيد التحتية أو الفوقية المكانية المحسة لدينا؛ " لأن حروف الصفات تبدل بعضها مكان بعض".[1]

وجاء في الصحيح عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر رضي الله عنه قال :"سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :اهتز العرش لموت سعد ابن معاذ" وعن الأعمش حدثنا أبو صالح عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله فقال رجل لجابر فإن البراء يقول اهتز السرير فقال: إنه كان بين هذين الحيين ضغائن سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اهتز عرش الرحمان لموت سعد بن معاذ" [2]وتأويل الاهتزاز هو الاستبشار والسرور و " معنى ذلك أن حملة العرش الذين يحملونه ويحفون حوله خرجوا بقدوم روح سعد عليهم فأقام العرش مقام من يحمله ويحف به من الملائكة".[3]

وروى البخاري عن الأعمش قال :حدثنا جامع بن شداد عن صفوان بن محرز أنه حدثه عن عمران بن حُصين) رضي الله عنه (قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم. وعقلت ناقتي بالباب فأتاه ناس من بني تميم فقال أقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا قد بشرتنا فأعطانا مرتين ثم دخل عليه من أهل اليمن فقال أقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بني تميم قالوا قد قبلنا يا رسول الله قالوا جئناك نسألك عن هذا الأمر قال كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض فنادى مناد ذهبت ناقتك يا ابن الحصين فانطلقت فإذا هي يتقطع دونها السراب فوالله لوددت أني كنت تركتها"[4]، قال الشيخ الرفاعي في شرح الحديث:" وكان عرشه على الماء استشكل بأن الجملة الأولى تدل على عدم من سواه. والثانية على وجود العرش والماء فهي مناقضة للأولى وأجيب بأن الواو في وكان بمعنى ثم، فليست الثانية من تمام

---

[1] . البيهقي. الأسماء والصفات. ص:394.

[2]- أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب مناقب الأنصار. باب:74رقم. 314 . 106/5 وفي كتاب التوحيد. باب 216رقم :2219 . 792/9، وأخرجه مسلم من وجه آخر عن أبي سفيان عن جابر رضي الله عنه. ومن حديث ابن الزبير عن جابر، ومن حديث قتادة عن أنس ابن مالك. كتاب فضائل الصحابة .باب من فضائل سعد بن معاذ.150/7. .

[3]- البيهقي. الأسماء والصفات. ص:397-398.

[4]- أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب بدء الخلق. باب: 878 رقم:1356. 542/4؛ وأبو الشيخ في العظمة رقم: 209/18 .ص:83.

الأولى؛ بل مستقلة بنفسها، وكان فيهم بحسب مدخولها ففي الأولى بمعنى الكون الأزلي وفي الثانية بمعنى الحدوث بعد العدم، وعند الإمام أحمد عن أبي رزين أنه قال يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض وفي رواية قبل أن يخلق خلقه قال في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء" [1]الحديث رواه أحمد عن وكيع بن حدس عن عمه أبي رزين وقال فيه أحمد حسن البنا:" أحسن ما قيل في ذلك ما ذكره أبو بكر البيهقي في كتاب الأسماء والصفات قال :قوله صلى الله عليه وسلم :كان ولم يكن شيء قبله يعني خلق الماء، وخلق العرش على الماء، ثم كتب في الذكر كل شيء، وقوله في عماء وحدته في كتاب عماء مقيدا بالمد فإن كان في الأصل ممدودا فمعناه سحاب رقيق ويريد بقوله في عماء فوق سحاب مديرًا له"[2]، وبين الطيبي:" أن الماء والعرش كانا مبدأ هذا العالم لكونهما خلقا قبل خلق السماوات والأرض ولم يكن تحت العرش إذ ذاك إلا الماء ومحصل الحديث أن مطلق قوله وكان عرشه على الماء، مقيد ولم يكن شيء غيره والمراد بكان في الأول الأزلية وفي الثانية الحدوث بعد العدم".[3]

وجاء عن بعض السلف فيما رواه أبو الشيخ في العظمة قال :حدثنا إبراهيم بن محمد حدثنا أبو سعيد الشيخ ومحمد بن سنجر قالا حدثنا أبو أسامة عن إسماعيل بن أبي خالد قال سمعت سعدا الطائي يقول :"العرش ياقوته حمراء"[4]، لقد جاء ذكر العرش في نصوص الوحي باسمه المعرف والمنسوب للباري، وموصوفا بالعظيم، والكريم، والمجيد، كما وصف بأنه محمول على الملائكة وأن الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم .وذهبت طائفة من المتكلمين إلى أن العرش هو الفلك المحيط بالعالم من كل جانب. وهو مستدير" دعاه بعضهم بالفلك التاسع"[5]،ورد ابن كثير على هؤلاء قال:"لأنه الصحيح الذي تقوم عليه الأدلة فيه مما يلي العالم من هذا الوجه، وليس بمحيط كسائر الأفلاك لأن له قوائم.

---

(1)- الشيخ الرفاعي.هامش صحيح البخاري. 541/4.

(2)- أحمد البنا. الفتح الرباني. الطبعة الثانية. دار إحياء التراث العربي. بيروت.3/2.

(3)- ابن حجر العسقلاني. الإصابة في تمييز الصحابة. دار العلوم الحديثة.بيروت. ط1(1328 هـ).334/6.

(4)- أبو الشيخ:عبد ابن محمد ابن جعفر بن حيان.العظمة.تحقيق:محمد فارس.دار الكتب العلمية.بيروت.ط1(1994). رقم 217/26. ص:85؛ وابن كثير.تفسير القرآن.344/3.

(5)- الشيخ الرفاعي.على هامش صحيح البخاري. 542/4.

وحملة يحملونه، ولا يتصور هذا في الفلك المستدير"[1]، وقال في تفسير قوله تعالى:" فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ"(129 التوبة) أي هو مالك كل شيء وخالقه لأنه رب العرش العظيم الذي هو سقف المخلوقات وجميع الخلائق"[2]، وقوله تعالى:" الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ" (7غافر) يبين النصان هناك نوعين من الملائكة، الأول: هم حملة العرش الذين يحملونه قيل أنهم ثمانية يحملون العرش يوم القيامة الوارد ذكره في قوله تعالى:" وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ"(17الحاقة) "ويحتمل أن يكون المراد بهذا العرش العظيم، أو العرش الذي يوضع في الأرض يوم القيامة لفصل القضاء"[3]. كما أختلف في الثمانية أي ثمانية أملاك [أفراد] أم ثمانية أصناف [4]. أما الصنف الثاني: هم الذين يطوفون من حوله مهللين مكبرين.[5]

وحصيلة ما ورد من نصوص، وأقوال في بيان وجود العرش، ومفهومه: يتضح جليا فيما يلي :

1 - العرش جسم مخلوق موصوف بصفات العظمة والتكريم والتمجيد. لنسبته إلى ذات الخالق في قوله :ذي العرش.

2 - بينت النصوص أنه من المخلوقات الأولى، وقد جاء في الحديث عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:"أول ما خلق الله تبارك وتعالى القلم، ثم قال له أكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة".[6]

3 - ثبت من النصوص أن العرش محمول على ملائكة، وملائكة أخرى تطوف به من حوله، وهذا دليل على أنه محدود له نهايات، لكن نهاياته خارجة عن إدراك البشر: ما

---

(1)- ابن كثير.المرجع السابق. 413/3.

(2)- المرجع السابق .309/3.

(3)- المرجع السابق.57/7.

(4)- الأشعري. مقالات الإسلاميين.تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد.دار الحداثة.ط2(1985). 261/1.

(5)- الفخر الرازي. التفسير الكبير. 31/27.

(6)- أخرجه:أحمد في مسنده.أحاديث عبادة بن الصامت برقم:22757.مؤسسة قرطبة.مصر.د.ط.ت.317/5.

دامت الملائكة تطوف حوله فهو إذًا أعظم وأكبر من الملائكة، والإنسان لا يستطيع إدراك ماهية وجوهر الملائكة التي تعد خارج الحس.

4 - ورود ذكر العرش وصفاته، وعظمته فيها تنبيه للإنسان على حدود قدرته، ومسألة سعة إدراكه في اتجاه التضخيم والتدقيق، وفي هذا بيان لقدرة الخالق اللامتناهية وسعتها لشتى الخلائق المحسة والغيبية.

ثالثا-الكرسي:

معناه السرير، والعلم[1]، والكرسي منسوب إلى كرْسِ المُلك وهو معدن المُلك والعلم.[2]

ورد ذكر الكرسي في القرآن مرتين :قال تعالى:"... وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ..." (255 البقرة)، وقوله تعالى:" وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ"(34ص) فلفظ الكرسي الوارد في الآية الثانية مفهومه المراد من الخطاب الكرسي العادي المعروف لدى الناس، أما لفظ الكرسي الوارد في النص الأول المنسوب لله تعالى، جاء في تعبير حسي؛ لكي يراد منه أمر غيبي، "فالكرسي يستخدم عادة في معنى المُلك، والعلم [3]وروى: أن الله سبحانه خلق كرسيا "بين يدي العرش دونه السماوات والأرض، وهو العرش كأصغر شيء، وعن الحسن [البصري] الكرسي هو العرش"[4]، وذهب بعض المتكلمين "على علم الهيئة من الإسلاميين أن الكرسي عندهم هو الفلك الثامن وهو فلك الثوابت الذي فوقه الفلك التاسع، وهو فلك الأثير ويقال له الأطلس، وقد رد ذلك عليهم آخرون، وروى بن جرير من طريق جويبر عن الحسن البصري أنه كان يقول: الكرسي هو العرش والصحيح أن الكرسي غير العرش، والعرش أكبر منه"[5]، وروى البيهقي عن سعيد بن جبير عن بن عباس(رضي الله عنهما) أنه قال عن الكرسي علمه[6]، والأحاديث التي جاء فيها ذكر الكرسي مضعفة، ورواتها متكلم فيهم.

---

(1)- الفيروز آبادي.المرجع السابق.246/2.

(2)- الزمخشري.أساس البلاغة.تحقيق:عبد الرحيم محمود.دار المعرفة.بيروت.د.ط.ت.ص:390.

(3)- سيد قطب. المرجع السابق. 290/1.

(4)- الزمخشري. الكشاف. دار المعرفة. بيروت.154/1.

(5)- ابن كثير. تفسير القرآن.333/1

(6)- البيهقي. الأسماء والصفات.ص: 392.

روى البيهقي: "أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ.... عبيد بن عمير الليثي عن أبي ذر رضي الله عنه قال :دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد فذكر الحديث قلت فأي آية أنزل الله عليك أعظم؟ قال آية الكرسي، ثم قال صلى الله عليه وسلم: يا أبا ذر ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة" تفرد به يحي [1] بن سعيد السعدي وله شاهد بإسناد أصح. أنبأني أبو عبد الله الحافظ إجازة أنا أبو بكر بن إسحاق الفقيه حدثنا الحسن بن سفيان بن عامر حدثنا إبراهيم [2] ابن هشام بن يحي الغساني حدثنا أبي عن جدي عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله أيما انزل عليك أعظم؟ قال صلى الله عليه وسلم آية الكرسي، ثم قال يا أبا ذر ما السماوات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة" [3]، كما روي عن أبي موسى رضي اله عنه قال: "الكرسي موضع القدمين وله أطيط كأطيط الرحل"وذكرنا أن معناه فيما نرى أنه موضوع من العرش موضع القدمين من

---

(1)- قال العقيلي: "لا يتابع عليه، وقال بن حبان يروى المقلوبات والملزوقات لايجوز الإحتجاج به إذا انفرد" الذهبي. ميزان الاعتدال. 377/4.

(2)- "أحد المتروكين الذين مشاهم بن حبان فلم يصب".الذهبي. ميزان الاعتدال. 378/4؛ وقال الكوثري: "كذبه أبو زرعة وأبو حاتم وأقل ما يقال فيه أنه متروك الحديث ووهم ابن حبان حيث وثقه فلا يكون الإسناد أصح من ذلك بل كلاهما". هامش الأسماء والصفات.للبيهقي.ص:405.

(3)- البيهقي.المرجع السباق.ص:405،403 ؛والسيوطي.الدر النثور.328/1 ؛ وأبو الشيخ .المرجع السابق.برقم:208/17.ص:83.

السرير؛ وليس فيه إثبات المكان لله سبحانه، وفي سند هذا الأثر عمارة بن عمير ذكره البخاري في الضعفاء، وقال الكوثري: "لا يثبت في الأطيط حديث"[1]؛ لكن ابن كثير روى: "وجاء في بعض الآثار أن أهل الفردوس يسمعون أطيط العرش وهو تسبيحه وتعظيمه وما ذاك إلا لقربهم منه" [2]، وهذا يعلل الأطيط؛ أنه ليس ما يحدث من صوت عن الثقل ولظ أجزائه، وروى ابن خزيمة حديثا في الأطيط: "إن كرسيه وسع السماوات والأرض وإن له أطيطا كأطيط الرحل الجديد إذا ركب من ثقله" وقال: "ليس هذا الخبر من شرطنا لأنه غير متصل الإسناد لسنا نحتج في هذا الجنس من العلم بالمراسيل المنقطعات"[3]، وقال الذهبي فيما أثر عن ابن عباس فيما يخص الكرسي: "عن أبي عاصم عن عمار الدهني عن مسلم البَطين عن سعيد عن ابن عباس مرفوعا :كرسيه موضع قدميه، والعرش لا يقدر قدره.أخطأ شجاع [ابن مخلد الفلاس] في رفعه. رواه الرمادي والكجي عن أبي عاصم، مرفوعا، وكذلك رواه ابن مهدي ووكيع عن سفيان" [4]، الآية التي ذكر فيها الكرسي منسوب لله تعالى من آية الكرسي، ولم يذكر في غيرها، ولم يرد وصفا له يحدده إنما جاء مطلقا، ومن ثم أوله بعض المفسرين بأنه علم الله، ومن جانب آخر قد وردت أحاديث وآثار

---

(1)- المرجع نفسه.ومحمد صديق خان القنوجي.قطف الثمر.تحقيق:عاصم عبد الله القريوني.دار الإمام مالك.البليدة.ط2(1984).ص:37.

(2)- ابن كثير.بداية خلق الكون.تحقيق:عادل أبو المعاطي.دار البشير.ط(1993). ص:42.

(3)- ابن خزيمة:محمد ابن إسحاق.كتاب التوحيد واثبات الصفات الرب.دار الكتب العلمية.بيروت.ط(1992م).ص :106.

(4)- الذهبي.ميزان الاعتدال.265/2.

عن الرسول ﷺ تدلل على أنه مخلوق عظيم يعلو السماوات والأرضين، وذلك لبيان أن عظمة خالق هذا المخلوق المحيط بالكون لا يمكن تحديدها وإدراكها، وفي ذلك رد على المشبهة والمجسمة من أهل الأديان الذين قصرت مداركهم وتصوراتهم في نفي ما هو خارج عن نطاق الإدراك والحس بتبليغهم أن من المخلوقات ما لا تدرك عظمته، فكيف بعظمة الخالق؟. جاء الوحي بذكر المخلوقات الغيبية مثبتا وموجبا الإيمان، والتصديق بوجودها، وذلك بيان للبشر أن قواهم محدودة في مجال المخلوقات، مما يستدعي نسبتها للخالق وصفاته لا تكون إلا في استحضار عظمته ولطفه في خلقه، وهذه من فوائد ذكر الغيبيات والإيمان بها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني

القلم واللوح

القلم واللوح كلاهما من أدوات الكتابة ولقد ورد ذكرهما في القرآن والسنة أنهما مخلوقان يرمزان إلى قدرة الخالق وعنايته ورعايته لخلقه، والإيمان بهما يذكر المؤمن بعظمة الله ولطفه في تقدير الأمور والتحكم في التفاعلات بين المخلوقات، مما يلمع في الذهن تساؤلات منها كيف يتصور صفة ووظيفة هذين المخلوقين؟

أولا--القلم:

تعريفه في اللغة هو الأداة التي يكتب بها، وهو كل ما يقلم أو يبرى، يقال للمقراض المقلام، والقلم والقلامة قطعة، والتقليم التقطيع .[1]وهذا الوصف ينطبق على القلم المعروف لدنيا في عالم الدنيا،وقد جاء ذكر القلم في القرآن الكريم أربع مرات قال الله تعالى:" ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ"(44،آل عمران) ، وقال تعالى:" وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (27لقمان) ، وقال تعالى:"ن والقلم"(1ن)، وقال تعالى :"علم بالقلم"(4العلق) في النص الأول ذهب أغلب المفسرين إلى أن الأقلام التي ألقيت في الاقتراع لم تكن سوى أقلام عادية، أو قطع من خشب مقلمة ومبرية، ولم يُرَ أن المقصود بها غير هذا، قال البيضاوي :"قال زكريا أنا أحق بها [مريم] عندي خالتها فأبوا إلا القرعة وكانوا سبعة وعشرون فانطلقوا إلى نهر فالقوا أقلام فطفا قلم زكريا"[2]، وخص بعض المفسرين أن الأقلام تلك التي كانوا يكتبون بها التوراة، ألقوها في نهر الأردن[3]، وقيل هي أزلامهم

---

[1]- ابن منظور.المرجع السابق.490/12، 491 .

[2]- البيضاوي.المرجع السابق.ص:72.

[3]- السيوطي. الدر المنثور.20/2؛ وطنطاوي جواهري، الجواهر في تفسير القرآن.دار آفتات.تهران.ط2 .103/2، محمد الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير.45/2.

وهي أقداح طرحوها في النهر مقترعين على كفالة مريم[1]، وذهب الصاوي في تفسيره أنها سهامهم أو أقلامهم المصنوعة من الحديد كانوا يكتبون بها التوراة.[2]

يتبين أن أقوال المفسرين كلها تثبت أن الأقلام الواردة في قصة مريم في هذا النص ما هي إلا قطع من خشب أومن حديد سواء كانت آلة للكتابة أم سهاما، أو أقداحا،مخصصة للقرعة، النص الثاني في(سورة لقمان) القلم هنا يراد به آلة الكتابة، ومن سياق النص لا يمكن أن نحمله معنى آخر غيرمايراد بالقلم المعروف والمعهود لدى الناس ولقد اتفق المفسرون على أن معنى القلم في هذا النص هو كذلك[3].

النص الثالث جاء فيه ذكر القلم فيه افتتاح سورة القلم بقوله تعالى: "ن والقلم" في صيغة قسم، وكثيرا ما يربط المفسرون تفسير القلم الوارد في هذا النص، بالقلم الوارد في النص الرابع في قوله تعالى: "الذي علم بالقلم"(4العلق)، البيضاوي ذهب إلى: " أن هو القلم الذي خط في اللوح أو الذي يخط به " الذي علم بالقلم" علم الخط وهو تقييد لعلوم ويعلم به" [4].

وذهب ابن العربي إلى أن الله: " خلق القلم فكتب ما يكون في الذكر ووضعه عنده فوق عرشه، ثم خلق القلم الثاني ليعلم به من في الأرض[5]، والأقلام في الأصل ثلاثة " القلم الأول كما ثبت في الحديث أول ما خلق الله القلم فقال أكتب فكتب ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، فهو عنده في الذكر فوق عرشه، القلم الثاني، ما جعل الله أيدي الملائكة يكتبون به المقادير والكوائن والأعمال وذلك قوله تعالى:" وَإِنَّ عَلَيْكُمْ

---

[1]- الزمخشري .الكشاف.189/2 ؛ وابن العربي. أحكام القرآن.. تحقيق: علي محمد البجاوي. دارالمعرفة. بيروت. د.ط.ت. 273/1؛ وابن كثير. تفسير القرآن.24/2..

[2]- الصاوي:أحمد الصاوي المالكي. حاشية الصاوي على تفسير الجلالين.دار الفكر.ط(1977م). 101/1.

[3]- الزمخشري. الكشاف.215/3، 216 ؛ والبيضاوي. المرجع السابق. ص.546؛ وابن كثير تفسير القرآن. 238/5؛ والسيوطي، المرجع السابق.167/5، 168 والصاوي المرجع السابق.159/3 ؛ و محمد محمود حجازي. التفسير الواضح. مطبعة الاستقلال. القاهرة. ط6 (1969م) .52/11 ؛ وسيد قطب.المرجع السابق.95/5،27.

[4]- البيضاوي.المرجع السابق.ص:751، 804.

[5]- ابن العربي.المرجع السابق.1855/4.

لَحَافِظِينَ. كِرَامًا كَاتِبِينَ. يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ(10- 12الانفطار)" خلق الله لهم الأقلام وعلمهم الكتابة بها.

القلم الثالث :أقلام الناس جعلها الله تعالى بأيدي يكتبون بها الكلام...لكل أمة حروف مصورة بالقلم...وذلك كله مما علم الله آدم عليه السلام كما جاء في القرآن الكريم".[1]

بينما ابن تيمية أكد في تفسيره لقوله تعالى: "ن والقلم" أن القلم المقصود هو آلة الكتابة التي يستعمله الإنسان لا غير وذلك يربط ما يلحق من ألفاظ النص فقال(ن والقلم) فإن القلم به يكون الكتاب الساطر للكلام المتضمن للأمر والنهي والإرادة والعلم المحيط بكل شيء فالإقسام وقع بقلم التقدير ومسطوره" [2]والقلم ما يقتضي به تعليم الخط المطابق للفظ والبيان والكلام "بالمعاني المعقولة التي في القلب فيدخل فيه كل علم في القلوب وكل شيء له حقيقة في نفسه ثابتة في الخارج عن الذهن، يتصوره الذهن والقلب، ثم يعبر عنه اللسان، ثم يخطه القلم فله وجود عيني وذهني ولفظي ورسمي، وجوده في الأعيان والأذهان واللسان والبنان"[3]، ويذهب كثير من المفسرين بقولهم في القلم الوارد ذكره في القرآن :أنه القلم الذي يخط تقديرا وبيانا لدور القلم الذي حركته وكتابته تؤدي إلى ازدهار ونشر العلم بين الناس بسبب هذا الدين.[4]

إن الأحاديث التي استشهد بها أغلب المفسرين معظمها ضعيفة، أو من أخبار بني إسرائيل، وخاصة تلك النصوص التي تصف القلم واللوح، وشكلها."قال أكثر المفسرين إنه لوح وقلم خلقهما الله كما شاء وألهم القلم أن يجري بما أراد، وجعل اللوح واسطة بينه وبين ملائكته...وهذا لا يختلف فيه موحد، و لا يسوغ الاختلاف فيه لظاهر النص من الكتاب والسنة فإن خطر خاطر بأنه :أية فائدة في اللوح والقلم له بأن أسرار حكمة الله عز وجل من العباد محجوبة إلا ما أطلعهم عليه وما طوى عنهم فليس إلا التصديق به

---

[1]- المصدر السابق .1954/4، 1955؛ والصاوي.المرجع السابق.333/4

[2]- ابن تيمية. التفسير الكبير.تحقيق:عبد الرحمان عميرة.دار الكتب العلمية.بيروت.ط1(1988م). 83/6

[3]- المصدر السابق.270/6

[4]- الزمخشري. الكشاف.126/4؛ وابن كثير.تفسير القرآن. 44/7؛ وطنطاوي جواهري.جواهر القرآن. .244/23

والاستسلام له" .[1]وأورد بن كثير في تفسير (ن والقلم) حديثا برواية ابن جرير عن طريق معاوية بن قرة عن أبيه قال: "رسول الله (ﷺ) (ن والقلم ما يسطرون) لوح من نور وقلم من نور يجري بما هو كائن إلى يوم القيامة (وهذا مرسل غريب وقال ابن جريج)أخبرت أن ذلك القلم من نور طوله مائة عام...(وأورد في ذلك الأحاديث الواردة فيذكر القلم فقال ابن أبي حاتم حدثنا عبد الواحد بن سليم السلمي عن عطاء هو أبي ابن رباح حدثني بن عبادة بن الصامت قال دعاني أبي حين حضره الموت فقال :أبي سمعت رسول ﷺ يقول أن أول ما خلق الله القلم فقال له أكتب قال يا رب ما أكتب قال أكتب القدر وما هو كائن إلى الأبد، وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد من طريق عن الوليد بن عبادة عن أبيه به، وأخرجه الترميذي من حديث أبي داود الطيالسي وقال حسن صحيح غريب"[2]. وأخرج البيهقي في الأسماء والصفات حديثا:" عن سعيد بن جبير عن أبن عباس رضي الله عنه أنه كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال، أن أول شيء خلقه الله تعالى القلم وأمره فكتب كل شيء يكون، ويروي ذلك أيضا عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعا وإنما أرادوا والله أعلم أول شيء خلقه بعد خلق الماء والريح والعرش، وذلك بين في حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه ثم خلق السماوات والأرض، وفي حديث ضبيان عن ابن عباس- رضي الله عنه - مرفوعا عليه". [3]

وروى أبو الشيخ :حدثنا إبراهيم بن محمد حدثنا يحي بن حميد عن أبي حميد حدثنا عثمان بن عبد الله الدمشقي عن بقية بن الوليد قال :حدثنا أرطأة ابن المنذر الكلاعي قال سمعت مجاهد يذكر عن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :إن الله تبارك وتعالى أول شيء خلق خلق القلم وهو من نور مسيرة خمسمائة عام. فأمر الله عز وجل القلم فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة فصدقوا كما بُلغتم عن الله تبارك وتعالى من قدرته"[4]وقال أبو الشيخ :"حدثنا جعفر بن أحمد عن فارس حدثنا سهل بن عثمان

---

[1]- احمد بن سهل البلخي. البدء والتاريخ. 87/1.

[2]- ابن كثير.تفسير القرآن. 44/43/7.

[3]- البيهقي. الأسماء والصفات. باب بدء الخلق.ص.378.

[4]- أبو الشيخ. العظمة.رقم: 224/33.ص.86.

حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :إن أول ما خلق الله عز وجل القلم فقال له : أكتب فقال يا رب ما أكتب قال أكتب القدر فجرى بما هو كائن إلى يوم القيام..."[1].

إذا تتبعنا "الأحاديث والآثار الواردة في هذا الباب فمعظمها موقوفة وما صح فهو مرسل غريب والموقوف قال الكوثري لا يتمسك به في مثل هذه المطالب" [2]والحديث المرسل أختلف في الأخذ به [3] "أي الحديث المرسل دائر بين احتمالي الصحة والضعف" [4] أما الغريب فقد قال فيه الإمام أبو يوسف: "من اتبع غريب الحديث كذب"[5]، وقال الإمام مالك: "شر العلم الغريب وخير العلم الظاهر الذي قد رواه الناس"[6]. وقال عبد الرزاق:" كنا نرى أن غريب الحديث خير فإذا هو شر". [7]

وقد احتج ابن القيم بحديث عبادة رضي الله عنه في إثبات تقدير المقادير قبل خلق السماوات والأرض والقضاء والقدر[8]، وأورد الآجري عدة أحاديث تنص على القلم وتبين أنه كتب به القدر قبل خلق السماوات والأرضين في باب الإيمان بما جرى به القلم مما يكون أبدا[9]. وهذا يبين وجوب الإيمان بالقلم، لكن تبقى صفاته، وصورته في الذهن غير محدودة، وكل ما ورد من صفات له في الأحاديث والآثار، كقوله أنه مسيرة خمسمائة عام

---

(1)- المرجع السابق. رقم:900. ص302؛ والبيهقي.المرجع السابق. ص.378. وقال الحديث موقوف على ابن عباس. وقال السيوطي صححه الحاكم. الدر المنثور.249/6؛ والمرجع الآخر:أبي بكر محمد بن الحسين الآجري الشريعة.تحقيق:محمد حامد الفقي.دار الكتب العلمية.ط1(1983م). ص:179.

(2)- الكوثري.على هامش. الأسماء والصفات للبيهقي. ص:378.

(3)- الخطيب البغدادي:أبو بكر أحمد بن علي. الكفاية في علم الرواية.تحقيق:أحمد عمر هاشم.دار الكتاب العربي.بيروت.ط2(1986م). ص:423، 433، 435.

(4)- نورالدين عتر. منهج النقد في علوم الحديث .دار الفكر.بيروت.ط2(1997م).ص: 373.

(5)- الخطيب البغدادي. المرجع السابق.ص: 172.

(6)- العراقي:أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين.فتح المغيث.تحقيق: صلاح محمد محمد عويضة.دار الكتب العلمية.بيروت.ط1(1993م).ص:310؛ والسيوطي:جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر.تدريب الراوي.تحقيق:أحمد عمر هاشم.دار الكتاب العربي.ط1(1985م). ص164/2؛ ونور الدين عتر. المرجع السابق. ص:402.

(7)- السيوطي.المرجع السابق. ص:164/2.

(8)- ابن القيم.شفاء العليل.تحقيق:السيد محمد بدر الدين أبو فراس النعساني.دار الفكر.ط(1978م). ص:6

(9)- الآجري.المرجع السابق. ص :177، 179.

أو مائة سنة، وأنه من نور، تبقى وحدة المسير مطلقة في المكان محددة بالزمان، ونحن الآن لدينا أطول وحدة قياسية معروفة هي :السنة الضوئية وهذا يجعل أبعاده غير ممكنة التصور، ولا كتابته، فتبقى في علم الخالق مع الإيمان بوجوده لأنه يدل على تقدير المخلوقات؛ من كائنات، وحوادث، وهذا التصور ورد في القرآن أكثر من مرة لعدم تصور وجود الكون دون خالق مدير له بحكمة، وهذا بدوره يقتضي ضرورة وجود تقدير سابق للخلق وهو: "علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها" [1] لقوله تعالى: " إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ "(49القمر)، وقوله تعالى: " إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا"(3الطلاق) " أي منفذ قضاياه في أحكامه في خلقه بما يريده "[2]. ومثال التقدير السابق للخلق وكتابته هو ضرورة لوضع قوانين تضبط تفاعلات المخلوقات وحركياتها لا تحيد عنها وهي التي توجهها، وتحدد نواتج ذلك، وهذا ثابت من الكشوف العلمية في مجال علم الطبيعة والفيئة؛ كدوران بعض العناصر المادية في الطبيعة: منها دورة الأكسجين، والكربون والنتروجين...الخ؟ أو ما توصل إليه الإنسان في الفضاء. "ولقد وصل العلم الحديث إلى أطراف من هذه الحقيقة، في ما يملك أن يدركه منها بوسائله المهيأة له ..وصل في إدراك التناسق بين أبعاد النجوم والكواكب وأحجامها وكتلها وجاذبيتها بعضها لبعض إلى حد أن يحدد العلماء مواقع كواكب لم يروها بعد لأن التناسق يقتضي وجودها في المواضع التي حددوها فوجدوها في هذه المواقع، هو الذي يفسر ظواهر معينة...وبدل تحقيقه على الدقة المتناهية...بهذه النسب المقدرة التي لا يتناولها خلل أو اضطراب...تقدير في الزمان وتقدير في المكان وتقدير في المقدار وتقدير في الصورة وتناسق مطلق بين جميع الملابسات والأحوال"[3]، فهذه صورة من صور الكتابة السابقة للحدث الذي سيكون مطابقا لها. ومن ثم يمكن القول أن القلم الوارد ذكره في نصوص القرآن والحديث له من صفات ما يؤهله إلى كتابة كل حدث يناسب موقعه في المكان والزمان على صفته المحكمة اللائقة بذلك الحال بأمر الخالق .إذا الاعتقاد بالقلم منصوص عليه أما صفاته فهي خارجة عن مداركنا فتبقى غيبية ،ظنية في تصويرها الذهني على حسب تمكن الشخص من الأدلة.

---

[1]- ابن كثير. تفسير القرآن. 281/6.،

[2]- ابن كثير. المرجع السابق.22/7.

[3]- سيد قطب.في ظلال القرآن. 3437/6- 3440.

ثانيا– اللوح:

هو كل صفيحة عريضة[1]، وفعله لاح أي لَمَعَ أو لمع أومض .[2]واللوح هو الآلة التي يكتب عليها أو فيها، أما اللوح المحفوظ يعني مستودع مشيئات الله تعالى، ورد ذكره في القرآن العظيم بصيغة لوح في سورة البروج: "في لوح محفوظ"(22البروج) ورد بصيغة الجمع الألواح بقوله تعالى: "وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ".(145الاعراف) وقوله تعالى: " وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (13القمر)، الألواح الواردة في القرآن بصيغة الجمع كلها تدل على ألواح من حجر أو من خشب؛ أي صفائح مادية محسة تستخدم للكتابة لأغراض دنيوية مثل كتابة البشر، أو تدل على قطع خشب عريضة تصنع منها السفن .أما اللوح بصيغة الإفراد الواردة في سورة البروج هو اللوح المحفوظ .قال الزمخشري: "واللوح الهواء يعني اللوح فوق السماء السابعة الذي فيها اللوح"[3]؛ لكن أكثر المفسرين قالوا: "إنه لوح وقلم خلقهما الله كما شاء وألهم القلم أن يجري بما أراد وجعل اللوح واسطة بينه وبين ملائكته كما جعل للملائكة واسطة بينه وبين رسله"[4].

ولقد روى أبو الشيخ حديثا في وصف اللوح فقال: "حدثنا إبراهيم بن محمد ... عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال :خلق الله عز وجل اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام فقال للقلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش اكتب على خلقي فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة" [5]قال السيوطي: "إسناد جيد"[6].

أما بقية الأحاديث ضعيفة، جاء فيها وصف للوح بأنه من درة بيضاء، أو زبرجدة حمراء ... وأن طوله مابين السماء والأرض فهذه الأوصاف إن صحت فهي خارجة عن مجال الإدراك البشري، إنما تدل على عظمة هذا المخلوق لرفعته، " ومجد كلام الله المكتوب في لوح محفوظ

---

(1)– الفيروز ابادي. المرجع السابق. 247/1.

(2)– ابو بكر الرازي.مختار الصحاح.ص:385.

(3)– الزمخشري. الكشاف.201/4.

(4)–احمد بن سهل البلخي. المرجع السابق.87/1.

(5)– أبو الشيخ. العظمة. رقم: 223/32.ص:86.

(6)– السيوطي. الدار المنثور.335/6.

لا تدرك طبيعته، لأنه أمر الغيب الذي تفرد الله بعلمه، إنما ننتفع نحن بالظل الذي يلقيه التعبير والإيحاء الذي يتركه في القلوب"[1]، والنفع الحاصل من ذكر اللوح هو الاعتقاد بأن القرآن محفوظ لا يعتريه التحريف و لا يبلى بتقادم الزمن، وأما الفائدة العامة من ذكر المخلوقات واستئثار الخالق؛ بأوصافها خارج مجال إدراك البشر دليل على أن لله أسرار في جميع المخلوقات لا يتأتى للإنسان الوصول إليها، ومن ثم يستشعر بعظمة الخالق وقدرته و"ورد في نصوص الشريعة الإسلامية التي تعتمد في الاعتقاد أن الله تعالى خلق سبع سماوات وخلق جسما كبيرا فوق تلك السماوات يسمى الكرسي وجسما آخر فوقه يسمى عرشا وأن بيننا وبين تلك الأجسام مسافات عظيمة كما أن بينها مسافات وأنه تعالى خلق جسما كبيرا يسمى لوحا وجسما آخر يسمى قلما لإثبات ما يكون في العالم وتسطيره لا عن حاجة إلى جميع ذلك بل لحكم هو يعلمها سبحانه"[2].

إن كثير من الباحثين والمفكرين قديما وحديثا دخلوا هذا المعترك، وبذلوا ما يمكون من ذكاء وفطنة، واستفرغوا جهدهم وكان مآلهم الإقرار بالعجز عن إدراك شيء في هذا الوجود غير المنظور[3].كما يبقى ترتيب خلق هذه المخلوقات [الماء والعرش والكرسي والقلم اللوح] غيب وقد يعود ذلك على عدم خضوع ذواتها للزمن وقيامه، ولذا جاء ذكر خلقها مطلقا غير مقيد بترتيب زمني. كما يمكن أنها خلقت مع بعضها، أو سبق أحدها الآخر في جانب وتأخر عنه في جانب آخر...وفي الوقت نفسه يحمل ذكر هذه المخلوقات أسبقيتها وأحاطتها ببيئة الإنسان الخاصة التي عجز عن استيعاب جميع مركباتها بحس أو خيال [4]وإن عبر عليها الوحي بألفاظ حسية مثل: " الملائكة والجن والشياطين والعرش والكرسي وغير ذلك، ومجال الفكر في هذه الأشياء مما يضيق، ويغمض فننعدل إلى الأقرب إلى الأفهام وهي المدركات" [5]بالحس من بصر وسمع، وبالنظر، وذلك

---

[1]- سيد قطب.المرجع السابق.3876/6.

[2]- حسين افندي الجسر.الخصون الحميدية.دار المكتبة المحمودية.القاهرة.ط2.د.ت.ص:114.

[3]- عبد الكريم الخطيب. القضاء والقدر.دار الفكر.ط(1974). ص:10.

[4]- ابن كثير. بداية خلق الكون. ص:35.

[5]-الغزالي.التفكر في خلق الله.تحقيق:ماهر المنجد.دار الفكر.بيروت.ط1(1416هـ-1995م).ص:79-80.

ملكوت السماوات وما احتوت من مجرات ونجوم وسدم وأجرام، والأرض وما فيها من ظواهر طبيعية، ومخلوقات حية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني

خلق السماء ومكوناتها

لقد ثبت من نصوص الوحي في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف أن السماوات سبقتها مخلوقات مثل، العرش، والماء...؟ قال تعالى "وكان عرشه على الماء"(7 هود)، وأثر عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: "خلق الماء أولا، أو الماء وما شاء من خلقه لا عن أصل ولا على مثال سبق ثم جعله أصلا لما خلق بعده"[1] فهذا يدل على أن الماء سابق في الوجود عن السماء وهو جسم مادي مركب من عنصرين ماديين طبيعيين معروفين لدينا وهما: الهيدروجين، والأكسجين، ومن ثم تكون للسماء مادة أصلية خلقت منها، وهذه المادة قد تكون مشتقة أو مخلوقة مما سبقها كالماء أو تكون صادرة لا عن أصل، أو مثال سبق. مما يؤدي إلى السؤال التالي:

ما هي المادة الأصلية التي خلقت واشتقت منها السماء ومكوناتها؟، ثم يأتي بعد ذلك التساؤل عن كيفية تشكل السماء وهيأة بنيتها ومركباتها؟

---

[1]- البيهقي. الأسماء والصفات. ص:389.

المطلب الأول

المادة الأصلية التي خلقت منها السماء

السماء لفظ له دلالات متعددة، وجاء استعماله في القرآن حسب سياق الكلام فأحيانا كان عاما يتحمل جميع دلالاته، وأحيانا أخرى خصص المراد منه بقرينة تدل على ذلك وتحدد المعنى المقصود منه، وبذلك تصبح المادة الأصلية التي خلقت منها السماء تابعة للمراد منها حسب موردها، والمادة الأصلية الأولى فهي أصل لكل لاحق لها.

أولا– المادة الأصلية للسماء:

جاء في القرآن قوله تعالى: " ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ(11، 12فصلت) قوله تعالى وهي دخان بيان وإشارة إلى المادة الأولية التي خلقت منها، قال البيضاوي: " وهي دخان أمر ظلماني ولعله أراد به مادتها والأجزاء المتصغرة التي ركبت منها "[1]. وذهب محمد ابن أحمد الاسكندراني إن الدخان المذكور في الآية هو الماء الذي كان عليه العرش الذي تحول إلى بخار فصار دخانا، فسواد الخالق سماء، أو خلق منه السماء .[2]وذهب الفخر الرازي، إلى أن المراد من الدخان لما يحمل اللفظ من دلالة لغوية وهي أن الدخن هو: عدم الاستنارة، أي أن الخالق لما خلق الأجزاء التي لا تتجزأ قبل أن يخلق فيها كيفية الضوء فكانت مظلمة، ثم ركبها وجعلها سماوات وما تحتويه من كواكب وأجرام، فقصد الباري أن تلك حين قصدها لخلق السماوات كانت مظلمة ولذلك صح تسميتها بالدخان[3]. ومن هذه الآراء يتضح أن الدخان المقصود في قوله تعالى: "... ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ".

يتبع مفهوم الدخان معنى السماء، أي يكون بمثابة المادة الأصلية لكل سماء حسب المراد منها ويختلف باختلافها، بمعنى لكل نوع من السماوات لها مادة أصلية نشأت منها(الدخان).

---

[1]– البيضاوي .المرجع السابق. ص:638.

[2]– محمد بن أحمد الاسكنداري. كشف الأسرار النورانية القرآنية.المطبعة الحجرية.القاهرة. 79/1.

[3]الفخر الرازي .التفسير الكبير. 104/27.

وذهب المحدثون في تفسير الدخان، أنه السديم الذي نتج عن انفجاره النجوم والمجرات، والأجرام التي تجوب الفضاء؛ لكن لا تقوم هذه الآراء على أدلة ثابتة تثبت صحة هذا التفسير، إلا أنه يمكن القول أن إحدى صور الدخان قد تكون هي السديم الذي نشأ منه ما يسمى حاليا الكون. وذلك يعود إلى معنى الدخان المعروف في عالم الحس هو: ما يرتفع من لهب النار، ويتركب من بخار الماء وجزيئات مركبات ما يحترق، وغبار " والله أعلم وحده بكنهه وحقيقته، وكل ما وصل إلينا عن طريق الأخبار شيء لا يجزم بصحته. وما يقرره العلم كنظرية السديم فشيء ينقصه الدليل العلمي القاطع" [1]. وما آراء القدماء إلا محاولات لتفسير أو تقريب الصورة الذهنية للدخان الأول الذي خلقت منه السماوات، وكذلك النظريات العلمية الحديثة فهي محاولات أخرى لمعرفة كنه المادة الأصلية التي خلقت منها السماوات، والأجرام السابحة فيها، ومع ذلك يبقى العلم المطلق بالحقيقة عند الخالق استأثر به عن خلقه؛ لكن البحث والتنقيب يزد "العلماء يقينا بأن القرآن الكريم كتاب من عند الله لا ريب، فيه هدى وموعظة للمتقين لأن إشاراته سبقت الكشف العلمي"[2]، ويثبت أن معرفة الإنسان محدودة ونسبية إزاء الحقيقة المطلقة.

وقد جاء ذكر الدخان في قوله تعالى: " فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ(10)الدخان)[*] (وسميت السورة باسمه)، هنا يتعلق مفهوم النص بقيام الساعة وهو دليل على عودة السماء إلى مادتها الأصلية وفي ذلك نذير لنهاية العالم[3]. وعلى هذه المعطيات فإن البحوث العلمية التي تبحث في أصول العالم المادي المحس، وفي طريقة تشكل العناصر المادية الطبيعية التي يتركب منها، تكون محصورة في المخلوقات المحدودة في الأرض وغلافها الجوي، وما يحيط بها من أجرام، ومجرات، أي الكائنات المحدودة بسماء الدنيا فقط؛ المعروفة سواء كانت غازات، أم أجساما صلبة، أم سائلة بسيطة ومركبة، وتكون التسوية هي ضبط

---

(1)- محمد محمود حجازي. المرجع السابق. 56/24.

(2)- أحمد الخوفي. معاني السماء والأرض في القرآن. مؤسسة الخليج العربي. د.ط.ت. ص:37.

(*)- روى مسلم عن مسروق عن عبد الله بن مسعود في تفسير هذه الآية في كتاب صفة القيامة والجنة والنار. باب الدخان."خمس قد مضين الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر" ورجح النووي الدخان هو ما يراه الجائع عند تطلعه إلى السماء وليس معناه ما يحدث يوم القيامة وذلك لقول بن مسعود: "إن كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون ومعلوم أن كشف العذاب ثم عودهم لا يكون في الآخرة و إنما في الدنيا".النووي:أبو زكريا يحي ابن شرف.صحيح مسلم بشرح النووي.دار الفكر.د.ط.ت.141/17، 142.

(3)- الفخر الرازي. التفسير الكبير.241/27-243 .

نسب مركبات الغلاف الجوي بحيث أصبح على ما هو عليه الآن من حالة تـوازن بـين التفاعلات، ودورات العناصر طبيعيا.

أما مفهوم الدخان الذي خلقت منه الأجرام السماوية خارج مجال الكرة الأرضية، يكون هو السديم الكوني الذي تحدد النظريات العلمية الحديثة أن منشأه كان قبل خلق المركبات المادية، حيث كانت الجسيمات الأولى هي: الالكترونات، والبوزوترونـات (Electrons) (Positron) ويقابل ذلك وجود نيترونات وبروتونات (Neutrons proton) ومضاداتها الـتي تحمل شحنة سالبة ولها نفس الكثافة[1]. وكان في البدء غليان عنيف في هـذه السـحابة، حيث كانت الكثافة والحرارة عاليتين جدا، وتصادم الجسيمات بمضاداتها يولد إشاعات، ثم تكاثف هذه الإشاعات إلى الجسيمات المادية، وعند هبوط درجة الحرارة انخفضت نسـبة النيترونات، وارتفعت نسبة البروتونات فكانت، 62% بروتونات، و38% نيوترونـات، مـع البوزيتونات (Positons + Neutrons – Protons) لخلق البروتونات وفي نهاية المرحلة أصبحت نسبة البروتونات 76 % ونسبة النيوترونات 24 % إلى أن وصلت إلى 87 % و13 % علـى الترتيب .[2]وختاما لهذه العمليات التي قدرها بعض الباحثين بثلاثة دقائق— انتهت — بتشكل الأنوية الذرية الأولى وهي نواة الهيدروجين، والهليوم، واستمر هبوط الحرارة وزيادة الكثافة خلال حقبة زمنية تقدر بمليارات السنين، بدأت هذه الأنوية تجذب إليهـا الالكترونـات مشكلة السحب السديمية التي تكونت منها بعد ذلك النجوم والأجرام السابحة.[3]

ومع هذا لم يثبت دليل على أن المقصود من دلالة لفظ الدخان الوارد في النص هو ما جاءت به النظريات العلمية الحديثة، ويبقى مصدر المادة الأولى أو الطاقة التي تحولـت إلى مادة مجهولا لدى علماء الطبيعة، ولا يمكن تحديده[4]، وقد روى ابن كثير أثر يدل على أن أول المخلوقات :النور والظلمة[5]، وهذا يدعم هذه النظريات في هذا الجانب.

---

(1)- Steren Weinberg, les trois premiers minutes de l'univers, ed useuil.Paris..(1980). pp:14

(2)- محمد باسل الطائي .خلق الكون بين العلم والإيمان .ص90-93؛ وحمادة العانذي.من الذرة إلى المجرة. ص: 24-25.

(3)- Ibid. pp:16-17 ؛ وإبراهيم حلمي غوري .نشوء الكون.دار الشرق العربي.بيروت.د.ط.ت. ص:26-28 ؛ وفوزي محمد حميد، الجغرافية القرآنية برهان على عظمة الخالق.دار الصمدي.دمشق.ط1(1414هـ-1993م). ص55:-56.

(4)- محمد جمال الدين الفندي، ومحمد يوسف حسن.المرجع السابق.ص:42.

(5)ابن كثير .بداية خلق الكون. ص: 36.

والمفهوم الآخر من لفظ الدخان هو ما يتعلق بالمادة السابقة للسماوات التي يكون الكون تحت سماء الدنيا منها، وهذا المدلول من لفظ الدخان الذي يعد المادة الأولى والأصلية لهذه السماوات، لا يمكن لمعارف الإنسان التوصل إليه، لأنه لا يمكن تحديد صفاته إلا بما نص عليه الوحي، أو أثر عن الصحابة رضي الله عنهم، لعلمهم بدلالات النصوص وألفاظها، وفهمهم سياق الكلام.

وقد أثر عن ابن عباس رضي الله عنهما وقوله: " خلق الماء أولا أو الماء وما شاء من خلقه لا عن أصل؛ ولا على مثال سبق ثم جعله لما خلق بعده"[1]. والسماوات لاحقة للماء الأول فهي منه، وهذه السماوات ورد ذكرها في حديث المعراج وبذلك تكون التي صدرت منه . ومع ذلك تعود هذه الأنواع إلى النوع الأول، لأنه الأسبق، وهو الأصل مع احتمال أن هذه الأنواع للمادة الأصلية قد تكون كُلا منها خُلق على حدة، ولم يخرج من أصل سبقه.

ثانيا– فتق السماوات إلى سبع سماوات ومفهوم العدد سبع:

يحمل لفظ السماء عدة دلالات ومعاني لقد جاء في القرآن بصيغة المذكر والمؤنث :قال تعالى:" السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً"(18المزمل) وفي حالة وروده في صيغة مذكر يدل على المطر، أو السقف[2]. أما وروده مؤنثا فيدل على معاني عديدة، كقوله تعالى: " هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"(29البقرة)، إن تعريف كلمة سماء هو: كل ما علاك فهو سماء لك[3]. وتدل على العلو والارتفاع؛ كما يقال لسقف البيت سماءه[4]، أي كل ما كان جهة لعلاء أو أظل فهو سماء لما تحت ظله. لقد ورد ذكر لفظ السماء في القرآن الكريم بصيغة المفرد 121 مرة وبصيغة الجمع (السماوات) 190 مرة وكلها تحمل دلالات مختلفة حسب سياق النص الواردة فيه؛ إلا أنها تحمل مدلولا عاما يرمز إلى عظمة الخالق التي تتجلى في نسق هذا

---

(1)البيهقي. المرجع السابق. ص:389.

(2)– ابن منظور.المرجع السابق.398/14 ؛ وأحمد الحوفي. المرجع السابق. ص8.

(3)– البيضاوي.المرجع السابق. ص:17؛ وعبد الحميد سماحة .في اعماق الفضاء. دار الشروق.د.ط.ت. ص:17.

(4)– محمد ابن بكر الرازي. مختار الصحاح. ص:207؛ والفيروز آبادي.المرجع السابق.344/4.

الكون وجعلها مصدرا لرحمته ونقمته، وعقابه، ومن ثم تكون السماء في الدين الإسلامي رمزا خاصا يدل على قوة وعظمة الخالق، واستمرار لوجود الإنسان على الأرض[1].

وقد نصت آيات القرآن على حكمة الخالق " في خلق الكون على أسس النواميس التي شاءت قدرته أن تقوم عليها...قصد تقرير ماهيات الكون وأطوار الخلق والتكوين ونواميس الوجود من الناحية العلمية والفنية"[2]، تبين هذه التقريرات شمول المصطلحات على دلائل متعددة، ومعبرة عن الحقيقة في الوقت نفسه المصطلح جامع لعدة معاني استعملها القرآن لترمز إلى أهداف معينة مرادها تحقيق مقاصد محددة، من أهمها استخلاف الإنسان في الأرض الذي يتحقق بواسطة إتيان التكاليف التي أمر الله بها عباده، ومن بينها البحث والتنقيب في أقطار السماء والأرض، وذلك باستخدام الطاقة العقلية والمادية للكشف عن النواميس الإلهية في الكون، وتسخيرها لخدمة الإنسان في حياته، وإثبات عقيدة التوحيد في نفسه[3]، لقوله تعالى: " أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ .وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ. تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ."(6-8-ق)، وهذا يرسخ مفهوم التوحيد عندما يتوصل الإنسان بالكشف العلمي على حقيقة ظاهرة يحس بها، جاء ذكرها في التنزيل لأنه "لا يحدث تعارض بين القرآن والعلم إلا إذا ضل العلم طريقه أو أخطأ المفسرون في فهم الآيات الكونية لعدم معرفتهم العلمية"[4] لمدلول نص الوحي، وهذا التصور لا بد له من ضبط دقيق في مفهوم النص ونسبة صحة الكشف العلمي؛ لأن الصحيح الثابت المروي في تفسير القرآن عن النبي ﷺ قليل بالنسبة إلى ما لم يرو عنه فيه شيء، وكذلك ما روي عن الصحابة والتابعين لم يستوعب كل آيات القرآن الكريم، هذا إلى ما فيه من الضعيف والموضوع والإسرائيليات. وهو شيء كثير؛ ولا سيما في الآيات الكونية التي يتجدد العلم فيها عصرا بعد عصر[5]. مما يؤدي إلى " توسيع مدلول الآيات القرآنية وتعميق معانيها في الوجدان والفكر الإنساني

---

(1)- كمال المويل. آيات طبيعية في القرآن. دار الكتب العربية. ط1(1995م). ص:11.

(2)- محمد عزة دروزة. القرآن المجيد. المكتبة العصرية.بيروت.د.ط.ت. ص:190.

3 - محمد صالح محمد السيد. أصالة علم الكلام. دار الثقافة.القاهرة.ط(1987م). ص: 30.

4 - عبد العليم عبد الرحمان خضر. الطبيعات والإعجاز العلمي للقرآن الكريم. الدار السعودية.جدة.ط1(1987م).ص: 20.

5 - محمد بن محمد أبو شهبة. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير. الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية. القاهرة. ط(1390هـ 1970م). ص: 116.

...عن طريق الاستئناس بالموافقات الدقيقة والمقارنات العميقة الملحوظة للعلماء المتخصصين والخبراء الباحثين في مجالات الكون والحياة في شتى علومها ومعارفها"[1]، هذا يحقق مقصد البحث ومواصلة الكشف؛ لأنه لو تم تحديد هذه المعارف في نصوص الوحي لما استغل الإنسان بطلب العلم في هذا المجال. ومواصلة البحوث، وتراكم الكشوف لا تفقد للنص معنى ولا تكسبه آخر، بل تبين وجها من معانيه إذا صحت.

1- فتق السماء عن الأرض:

قال تعالى:" أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ " (30 الأنبياء) لقد تعددت آراء المفسرين في تفسير هذا النص، ومعظمها تتحمله دلالات ألفاظه، وخاصة لفظي الفتق، والرتق لهما مفاهيم كثيرة. ومفهومها يحدد معنى فتق السماء والأرض، ومن معانيه ما يلي:

ا- أن السماوات والأرض كانتا مادة واحدة ملتحمة، ثم فصلت عن بعضهما، وقسمت كل منهما إلى سبعة أقسام[2].

ب-السماء والأرض كانتا منفصلتين، وحدث أن فتق من الأرض ست أراضي معها تلك سبعة، وبعضهن تحت بعض، ومن السماء ست سماوات منها معها فتلك سبع سماوات بعضهن فوق بعض، ولم تكن الأرض والسماء مماستين [3]. وروى أبو الشيخ عن مجاهد رحمه الله تعالى (كانتا رتقا ففتقناهما) قال: السماء والأرض رتقا واحدا، والأرض رتقا ففتق السماء والأرض سبعا) [4]، وفي رواية أخرى عنه:" من الأرضين معها ست فتلك سبع، ومن السماء ست سماوات معها فتلك سبع سماوات، ولم تكن الأرض والسماء." [5].

---

[1] -محمد كامل عبد الصمد.الإعجاز العلمي في الإسلام. الدار المصرية. بيروت.ط1(1990).ص:20.

[2] - القرطبي. الجامع لأحكام القرآن.تحقيق:أحمد عبد العليم البردوني.دار الشعب .القاهرة.ط2(1372هـ).284/10 ؛ وابن كثير .تفسير القرآن. 251/4 ؛ والسيوطي. الدار المنثور. 317/4.

[3] - السيوطي . المرجع السابق. 318/4.

[4] - أخرجه أبو الشيخ في العظمة. باب صفة السماء. رقم :551/12. ص: 192.

[5] - أخرجه أبو الشيخ في العظمة. باب صفة السماء. رقم: 544/5. ص: 191

ج- عن ابن عباس بن رضي الله أنه قال: " نعم كانت السماوات رتقا لا تمطر وكانت الأرض رتقا لا تنبت فلما خلق الله الأرض ففتق هذه بالمطر وفتق هذه بالنبات"[1].

د- جمع الزمخشري بين القولين السابقين أي أن الخالق فتق السماء بالمطر، وفتق الأرض بالنبات بعد أن كانتا رتقا لا مطر ولا نبات، كما أنه فتقهما عن بعض بعد أن كانتا مصمتتين[2].

هـ-ذهب فريق من المفسرين المعاصرين إلى التوفيق بين النظريات العلمية ومعنى النص فقالوا الماء السابق لخلق السماوات والأرض هو الغاز الكوني المشار إليه في القرآن بالدخان الذي ذكر في الآية: " ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ"(11- 12 فصلت) وهو الموافق لنظرية السديم. ونظرية التكوين العلمية توافق نظرة القرآن في قوله تعالى : " أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ" (30 الأنبياء) [3] الرأي هنا حدد مفهوم الرتق بالمادة الأصلية للكواكب والنجوم والمجرات، وبقية الأجرام والسحب السديمية[4]، وعند ملاحظة هذه التفاسير للنص فإن دلالة ألفاظه تتحمل المعاني كلها، وذلك يحصر كل تفسير في جانب، والقول الأول والثاني يبين أن تقسيم السماء إلى سبعة أقسام بعضها فوق بعض يكون لائقا في حالة إذا ما قصد بالسماء الغلاف الجوي المحيط بالأرض، فهو مقسم إلى طبقات مختلفة في تركيز وكثافة الغازات التي يتشكل منها[5]. وحتى إذا ما كانت السماء تعني شيئا آخر فإنه لا يوجد ما يستلزم أنها طبقات متوالية.

---

1 - السيوطي. الدر المنثور . 318/4.

2 - الزمخشري. الكشاف . 9/3.

3 - محمد محمود حجازي. التفسير الواضح. **9/12**؛ وعبد العليم عبد الرحمان خضر. الإنسان في الكون بين القرآن والعلم.دار عالم المعرفة.جدة.ط1(**1403**هـ-**1983**م). ص:214 ، والطبيعيات والإعجاز العلمي للقرآن.ص: 13؛ وموريس بوكاي. دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة. دار المعارف. القاهرة. ط4 (1977م). ص: 169؛ وعدنان الشريف. من علوم الأرض القرآنية. دار العلم للملايين. دمشق. ط1 (1993). ص: 17.

4 - كمال المويل، ايات طبيعية في القرآن. ص: 8-9.

5 -عدنان الريف. المرجع السابق. ص: 20-21.

والقول الثالث يحتمل صحة الوقوع لأنه من الضروري تكون أنها قد مرت فترة زمنية على السماء لم تمطر ولا الأرض أنبتت، وعندما تهيأت السماء [الغلاف الجوي] ليتشكل فيها السحاب ويتكاثف بالمطر ليتساقط على الأرض ومنه نشأت فيها الحياة، وارتبطت هذه التفاعلات ببعضها، وتكونت الدورات الطبيعية للمياه والعناصر الطبيعية الضرورية للحياة، وبهذا يكون الفتق متكرر الحدوث. الأول ما فصل الغلاف الجوي عن اليابسة والماء، ثم لحقه فتق ثاني للغلاف الجوي بالمطر، وفتق للتربة بالنبات.

2- معاني السماء:

لفظ السماء مصطلح يدل على عدة معاني مختلفة؛ إلا أنها تشترك في الدلالة على العلاء والفوقية والسمو، ولذلك جاء استعمال هذا المصطلح في القرآن معبرا على مفاهيم كثيرة، يتضمنها سياق العبارات الوارد فيها ذكره، لما يحفل القرآن الكريم من آيات " تنبه الأذهان إلى ظواهر الكون تدليلا على بارئه ومصوره وإظهارا لعظمته وقدرته وتبيانا لرحمته بخلائقه"[1]؛ تتلخص أهم معاني السماء فيما يلي:

ا-**جهة الفوق والعلو**: قد دلت عدة نصوص وردت في القرآن الكريم والحديث الشريف أن السماء هي كل ما هو جهة العلاء والفوق يعد سماء، وبهذا المفهوم تفسر عدة ظواهر طبيعية تفسيرا سليما مجردا عن الخرافة، قال تعالى:" فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ" (125 الأنعام)، وهنا تشبيه ضيق النفس واحرج الذي يعيش فيه الكافر بضيق التنفس الذي يجعل الصاعد إلى العلاء يختنق نتيجة قلة كثافة الأكسجين، والضغط الجوي " وهذا هو سر تناقص الأكسجين الجوي سريعا مع الارتفاع حتى أن الإنسان يشعر بضيق الصدر مع الارتفاع ويختنق على علو 12 كلم فقط"[2]، والمقصود من السماء في النص هو: العلو والتوغل في طبقات الغلاف الجوي: أو عدم قدرة الإنسان على الصعود إلى السماء[3]، وقوله يصعد يفيد أن جهة السماء هي الفوق والعلو وقوله تعالى: " وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ

---

[1] -عبد المنعم السيد. تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم. الهيئة المصرية للكتاب. القاهرة.ط(1985). ص:10

[2] -محمد جمال الدين الفندي. السماوات السبع. ص:11.

[3] -أحمد الحوفي .معاني السماء والأرض في القرآن. ص:9 ؛ وابن كثير . تفسير القرآن. 61/3.

فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنْ الْجَاهِلِينَ"(35 الأنعام): يعني أن تجعل سلما في السماء فتصعد فيه إليها[1]:والمفهوم العام لهذه النصوص هو أن كل ما علا الأرض وكان خارجا عن سطحها فهو سماء لها مهما بعدت المسافة التي تفصله عنها... [2].

ب–المطر والسحاب:استعمل لفظ السماء للدلالة على ما ينزل منها مجازا، وورد في ذلك نصوص في القرآن، كقوله تعالى: "... وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ..." (6 الأنعام) أي أنزلنا عليهم أمطار السماء[3]، وقد استشهد ابن منظور على أن من معاني السماء المطر، قال معاوية بن مالك:

" إذا سقط السماء بأرض قوم رعيناه وأن كانوا غضابا"[4].

وقال ابن بري: " فلما رأي السماء سماؤهم أتى خطة الخضوع نكيرها.

أي رأى أن الغيث عشبهم فخضع لهم ليرعى إبله فيه"[5] وفي ذلك كناية عن المطر الذي ينزل من السماء فتنبت الأرض عشبها، كذلك يطلق لفظ السماء على السحاب.

ج– **مصدر رحمة ونقمة**: جاء في القرآن الكريم أن السماء تنزل منها الرحمة على العباد في الأرض وينزل منها البلاء والعقاب، وأول بلاء حل بهذه الأرض هو نزول آدم عليه السلام أبو البشر إلى الأرض من الجنة التي موقعها في السماوات العلاء في حديث الإسراء والمعراج قال تعالى:"... وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ"(36 البقرة) وقال تعالى: "وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ" (96 الأعراف) " أي قطر السماء ونبات الأرض"[6] وبذلك تكون الأمطار والبرد والثلج سببا في نمو النباتات وتكاثر الحيوان التي ينعم الإنسان بها في عيشته، فهي نعمة مصدرها السماء.

---

[1] – المرجع السابق. 12/3.

[2] –سيد وقار أحمد حسيني. العلوم الفلكية في القرآن الكريم.ص: 54.

[3] –ابن كثير الرجع السابق.5/3، 69/7.

[4] –ابن منظور. المرجع السابق. 399/14.

[5] – المرجع السابق.399/14.

[6] – ابن كثير. تفسير القرآن.126/3.

أما النقمة قال تعالى:" فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ"(59 البقرة) وقال:" فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ "(162 الأعراف)، وقال تعالى :« أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ"(17 الملك) والرجز يعني به العذاب والغضب، ومن أنواعه ما رواه ابن كثير قال: قال الشعبي: "الرجز إما الطاعون وإما البرد"[1] وقال تعالى: " وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنْ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" (32 الأنفال).

لقد صرحت هذه النصوص تصريحا جليا بأن السماء مصدر للرحمة والنقمة والعقاب، فالرحمة المعلومة هي نزول المطر ليسقي التربة ويخصبها فيجعلها تنبت الكلأ، والمحاصيل التي يعتمد عليها الإنسان في تلبية حاجاته الغذائية والصناعية المباشرة، أو يساعد على نمو الثروة الحيوانية وفي كل رحمة للإنسان، وسبب للرفاهية في الحياة. وهناك من الرحمات مالا ندركه، وقد تكون السماء نقمة كما نصت عليها الآيات، ومن المعروف أن هناك أقوام نزل عليهم العقاب من السماء بأشكال مختلفة وأيسر ما هو معلوم وجود أكوام من الصخور السابحة في الفضاء الخارجي لو ترجم بها الأرض لأهلكت الكائنات الحية وأنهت الحياة على وجه الأرض. ووجود أنواع من الإشاعات الكونية لو مرت من خلال الغلاف الجوي لأهلكت ودمرت أغلب الموجودات وبهذا السماء مصدر رحمة ونقمة في آن واحد[2].

د- السماء رمز الوحدانية: مما تقدم أن السماء مصدر للرحمة والنقمة والمتصرف الخالق لهذه الرحمة والنقمة هو الله، وقد أثبتت الآثار والأحاديث أن السماء عامرة بالملائكة ويعتبرها عرش الرحمن وكرسيه، واللوح المحفوظ ومنها ينزل أمر الله وإليها يصعد عمل العباد، وإليها كان معراج النبي صلى الله عليه وسلم واحتواء فضائها على النجوم والكواكب والمجرات، وتناسق حركاتها ودقة نظامها ترمز إلى وجود إله واحد قادر مدبر لهذا الكون.[3] وفي ذلك قال تعالى : " إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنْ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ " (4 الشعراء): أي لو شاء

---

[1] - المرجع السابق. 106/1.

[2] - محمد جمال الدين الفندي، ومحمد يوسف حسن. قصة السماء والأرض.دار مطابع الشعب.القاهرة. ط4. د. ت. ص621 ؛ ومحمد مهدي الاستانبولي الإعجاز القرآن العلمي.دار الافاق. ط (1396-1976). ص:20.

[3] -أحمد الحوفي. معاني السماء والأرض في القرآن .ص: 13.

الله أن ينزل آية تجبر الناس على الإيمان به قهرا، لكنه لم يفعل لأنه لا يريد من أحد إلا الإيمان الاختياري.[1]

جعل النص السماء هي مصدر الآيات المقنعة، ومن ثم فهي رمز لما تدل عليه الآية وجاء في الحديث "روى في الخبر أن جارية عرضت على رسول الله ﷺ ممن أريد عتقها في الكفارة فقال رسول الله ﷺ لها أين الله فأشارت إلى السماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقها فإنها مؤمنة"[2] قال ابن فورك في بيان الحديث: " أين الله استعلام لمنزلته وقدره عندها وفي قلبها وأشارت إلى السماء، ودلت بإشارتها على أنه في السماء عندها على قول القائل إذا أراد أن يخبر عن رفعة وعلو منزلة فلان في السماء أي هو رفيع الشأن عظيم المقدار"[3]، ولقد ورد في السنة عدة أحاديث تعبر أن الله في السماء ففي الصحيح عن أبي سعيد الخدري يقول: "بعث علي ابن أبي طالب رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن بذهبية في آدم مقروظ لم تحصل من ترابها قال فقسمها بين أربعة نفر بين عُيينة بن بدر وأقرع بن حابس وزيد الخيل والرابع إما علقمة، وإما عامر بن الطفيل فقال رجل من أصحابه كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء قال: فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء صباحا مساء"[4] هذه النصوص تعبر على أن السماء ترمز لعظمة خالقها؛ وليس أنه مستقر فيها وقد استدل الفخر الرازي على عدم حلوله تعالى واستقراره في مكان دون غيره بقوله تعالى: " وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ " (84 الزخرف): " هذه لآية من أدل الدلائل على أنه تعالى غير مستقر في السماء لأنه تعالى بين بهذه الآية أن نسبته إلى السماء بالإلهية كنسبته إلى الأرض فلما كان إلها للأرض مع أنه غير مستقر فيها فكذلك يجب أن يكون إلها للسماء مع أنه لا يكون مستقرا فيها"[5]. ولا تعارض بين الإيمان بأن الله تعالى موجود في كل مكان لقوله تعالى: " وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ" (61 يونس) يبين الإيمان بأنه منزه عن الجهة والحلول

---

[1] – ابن كثير. تفسير القرآن . 106/5.

[2] –أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات باب: ما جاء في قوله آمنتم من في السماء. ص: 422.

[3] –ابن فورك. مشكل الحديث وبيانه. ص: 159.

[4] –أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب المغازي باب: 178 (بعث علي ابن أبي طالب وخالد ابن الوليد إلى اليمن. برقم: 797. 284/5.

[5] –الفخر الرازي. التفكير الكبير . 232/27.

وبين الاتجاه إلى السماء على أنها رمز لوجود الخالق عند الاستغاثة به والدعاء وذلك لأنها تدل على العلو والرفعة اللائق بذات الله العلية.[1]

هـ. السماء جرم مستقل:

ورد في حديث الإسراء والمعراج[2] : أن جبرائيل عليه السلام كان يستفتح عند بلوغه إلى السماء ، ويسأله خازن السماء : من معك قال محمد، وقد بعث إليه، فسر الإمام النووي قوله "وأما قول بواب السماء وقد بعث إليه فمراد، وقد بعث إليه للإسراء وصعود السماوات وليس مراده الاستفهام عن أصل البعثة والرسالة"[3]، وهذا دليل على أن السماوات سبعة بحصر العدد، وأنها جرم خاص له حدوده ونهاياته، ولا يخترق إلا بإذن بوابه والدليل الآخر ما حدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفه للموجودات التي وجدها في كل سماء وتجاوزه أبعد سماء وهي السابعة، ومفهوم حديث الإسراء والمعراج يضبط مفهوم قوله تعالى : "وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ" (5 الملك) وقوله تعالى: " أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا" (28 النازعات) وقوله تعالى: "وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ" (32 الأنبياء) وقوله تعالى: " إذا السماء كشطت" (11 التكوير) وقوله تعالى: " إذا السماء انفطرت " (1 الانفطار): في هذه الآيات ألفاظ تدل على أن السماء المقصودة يحتمل أن تكون هي المجرات، والنجوم والكواكب لكن عند ربطها بقوله تعالى: "يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ"(104 الأنبياء) وقوله تعالى " إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ " (6 الصافات). إن لفظ السماء كما يصلح "للدلالة على هذا يصلح للدلالة على شيء آخر لا يعلمه إلا الله تعالى... فإن معناها: أن السماء القريبة إليكم تزينها الكواكب والنجوم بضوئها وبنورها وأشكالها ومطالعها ومسايرها وتتساقط منها رجوم للشياطين".[4] وما دامت النجوم زينة للسماء فهي ليست هي لأن ما يزين الشيء يختلف عنه

---

[1] -أحمد الحوفي. معاني السماء والأرض في القرآن .ص: 15.

[2] -أخرجه البخاري في الصحيح. كتاب التوحيد. باب: 1232. برقم: 2316 . 824/9؛ ومسلم في الجامع الصحيح كتاب: الإيمان. باب الإسراء برسول الله (ص). 99/1.

[3] -النووي. صحيح مسلم بشرح النووي. 212/2؛ والمناوي:عبد الرؤف.فيض القدير.دار المعرفة.بيروت.ط2(1391هـ-1972م). 425/4-426.

[4] - أحمد الحوفي. المرجع السابق. ص: 21.

في الذات والصفات وبذلك تكون السماء الدنيا هي ما يحيط بهذا الكون لكن هناك من ذهب إلى وضع مفهوم بعيد الاحتمال مثل الدكتور محمد جمال الدين الفندى: "وما السماوات السبع التي ترتفع فوق رؤوسنا سوى: 1- الغلاف الجوي، 2. الشهب، 3. النيازك ، 4. القمر، 5. الكواكب السيارة، 6. المذنبات، 7. الشمس"[1]؛ هذا التأويل بعيد لا تحتمله دلالات النصوص، ويتعارض مع قوله تعالى: وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا" (16 نوح)، ولم يذهب أحد من المفسرين إلى مثل هذا القول، ولم يوجد أثر دل على أن الشمس والقمر سماء من السماوات، ويتعارض مع ما جاء في حديث المعراج الذي بين فيه الرسولﷺ أن لكل سماء بداية ونهاية متواليات، وأن في كل سماء كائنات حية، والسماء السابعة فيها سدرة المنتهى تنبع منها أنهار، والشمس ما هي إلا كتلة مادية ملتهبة بل جاء في القرآن قوله تعالى: " والشمس تجري لمستقر لها" (38 يس)؛ أي أنها جرم سابح في الفضاء تحت سماء الدنيا وذلك لذكره تعالى " أنه خلق سبع سماوات طباقا أي واحدة فوق واحدة واختلف أصحاب الهيئة هل هن متراكبات أو منفصلات بينهن خلاء على قولين والصحيح الثاني لما قدمنا من حديث عبد الله بن عميرة عن الأحنف عن ابن عباس في حديث الأوعال "[2] أن رسول الله (ص) قال: " هل تدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فإنها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف ثم قال هل تدرون كم بينكم وبينها...فوق ذلك سماءين ما بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى عد سبع سماوات... فوق ذلك العرش "[3]، وقيل أن السماء عبارة عن الفلك الذي تسير فيه مجموعة من الكواكب في مدارات حول الشمس وبهذا فهي تشكل سبعة أفلاك حولها هي السماوات السبعة.[4]

تفسير لقوله تعالى: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنْ الْخَلْقِ غَافِلِينَ" (17 المؤمنون) الطرائق هي الطبقات المتواليات المتساويات[5]، وقد قال كثير من المفسرين هذا:

---

[1] – محمد جمال الدين الفندي. السماوات السبع. الهيئة المصرية العامة للكتاب.ط (1973م). ص: 243،301.

[2] –ابن كثير. بداية خلق الكون. ص: 10.

[3] –أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح.تحقيق: عبد الرحمان عثمان.دار الفكر.ط2(1394هـ-1974م).أبواب تفسير القرآن عن رسول الله(ص) باب: سورة الحديد. رقم 3352 . 77/5.

[4] –الزمخشري. الكشاف.64/4 ؛ومحمد محمود حجازي. التفسير الواضح. 10/18؛ وسيد قطب في ظلال القرآن. 2461/4.

[5] –البيضاوي .المرجع السابق. ص. 457.

المفهوم، لكن إذا ما علمنا أن أقرب مجرة لمجرتنا (المرأة المسلسلة: Endromeda) تبعد عنا حوالي مليونين سنة ضوئية ويوجد وراءها ملايين المجرات،[1] فإذا كانت هذه المساحات الشاسعة بين المجرات التي تقع تحت ظل السماء الدنيا، فمن الضروري تكون السماء جرم غائب عن إدراكنا لبعد المسير بيننا وبينها.

جاء في القرآن أهم صفات السماء في قوله تعالى: " اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ" (2 الرعد) وقوله تعالى: "خلق السماوات بغير عمد ترونها..." (10 لقمان) ورود لفظ رفع في الآية يدل على شيئية المرفوع وأنه مادة محسة لها شكل، وهو ما يحيط بالأرض من كل جهة دون وجود عمد تشد بناية السماء، أو ترتكز عليها، وهذه الصفة في جميع أنواع السماء، بدء من الغلاف الجوي المحيط بالكرة الأرضية إلى أبعد المجرات والمجموعات؛ حيث يلاحظ الغلاف الجوي لا ينكمش ويتكاثف على سطح الكرة الأرضية بفعل القوة الجاذبة، ولا ينفلت إلى الفضاء الخارجي بفعل القوة الطاردة المركزية الناجمة عن دوران الأرض حول نفسها، كما أنه ثابت في تركيبه بنسب محددة من عناصر غازية. وأخرة مركبات؛ أهمها الماء وعوالق صلبة مثل الغبار وبعض الكائنات الدقيقة[2]، والضابط في ثبات هذه النسب يعود إلى قانون الدورات الطبيعية لهذه العناصر ولعل هذه القوانين من العمد غير المرئية لقول بن عباس رضي الله عنه: "وما يدريك لعلها بعمد لا ترونها"[3] و إذا كان المقصود بغير عمد ترونها هو: نفي وجود الأعمدة، فهذا ثابت بالحس.

قد ذهب إلى هذا القول الرازي: "بغير عمد ترونها أن السماوات ليست بعمد وأنتم ترونها كذلك"[4]، وقال بمثل هذا القول الحسن وقتادة ليس لها عمد مرئية ولا غير مرئية[5]. وإذا كان المقصود بها المجرات وما تحتويه من مجموعات سيارة ونجوم، يكون مفهوم الأعمدة " أنها أعمدة الجاذبية التي سخرها الله وفق جزئيات القانون الإلهي العام الأعظم للكون ليظل كل جرم...

---

[1] -عبد الرحيم بدر. المجرات الفلكية.مؤسسة الكويت للتقدم العلمي. ط1(1984). ص:21.

[2] -ابراهيم حلمي غوري. الأرض. دار الشرق العربي.حلب.د.ط.ت. ص:121-123.

[3] -السيوطي. الدار المنثور. 42/4.

[4] -الفخر الرازي. التفسير الكبير. 143/25.

[5] -الزمخشري. الكشاف. 214/3؛ ومحمد محمود حجازي. التفسير الواضح. 44/21.

وكل شيء في أبعاد متساوية من بعضها... وكأنها مقامة فوق عمد لا ترونها"[1] وهذا يجعل السماء جرم متعدد المفاهيم والمعاني ويتبعه مفهوم العدد سبعة في الحصر والإطلاق، وهكذا كان استعمال العدد دقيق في موضعه، وإذا كان تصور السماء هي الفضاء المملوء بالنجوم والمجرات والكواكب فإن ذلك يصح عليه قوله "بغير عمد ترونها"، لأن هذه الأجرام تسبح في مدارات منضبطة لا تحيد عنها، ومن ثم تكون العمد هي الناموس الطبيعي الضابط لحركة النجوم ومجموعاتها في مدارات ثابتة بدون روابط مادية تمسكها ببعضها[2] وهذا يفسر قوله تعالى: " إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا"(41 فاطر).

قال تعالى: "وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ" (47 الذاريات): أي السماء بناها تعالى بقوة وهو القادر ذو السعة على الإنفاق والقدرة على توسيع ما بين السماء والأرض[3]، مهما كان مدلول السماء سواء كان مجموعة من المجموعات النجمية، أم المجرات أم طبقات الفضاء التي تحتوي أعدادا هائلة من المجرات، أم جرم غائب عنا في علم الخالق[4]. "وقيل إنا لذو سعة، وخلقها وخلق غيرها لا يضيق علينا شيء نريده وقيل أي وإنا لموسعون الرزق على خلقنا...وإنا لمطيقون... أي وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمد حتى استقرت والذي يبدو لي أيضا من قوله (إنا لموسعون) إن لفظ موسعون اسم فاعل واسم الفاعل يدل على حدث ولكن هذا الحدث لا يتعلق بزمان محدد كالماضي في الفعل الماضي والحاضر أو المستقبل في الفعل المضارع أي أن اسم الفاعل يحمل معنى الاستمرارية من بدء الفعل إلى مستقبل غير محدود "[5] ومن السعة يشتق اسم الخالق بالواسع؛ "والسعة تضاف مرة إلى العلم إذا اتسع وأحاط بالمعلومات الكثيرة وتضاف أخرى إلى الإحسان وبسط النعم...بل وكل سعة وأن عظمت فتنتهي إلى طرف فهو أحق باسم السعة والله تعالى هو الواسع المطلق لأن كل واسع بالإضافة

---

[1] –عبد العليم عبد الرحمن خضر. الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن. ص: 151.

[2] –أحمد الحوفي. معاني السماء والأرض في القرآن. ص: 23؛ وعبد العليم عبد الرحمن خضر.المرجع السابق. ص: 144.

[3] – البيضاوي.المرجع السابق.ص: 692؛ والزمخشري. الكشاف. 31/4.

[4] –سيد قطب. في ظلال القرآن.3385/6؛ ومحمد السيد اوناؤوط. الاعجاز العلمي في القرآن الكريم. مكتبة مدبولي .ط(1989م). ص: 181.

[5] –كمال المويل.المرجع السابق.ص: 6.

إلى ما هو أوسع منه ضيق وكل سعة علم تنتهي إلى طرف فالزيادة عليها متصورة وما لانهاية له ولا طرف فلا يتصور عليه زيادة "[1]

في عصرنا توصل علماء الفلك إلى أن المجرات تتباعد عن بعضها بسرعات هائلة وقد قدرت سرعة تباعد مجرتنا عن غيرها بحوالي 980كلم/ثانية [2] وأقصى مدى توصل إليه العلماء من أقصى نقطة لأقصى نقطة تعاكسها في الطرف الآخر في الكون تفصل بينهما مسافة يقطعها الضوء في عشرة ملايير سنة من الزمن، أما ما وراء ذلك فلا يستطيع أحد أن يقدر أو يعرف ما هو موجود[3]، وقد استدل هابل (huble) وفيزو (fizo) بظاهرة حيود الطيف الوارد من المجرات والنجوم اتجاه الطيف الأحمر وهذه الظاهرة تسمى بظاهرة دبلر (doppler) على أن مصادر هذا الطيف تسير بسرعات مبتعدة عنا، وذلك ما جعل طول أمواج الضوء الصادر عنها تطول، وترددها يقل، وهي الظاهرة نفسها تحدث لأمواج الصوت، فكلما كان بعيدا تخف شدته وتصبح موجاته طويلة، وكلما اقترب مصدره زادت شدته وقصرت أمواجه وازداد تردده وهو ما أثبتته الهوائيات التي ترصد النضجيج الكهرومغناطيسي القادم من النجوم والمجرات[4]، مما يثبت أن المجرات ومحتوياتها تتوسع وقد ثبت علميا أنها تتوسع في اتجاهات متعاكسة أي من المعقول أن يكون الشكل الذي تحدث فيه حركة التوسع كرويا، أو مغزليا فهو معنى من معاني الآية، وكله حادث تحت ظل السماء الدنيا وهي محيطة بهذا الحيز اللامتناهي وما دونها يسمى سماء نسبة لكوكب الأرض، وبذلك يكون خلق هذه السماوات أكبر ويبين عظمة خالقها أنها أعظم.

استنادا لما أثبته هابل (huble) (لحيود نحو الأحمر) في إثبات توسع الكون فإن العالمان بوندي (bondi) وجولد (gold) وهويل (hoyel) قالوا: " إذ كان الكون سيتمدد باستمرار فإنه سيتلاشى بالتدريج إذ أن المادة الموجودة فيه ستتوزع على مساحات واسعة إلى أن تصل إلى درجة لا يكون فيها في الفضاء مادة تذكر وهذا حال غير مقبول لأنه: يعني فناء الكون يجب أن يكون

---

[1] -الغزالي. المقصد الاسنى في شرح أسماء الله الحسنى. دار الكتب العلمية.بيروت.ط(1990). ص: 90-91.

[2] -إبراهيم حلمي غوري. نشوء الكون.دار الشرق العربي.حلب.د.ط.ت. ص: 48.

[3] -عبد الرحيم بدر. المرجع السابق. ص: 28.

[4] -محمد باسل الطائي .المرجع السابق .ص: 82؛ وكمال.المرجع السابق.ص: 17؛ وابراهيم حلمي .غوري نشوء الكون. ص: 48،49؛و. David lambert. la terre et l'espace. Ed Gamma(1981).imp:en italie.pp: 10;

تعويض عن المادة التي تحللت... يجب أن تكون هناك مادة تخلق باستمرار"[1] لم يثبت ذلك بمعادلات رياضية، ومع ذلك فإن النظرية غير مستبعدة من الواقع، يمكن أن نستأنس بهذا الرأي في التعميق في فهم قوله تعالى: "ويخلق ما لا تعلمون" (8 النحل) وقوله تعالى: "...بلى وهو الخلاق العليم" (81 يس) جاء لفظ الخلاق بصيغة مبالغة لاسم فاعل الذي يدل على استمرار الفعل من الماضي وفي الحاضر والمستقبل بقوة، وهناك من يذهب إلى أن هذا الاتساع ناتج عن قوة الاندفاع الناجمة عن الانفجار الأول ضد قوى التجاذب ولما يصل إلى التعادل فإن قوى التجاذب تعود وتلف الكون من جديد، وذلك معنى قوله تعالى[2] "يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ.." (104الأنبياء).

كلا الرأيين محتمل؛ قد تكون بؤر تصدر المادة باستمرار مثل: المادة غير المنظورة (الثقوب السوداء) لكن عند بلوغ أمد معين أن يعاد لف الكون من جديد فلا مانع من حدوث الأمرين معا.

قال تعالى: "قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ." (8-12 فصلت) وقال تعالى: "هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ."(29البقرة) ظاهر النص يدل أن الأرض خلقت قبل السماء لأن الأرض كالأساس والسماء كالسقف، أو الأرض كالنواة والسماء كالغلاف، ومن ثم يكون تصور خلق السقف والغلاف لاحقا بعد الأساس[3]، لقد ذهب كثير من المفسرين إلى هذا الرأي لكن هناك نص آخر يفند هذا الرأي؛ قال تعالى: "وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا."(31 النازعات) يرى ابن كثير والرازي أن الأرض خلقت أولا ثم خلقت السماء ثم دحيت

---

[1] - عبد الرحيم بدر. المرجع السابق. ص: 36.

[2] - كمال المويل. المرجع السابق. ص: 11.

[3] - محمد علي الصابوني. مختصر تفسير بن كثير. دار القرآن الكريم. بيروت. ط7(1402هـ-1981م). ص: 257/3.

الأرض [1]. بينما القرطبي وكثير من المفسرين المحدثين ذهبوا إلى أن خلق الأرض كان تاليا لخلق السماء.[2]

قال تعالى: " هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ."(" (29 البقرة) قد يفهم من قوله تعالى: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ" بعد قوله سبحانه " هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا" قد يفهم من هذا أن خلق السماوات جاء تاليا لخلق الأرض. ولكن مع قليل من النظر يتضح أن ذلك كان بعد خلق السماوات والأرض. فالأرض كانت مخلوقة، ثم خلق الله بعد ذلك ما فيها من مخلوقات، وكذلك السماء كانت قائمة فجعلها الله سبحانه سبع سماوات، وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: "ثم استوى إلى السماء وهي دخان..." (11 فصلت) [3] وبين هذا الترتيب ابن عاشور فقال "وعطفت (ثم) جملة استوى على جملة خلق لكم، ولدلالة (ثم) على الترتيب والمهلة في عطف المفرد على المفرد كانت في عطف الجملة على الجملة للمهلة في الرتبة وهي مهلة تخيية في الأصل تشير إلى أن المعطوف بثم أعرق في المعنى الذي تتضمنه الجملة المعطوف عليها حتى كان العقل يتمهل في الوصول إليه بعد الكلام الأول فتنبه السامع لذلك كي لا يغفل عنه بما سمع من الكلام السابق، وشاع هذا الاستعمال حتى صار كالحقيقة ويسمى ذلك بالترتيب الرتبي وبترتيب الأخبار... عن أمر آخر عظيم نبه عنيه بالعطف ثم للإشارة إلى أنه آكد وأهم ".[4]

وهذا يوافق النظريات العلمية الحديثة، لكن يبقى مفهوم اليوم في الأيام التي تمت فيها عملية خلق السماوات والأرض غير محدد في قوله تعالى: "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ " (3 يونس) وقوله تعالى: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ " (38 ق) هذه الأيام الست قسمت إلى 4 أيام لخلق الأرض وما تحتويه ويومان لخلق السماوات وقد اقتضت حكمة الخالق أن يكون خلق السماوات والأرض وما بينهما بالتدريج مع أن قدرته صالحة لخلقها دفعة وقد ورد ذكر الأيام مكرر في آيات كثيرة فلا غرابة في هذا مهما كان مدلول اليوم سواء كان يدل على مرحلة أم

---

[1] -ابن كثير .تفسير القرآن. 7/ 208 ؛ و الفخر الرازي. التفسير الكبير. 48/31.

[2] -القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. 204/9.

[3] -عبد الكريم الخطيب. التفسير القرآني للقرآن.دار الفكر العربي.د.ط.ت. 48/1.

[4] -محمد الطاهر ابن عاشور. التحرير والتنوير .382/1.

فترة، أم يوم كأيام الأرض لأن هذا الأمر متعلق بالخالق وهو أعلم بما يفعل وهكذا تبقى الأيام الستة غيبا فهي من خلق الله لم يشهده سواه، وهي تحتمل أن تكون أطوارا، أو مراحلا، أو فترات زمنية، أو أياما من أيام الله التي لا تقاس بمعيار الزمن الناتج عن حركة الأجرام وقد تكون شيئا آخر،[1] والمقصود أن السماوات وما بينها والأرض خلقت عالما بعد عالم بالتوالي؛ أي أطوار، وأيًّا ما كان معناها فالأيام مراد بها مقادير لا أياما كأيامنا.[2]

ولازال الاختلاف في مفهوم الأيام الستة التي تم فيها الخلق قائما فبعض المفسرين قال بأن اليوم طوله ألف سنة لقوله تعالى: "يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ" (السجدة) وبعضهم ذهب إلى أنه أمر تقديري، لكن السؤال الذي يبقى مطروحا هو: لماذا تمت عملية الخلق في ستة أيام؟ ارجع كثير من المفسرين ذلك لحكمة الباري سبحانه [3]، وذهب آخرون إلى أن الله خلق العالم في فترة ليُعلّم عباده النظام والرفق والتثبت[4]، وأساس الاختلاف في مفهوم خلق السماوات في فترات زمنية جاء من الاعتقاد بأن عملية الخلق تمت بإخراج العالم من العدم، أم من مادة موجودة سابقة، ولم يفصل هذا في القرآن لقد ذهب ابن رشد إلى هذا الرأي بقوله: "إن الشرع لم يصرح في الإرادة لا بحدوث ولا بقدم... الطريق التي نبه الكتاب العزيز عليها ودعا الكل من بابها إذا استقرئ الكتاب العزيز وجدت تنحصر في جنسين أحدهما طريق الوقوف على العناية بالإنسان وخلق جميع الموجودات من أجلها... والطريقة الثانية ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء الموجودات"[5] يتضح من قول ابن رشد أن العالم خلق من مادة موجودة في زمان موجود، وقد أكده بقوله: "استعمال لفظ الحدوث أو القدم بدعة في الشرع وموقع في شبهة عظيمة "[6] وقوله: "فاخبر تعالى أن العالم وقع خلقه إياه في زمان وأنه خلقه من شيء إذ كان لا يعرف في الشاهد مكون إلا بهذه الصفة فقال سبحانه عن حاله قبل كون العالم (وكان عرشه على الماء)... فأما أن يقال لهم [الجمهور] إن عقيدة الشرع في العالم هي أنه محدث وأنه خلق من غير شيء وفي غير زمان فذلك شيء لا

---

1 -سيد قطب.في ظلال القرآن. 5/5 و12؛ وعبد العليم عبد الرحمن حضر. الإنسان في الكون بين القرآن والعلم.ص: 233

2 -محمد الطاهر بن عاشور التحرير والتنوير. 2/161-162.

3 -البيضاوي.المرجع السابق. ص: 272.

4 -حسام الدين الألوس. الزمان في الفكر الديني والفلسفي.الموسسة العربية.بيروت.ط1(1980م). ص 36.

5 -ابن رشد. الكشف عن مناهج الأدلة (الموجود في فلسفة ابن رشد).دار الافاق.بيروت.ط1(1982م).ص:58-60.

6 - ابن رشد .المرجع السابق. ص: 107.

يمكن أن يتصوره العلماء فضلا عن الجمهور"[1] ومن هذا القول يكون مفهوم اليوم عند ابن رشد هو فترة زمنية لأن الزمان والمكان سابقين للعالم في الوجود كما يمكن استنتاج مفهوم الخلق عنده، ما هو إلا نوع من التنظيم والصنع من مادة أولى[2] ما توصل إليه ابن رشد صحيح بأن الخالق أخبر في كتابه عن العناية والاختراع بدء من مادة موجودة أصلا و لم يرد ذكر كيفية خلق تلك المادة الأصلية وهذا لا يعني بالضرورة أنها قديمة أزلية، بل لكون الإنسان ليس لديه قدرة استيعاب لعملية الخلق من العدم وذلك لعدم إمكانية إدراك العدم المحض، ومن ثم أصبح غير موجود في تصور الإنسان، وكل ما يمكن فهمه في هذا المجال هو تحويل المادة من صورة إلى أخرى بكيفية تليق بحالها وهذا محل التفكر المأمور به والله أعلم.

ذهب أغلب المتكلمين إلى أن العالم وجد مع الزمان لأنه في زمن خلقه وجد التغير، والحركة وتوالى الحادثات وهذا هو حال الأيام الستة الأولى التي تم فيها الخلق باختلاف مفاهيم لفظ اليوم[3]، الزمان شأنه شأن المكان حيث لا يمكن تصور زمان في غير مكان، ولا مكان في غير زمان أما الزمن المطلق غير المرتبط بالمكان هو شيء خيالي وهمي، وليس واقعا، ويتميز الزمان بأن له اتجاه غير قابل إلى الانعكاس[4]، وما دام التوافق في الوجود بين الزمان والمكان ضروري، والمكان لا يعرف ولا يحدد إلا بوجود متمكن فيه وذلك المتمكن لا يعرف إلا بحالتين إما حركة أو سكون لا غير، والحركة والسكون تعرف بتوالي الآنات من الزمان عليها ليتبين تغير الوضع أو ثبوته خلالها، بمعنى أن الزمان بعد لا يمكن التخلي عنه، أو تجريد الوجود منه، وعند ثبوت توقفه فإنه يعني غياب جميع القوانين الطبيعية في ذلك الموضع ويصبح غيبا عنا. وهذا لا يعني بالضرورة توقف الحوادث فيه إنما يغيب عنا ترتيبها وكيفية حدوثها أي تصبح حوادث ذلك الموضع لا تخضع للقياسات المعروفة، ومن ثم بات تقسيم إيجاد وخلق العالم الذي تم باختراع من مادة أصلية على مراحل زمنية، أو أطوار دليل على أن هذا الحادث له محدث حكيم، وهو الباري سبحانه وتعالى.

أما الأحاديث الواردة في بيان هذه الأيام أنها هي: الأيام المعروفة أغلبها ضعيفة أو موضوعة روى مسلم : "حدثني سريج ابن يونس وهارون بن عبد الله قالا حدثنا حجاج ابن عبد الله بن

---

[1] -المرجع نفسه

[2] -حسام الدين الألوسي. الزمان في الفكر الديني والفلسفي. ص: 37.

[3] -المرجع السابق. ص:134.

[4] -محمد باسل الطائي.المرجع السابق. ص: 142.

رافع مولى أم سلمة عن أبي هريرة قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال خلق الله عز وجل التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجرة يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل"[1]. قال ابن كثير هذا الحديث من غرائب الصحيح وقال بعضهم عن كعب وهو أصح يعني أن هذا الحديث مما سمعه أبو هريرة وتلقاه عن كعب الأحبار[2]، وقال البيهقي : "رغم بعض أهل العلم بالحديث أنه غير محفوظ لمخالفته ما عليه أهل التفسير وأهل التاريخ وزعم بعضهم أن إسماعيل ابن أمية أنه أخذه عن إبراهيم ابن يحي عن أيوب ابن خالد وإبراهيم غير مجتمع به"[3] واصل البيهقي نقد طرق الحديث الأخرى وبين أنه ضعيف. وأورد الكوثري أن أحمد قال إبراهيم هذا " كان قدريا معتزليا جهميا كل بلاء فيه وترك الناس حديثه وكان يضع. وقال ابن معين كذاب رافضي فبمثل هذا السند لا يثبت متن الحديث"[4]، وعند تتبع الأحاديث الواردة في هذا الباب يلاحظ أنها من الإسرائيليات ويتضح من دراسة خلق السماوات أن لفظ السماء ورد في القرآن الكريم بصيغة المفرد أقل من الجمع، وأن صيغة المفرد إذا ألحقت بقرينة أو صفة دلت على معنى معين. كما جاء استعمالها رمزا للتدليل على معتقد منضبط، وكثيرا ما يكون استعمالا جامعا لعدة دلالات، كلها صحيحة ويتحملها سياق النص، وأهمها: الدلالة على أنها جرم حاص غائب حارج عن الإدراك وارتبطت هذه الدلالة بعدة مخلوقات أخرى كالزمان والمكان والنور والظلام.

ثالثا–خلق النور والظلام:

النور معناه الضوء، أو شعاعه[5]، والظلام هو ذهاب النور[6] ويعرف النور بأنه مجال الأشعة المنظورة التي يتراوح طول أمواجها ما بين الأشعة البنفسجية إلى الحمراء التي تمتاز ما تحتها

---

[1] –أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب:صفة القيامة والجنة والنار.باب: ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام. 127/8.

[2] –ابن كثير. تفسير القرآن. 99/6 ؛ والقرطبي. الجامع لأحكام القرآن. 385/6 ؛ وأحمد الساعاتي الفتح الرباني ص 8/20 ؛ الألوسي. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. دار الفكر العربي. بيروت.ط (1970م). 106/24؛ وسيد قطب. في ظلال القرآن. 1295/3.

[3] –البيهقي. الأسماء والصفات. ص: 384.

[4] –الكوثري. على هامش الأسماء الصفات للبيهقي. ص: 384.

[5] – محمد بن أبي بكر الرازي.المرجع السابق.ص :431 ؛والفيروز آبادي .المرجع السابق. 149/2.

[6] –الفيروز آبادي. المرجع السابق. 146/4.

بخاصية الحرارة وتسمى تحت الحمراء[1] والضوء له خصائص طبيعية منها ما يثبت أنه جسيمات متناهية الصغر، ومنها ما يثبت أنه طاقة تتحرك حركة جيبية لها طول موجة وتردد، وتتغير شدتها بتغير طول الموجة وزيادة التردد، ولقد ورد لفظ النور في القرآن حوالي 37 مرة في صيغة نور، وجاء بصيغة اسم فاعل منير 6 مرات. وجاء لفظ الضوء بصيغة ضياء، وفعل أضاء ويضيء 6 مرات في القرآن، واستخدم لفظا النور على الحقيقة أحيانا كقوله تعالى: "وجعل الظلمات والنور" (1 الأنعام)، واستخدم أحيانا أخرى بدلالة اصطلاحية كقوله تعالى: "الله نور السماوات والأرض" (35 النور)، ومعناه في هذا النص يدل على اسم من أسماء الله تعالى ووصف به تعالى؛ لأنه مظهر لغيره أي مخرج الأشياء من ظلام العدم إلى ظهور الوجود، فهذا الوجود صادر عنه تعالى، وهو الموجد المظهر لذلك سمي نفسه نور السماوات والأرض[2] واستخدم لفظ الضياء بمعناه الاصطلاحي مرة واحدة في قوله تعالى :" وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ" (48 الأنبياء)، ونفس الدلالة التي استخدم فيها لفظ النور، والتي دلت في الغالب على الهداية والطريق المستقيم، والعمل الصالح؛ وكثيرا ما قرنت بلفظ الظلمات لبيان المفارقة بينهما، وكذلك كان استخدام لفظ الظلام للدلالة على الانحراف والضلال. وقلّ استعمال لفظ النور والظلام على وجه الحقيقة قال تعالى: " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ" (1 الأنعام) جعل الظلمات والنور " أنشأهما والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول واحد أن الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين. ولذلك عبر عن إحداث النور والظلمات بالجعل تنبيها على أنهما لا يقومان بأنفسهما ... وجمع الظلمات لكثرة أسبابها والأجرام الحاملة لها".[3]

إن مجيء وإيجاد النور والظلام بلفظ جعل الذي يحمل معنى الصيرورة، والتحول يؤدي إلى: أن النور ينبثق من مادة السماء والأرض، وذلك " أن جعل إذا تعدى إلى مفعول واحد فهو بمعنى أحدث، وانشأ فيقارب معنى خلق، والفرق بينه وبين خلق: فإن في خلق ملاحظة معنى التقدير وفي الجعل ملاحظة معنى الانتساب، يعني كون المجعول مخلوقا لأجل غيره، أو منتسبا إلى غيره فيعرف المنتسب إليه بمعرفة المقام، فالظلمات والنور لما كانا عرضين كان خلقهما تكوينا

---

[1]- Dominique et Michèle f. Encyclopédie. Quid (1992) pp: 221.

[2] -الغزالي. المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى .ص: 115-116.

[3] -البيضاوي.المرجع السابق.ص: 168.

لتكييف موجودات السماوات والأرض بهما"[1]، وأن النور جزء من مادتهما وجد بوجودهما وهما شيئان نسبيان متناقضان فالظلام معناه فقدان النور، ومن هذا المنطلق تكون الحال الأصلية هي الظلام والنور هو الحادث "لأن الظلمة ليست كيفية وجودية"[2] بالنسبة لعالم المادة المحس لأن الضوء لا يظهر أثره إلا إذا اصطدم بجسم مادي، ومن ثم كانت حالة المادة معتمة أصلا وتشكل الحيز الذي ينتشر فيه النور، ومن معرفة تركيب الضوء فإنه شيء نسبي الوجود والإدراك بالنسبة للكائنات الحية التي تدركه، وكذلك الظلام؛ فعند الإنسان عتبة دنيا تتمثل في الأشعة البنفسجية المرئية، وعتبة قصوى في الأشعة الحمراء، أما خارج هذا المجال من جهة الأدنى أو الأعلى فإن حواس البصر البشرية لا تستطيع التقاط وإدراك تلك الأشعة، فيكون الظلام موجودا نسبة لإدراك الإنسان، ويكون النور (الضوء) موجودا نسبة للذي له القدرة على إدراك تشمل ما هو خارج هذا المجال. وثبت ذلك بواسطة الآلات التي يمكنها التقاط الأشعة السينية أو تحت الحمراء تحولها إلى داخل مجال إدراك حاسة البصر، وهذا دليل على أن الكائنات الحية التي تسير في الظلام الدامس وترى طريقها، وتستطيع أن تؤدي وظائفها، ونشاطها الحيوي بكل دقة، أن لها قدرة إدراك تفوق عتبات إدراك الإنسان. كما يمكن العكس فإذا كان هذا الاختلاف الكبير في مدى الإحساس بالظلام والنور في عالم المادة المحس، ولا يمكن إدراك في عالم الحس بحالة ثالثة لا هي نور ولا هي ظلام، يستطيع الإنسان أن يدرك فيها صور الأشياء الناجمة عن انعكاس الضوء عنها، في حالة غياب النور تماما فهذا ينفي عنها إمكانية تصور الحال قبل الخلق أو خارج العالم المادي.

العلم الحديث يعرف الضوء بأنه طاقة تصدر عن تفاعلات المادة في صورة جسيمات متناهية في الصغر تسمى الفوتونات (photons) متعادلة الشحنة الكهربائية لها طول موجي وذبذبة معينة، وباختلاف الذبذبة وطول الموجة تكون نوعية الأشعة ولونها تتحكم فيه شدة ونوعية التفاعل الذي تصدر عنه وهذا يفسر كيف تكمن في جزيئات المادة هذه الطاقة الهائلة، وكيف تنبثق عنها، وعند تتبع آيات القرآن يمكن الربط بين آياته في بيان ما جعل من الضوء نورا يستنار به، وما هو ليس بنور أي طاقة إشعاعية ذات قوة تدميرية للمركبات العضوية الحية كالأشعة فوق البنفسجية، والسينية، والأشعة الفضائية، قال تعالى " وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ

---

[1] -محمد الطاهر بن عاشور .التحرير والتنوير . 126/7.

[2] -الفخر الرازي .التفسير الكبير. 104/26 ،والتفتازاني. شرح المقاصد.تحقيق:عبد الرحمان حمزة.دار الشريف الرضي.ايران.ط1.د.ت.261/2.

وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ." (12 فصلت) وقال تعالى: "وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ" (32 الأنبياء)

أول ما ينبه أن هذين النصين جاءا تاليين للآيات المتضمنة خلق السماء والأرض وخلق الكائنات الحية، ومن ثم يتضح أن الضوء الوارد إلى بيئة الإنسان ليس كله نورا، بل فيه جزء مضر إذا انتشر في البيئة الطبيعية دون قيد، أو تقدير، فجاء قوله تعالى مبينا أن السماء تحتوي على مصفاة انتقائية تمرر ما ينفع داخل البيئة الطبيعية للإنسان، وغيره من الكائنات وتصد النوع المضر، ولذلك سمي النوع المفيد نور، وهذا التفريق وارد في قوله تعالى "هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا..." (5 يونس) استعمال لفظ الضياء هنا ليحمل معاني حقيقية، ما يصدر عن الشمس من ضوء تتركز فيه أنواع الأشعة ذات التأثير الفعال، حتى تلك التي تمر عبر الطبقة الواقية وهي الأشعة تحت الحمراء[1] التي تمثل الحرارة المتميزة بقوة اللفح في ضوء الشمس بينما ضوء القمر خال من اللفح؛ وإن كان مصدره من ضوء الشمس. وترك الخالق توفير الأشعة المدمرة لسعي الإنسان وكسبه المعرفة اللازمة لاستعمالها والتحكم في توليدها. وهذا التحكم مبني على أن خلق تلك الأشعة هو تحويل المادة بواسطة تفاعلات طبيعية، وكيميائية، وجعل هذه الأشعة تختص بالتبدد عند انقطاع مصدرها النابعة منها، ولذلك استعمل في بيان خلقها لفظ جعل. وسبقت الظلمات النور، وجاءت بصيغة الجمع لأن الخال الأصلية قبل وجود النور وبعد انقطاعه. وهذا وجه من وجوه رعاية الخالق في تنسيق وجود المخلوقات، وتفاعلاتها بتقدير دقيق؛ بحيث لا يختل توازن وجودها وتناسبه، وتكيفها مع بعضها، وإضفاء صفات وخصائص متميزة للضوء ليتم تسخيره على أحسن وجه يكون مساعدا على تسخير المخلوقات. ونظرا لأهمية هذا المخلوق (الضوء) وما يتميز به من خصائص جاء استعماله للدلالة على معاني الخير والهداية والصلاح، ومن خلال هذه الدراسة يمكن استنتاج ما يلي:

1. استعمال لفظ جعل بدلا من لفظ خلق في خلق النور يوضح أنه وجه من وجوه الطاقة الكامنة في المادة.

2. يدل لفظ جعل على أن النور مخلوق في وسط مركب من المادة وبدونها لا يمكن معرفة أو تحديد خصائصه لأنه منسوب لها.

[1] – محمد باسل الطائي .المرجع السابق. ص: 34.

3. ورود ذكر خلق النور يدل وينبه على أهمية هذا المخلوق ودوره في حياة الإنسان وتسخير بيئته لتحقيق سير الحياة على ناموس منضبط يحفظ التوازن، وعند استخدامه مصدرا للطاقة لا تترتب عليه مفاسد، وذلك بما يمتاز به من صفات وهي سرعته في التنقل وحمله للطاقة وتوفر مصادره وسرعة تبدده؛ أي عدم تكدسه وهذا لا يتطلب جهدا في التخلص من الفائض منه، أو من نفاياته، ولذلك ضرب الله سبحانه به المثل في الهداية والصلاح، كما جعله دليلا على وجود الكائنات القريبة والبعيدة كالنجوم والمجرات والكواكب وحركاتها، ولذلك دراسة هذه المخلوقات البعيدة تقوم على دراسة ما يصدر عنها من ضوء، أو ينعكس عليها بدء من نقل صورة تحدد شكلها إلى موقعها، حتى تحديد مركباتها المادية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني

خلق مكونات السماء

إن مكونات السماء هي الأجسام المادية السابحة في فضاء السماء الدنيا، وهذه المخلوقات تشمل السحب السديمية والمجرات والنجوم ومجموعاتها من الكواكب والأقمار التي تدور في مدارات حولها، وهذه الأجرام والسحب قد أجريت عليها عدة أبحاث لدراسة ما يصدر منها من ضوء وضجيج كهرومغناطيسي لتحديد مركباتها المادية، ومعرفة أبعادها وشكلها واتجاهاتها في الحركة ولا تزال الدراسات قائمة إلى الآن، ولم يثبت في الوحي ما يحدد ذلك بتفصيل مبين، وكل ما جاء في نصوص القرآن إشارات تنبه عن عظمة هذه المخلوقات، ودورها في حياة الإنسان على وجه الأرض، ولم يرد نص يبين كيفية نشوئها ومراحل تكوينها بدقة، ولا زال البحث في فهم وتأويل النصوص التي تضمنت ذكر النجوم والكواكب قائما، وخاصة من جانب النشأة والعلاقات التي تربطها ببعض. وما أثبته الوحي بلا ريب هو؛ أن لهذا الكون بداية انطلق منها وله نهاية ينتهي عندها فهو ليس سرمدي ولا أزلي نسبة للزمان المعروف لدى الإنسان.

آخر ما فسر به علماء الطبيعة والفلك نشوء النجوم، وتشكل المجرات. والمجموعات النيرة بنظرية الانفجار العظيم (the big bang)، وحددوا لهذه البداية عمرا بالاعتماد على تنبوءات علمية حول سلوك الكون، ويقر العلماء أن التواريخ و الأرقام المقدمة عن النجوم ليست إلا مجرد تقديرات نظرية حتى الآن".[1]

ومادامت هذه التقديرات قابلة للتصويب عند تعارضها مع مفاهيم نصوص الوحي في هذا المجال سيكون استعمال نتائج هذه البحوث من باب تقريب بعض التصورات في مخيلة الإنسان وليس تعبيرا عن حقيقة ثابتة لا تقبل التحوير، ويبقى التساؤل عن كيفية نشوء وترتيب الموجودات مطروحا؟.

---

[1] -سيد قار أحمد حسيني العلوم الفلكية في القرآن الكريم، ترجمة سمية زيتوني. دار طلاس. دمشق. ط2 (1996).ص: 47.

أولا– خلق النجوم والسحب السديمية:

لقد جاء ذكر النجم في القرآن عدة مرات موصوفا بصفات معينة وسميت سورة من القرآن بالنجم وأقسم الله سبحانه به، وبموقعه وجعل حدوث طمس النجوم علامة على نهاية الكون، ومعنى كلمة النجم جاءت من نجم وهي الظهور والطلوع، كما يطلق لفظ النجم على الثريا (وهي مجموعة من النجوم)، ويعني الجز والقطع، أو الأصل. والمنجم هو الطريق الواضح أو المعدن، والتنجيم هو التقدير كتنجيم الدين أي يقدر عطاؤه[1].

والمعاني اللغوية للفظ نجم لها دلالة في معناه الاصطلاحي الذي يعرفه به الفلكيون وهو أن النجوم "أجسام ملتهبة تشع نورا وحرارة في الفضاء المحيط بها، وما الشمس إلا نجم من نجوم السماء، ولكنها في موقع قريب من الأرض، إذ لا يزيد بعدها عنا أكثر من 8 دقائق ضوئية أي تعدل مسافة 150 مليون كلم"[2] بينما أقرب مسافة فاصلة بيننا وبين أقرب نجم (القنطوري: centaure) تقدر بـــ: 4,3 سنة ضوئية.[3]

وجاء ذكر نجم في القرآن الكريم 4 مرات بصيغة المفرد، و9 مرات بصيغة الجمع وأقسم الخالق به في افتتاح سورة النجم، قال تعالى: " والنجم إذا هوى" (1 النجم).

لقد جمع البيضاوي دلالات ومعاني لفظ نجم في قوله: "أقسم بجنس النجوم أو الثريا فإنه غلب فيه إذا غرب وانتشر يوم القيامة أو انقض أو طلع فإنه يقال هوى هويا بالفتح إذا سقط وغرب وهو بالضم إذا علا وصعد، وبالنجم من نجوم القرآن إذا أنزل. أو النبات إذا سقط على الأرض، أو إذا نما وارتفع".[4]

وقد رجح الفخر الرازي أن المعنى المختار هو النجوم التي في السماء، لأنه أظهر لسامع أو للدلالة على الشهب التي تقذف بها الشياطين؛ لأنها أجزاء من النجوم[5]، وذلك لارتباط ما ورد على أن تغير حال هذه النجوم علامة من العلامات القيامة لقوله تعالى: " فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ(8 المرسلات)" وقوله: " إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ. وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ(1 .2التكوير)" أي

---

[1] –ابن منظور.المرجع السابق. 571-568/12 ؛ ومحمد ابن أبي بكر الرازي .مختار الصحاح .ص: 410.

[2] –ابراهيم حلمي غوري. النجوم.دار الشرق العربي.د.ط.ت.ص:9 ؛ وحمادة أحمد العائدي.من الذرة إلى المجرة. ص: 92 ؛ و Dominique et Michelle,f, quid (1992). pp180.

-3 - Michel cassé. la vie des étoiles. Ed: natham. Paris. (1985). pp:40

[4] –البيضاوي.المرجع السابق. ص: 697 ؛ والزمخشري. الكشاف.ص: 37/4.

[5] – الرازي .التفسير الكبير. 279/27.

انطفأت، والشمس تكورت؛ أي لفت وطوي نورها، وانكدرت النجوم أي انقضت وذهب ضوءها.[1]

وعند النظر إلى لفظ هوى المستعمل للنجم يلاحظ من معانيه أنه يدل على حركة النجم إذا هوى أي تحرك عن موضعه سواء إلى فوق، أم إلى تحت (تنجذب)، كما يعني لفظ هوى: السير السريع هبوطا وصعودا، ومعنى الهوي المتمدد، والطويل.[2]

تحمل معاني لفظ هوى هو التصوير الدقيق اللائق لما يحدث للنجوم عند انفجارها حيث تنفجر وتتوزع قطعا في شتى الاتجاهات، فتظهر أنها سقطت، وفقدت شكلها وحدث لها تمدد ثم تصبح شظايا وعندها تنكدر وتطمس؛ أي يذهب صفوها، وينكدر نورها، وتمحق. وهذا الحادث قد يحدث لجميع نجوم الكون، وقد يحدث للنجوم الظاهرة لنا المحيطة بنا فقط، ومفاد هذا التصوير القرآني لحادث سيحدث متعلق بقوله تعالى: "يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ " (104 الأنبياء) وهذا بيان من الخالق فيه وعد بافناء العالم، كما خلقه أول مرة وتكون صورة الإعادة مشابهة لصورة البدء، أو مطابقة لها في المواصفات والمظهر؛ "أي نعيد ما خلقناه مبتدأ إعادة مثل بدئنا إياه في كونها إيجاد عن العدم، أو جمعًا من الأجزاء المتبددة، والمقصود بيان صحة الإعادة بالقياس عن الإبداء لشمول الإمكان الذاتي المصحح للمقدور به وتناول القدرة القديمة لها على السواء".[3]

لقد بين الخالق في كتابه تسخير النجوم لخلقه فضبط حركتها وموقعها بحيث يكون في ذلك ناموسا يخدم حياة البشر في عدة جوانب؛ قال تعالى: " إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ" (54 الأعراف) وقال تعالى: "وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" (12 النحل) "سخر لكم يعني أنه هيأها لمنافعكم بما حال كونها مسخرات لله تعالى"[4] وفق قانون يضبط هذه المنافع بدقة لا يمكن أن تحيد عنه، ومن بين تلك المنافع

---

[1] -البيضاوي.المرجع السابق. ص: 777، 784 ؛ والرازي. المرجع السابق.269/30؛ وعبد العليم عبد الرحمن خضر. الطبيعيات والإعجاز العلمي للقرآن. ص: 73.

[2] - ابن منظور .المرجع السابق. 371/15-373.

[3] -البيضاوي. المرجع السابق. ص: 437.

[4] -المرجع السابق. ص: 352-353.

الشائعة التي استعملت فيها النجوم آنفا قبل وأثناء التنزيل للقرآن. اتخاذها علامات ودلائل على فصول السنة، وتوقيت مراحل الليل، وتحديد الاتجاهات أثناء السير ليلا في ظلمات البر والبحر، مثل استعمال الشمس والقمر في ذلك.

قال تعالى: " وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ" (97 الأنعام) وقال تعالى: "وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" (12 النحل)، وقوله تعالى: "وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ" (16 النحل)، هذه النصوص القرآنية تشير إلى وجود علاقات تربط بين معانيها بالتسخير وقدرة الخالق على الإبداع، وهذا الأمر لا يستفيد منه في التسخير أو التفكر في قدرة الخالق إلا من توفر فيه العقل والعلم، ومعنى ذلك أن هذا التسخير شامل لحاجات الإنسان المادية، والروحية؛ أي في جانب التعبد بالتفكر وتوسيع التصور الذهني لعظمة الله ولطفه في خلقه، وهذه المنافع غير محددة بزمان أو بكيفية لقد استفاد الإنسان بوجود النجوم علامات ظاهرة له بالعين المجردة في ظلام البر والبحر، والآن توجد كيفيات متعددة في تسخير النجوم ومواقعها في الاهتداء بتعيين المواقع والاهتداء بها في ظلمات الكون في تحديد الأبعاد والاتجاهات.

وقد أشار القرآن إلى أهمية مواقع النجوم فقال تعالى: " فلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ" (75 76 الواقعة) جاء في تفسير هذه الآية أن النجوم المقصودة هي نجوم القرآن: أي آياته وأقسامه التي أنزلت على الرسول (ﷺ) منجمة وروى عن ابن عباس ذلك. وقيل بمواقع أي بمنازل أو مواقع انتشارها يوم القيامة.[1]

كما يفيد القسم بمواقع النجوم لأهميتها الكبرى وعظمة خلقها وقد كشف العلم الحديث عن ملايين النجوم تفصل بينها مسافات شاسعة لا تقاس إلا بالسنوات الضوئية، ولكل نجم مقدار من الحجم والطاقة والموقع الخاص به في مجموعته.[2]

ويمكن أن يكون من معاني الهداية الاهتداء إلى نشوء الكون وتشكله وبناء المادة بمختلف عناصرها نوويا أو كيمياويا والاهتداء إلى استغلال ما يصدر من النجوم من طاقة ومادة في شتى المجالات، وهذا يتطلب علما وعقلا يستوعب المعارف اللازمة لتوجيه هذه المنافع لجلب الرفاهية للإنسان ودرء المفاسد عنه.

---

[1] – ابن كثير .تفسير القرآن. 314/6؛ والرازي. تفسيرالقرآن.188/29.

[2] – عبد الحليم عبد الرحمن خضر .الطبيعيات والإعجاز العلمي للقرآني. ص :71.

وقد تعرضت بعض آيات القرآن إلى أنواع من النجوم، أو ذكر صفات خاصة لها، لمالها من أهمية في النظام العام للكون كقوله تعالى: « إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ» (1 التكوير) جاء عن بن عباس أنها أظلمت والنجوم انكدرت إذا تغيرت. [1]

وقال تعالى: " فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ. الْجَوَارِي الْكُنَّسِ" (15، 16 التكوير) يقال للنجوم عند طلوعها الخنس وعند غروبها الكنس[2]، وهناك من خصها بالكواكب السيارة التي تجري في مدارات محددة فيكون خنوسها عبارة عن تباعدها في ذلك وكنوسها عبارة عن عودتها إليه فعلى هذه الأقوال يكون واقعا بجميع الكواكب، ويحتمل أن يكون واقعا بالسبعة السيارة[3] وقوله تعالى: "النجم الثاقب" (3 الطارق) أي المضيء أو المشتعل الذي يتوهج، وكذلك الذي يحرق الشياطين.[4]، "وكل هذه المعاني متضمنة صفات النجم لأنه مشتعل ومضيء ومصدر للشهب التي تحرق الشياطين، ويخترق ضوءها الظلام أو يثقبه، وهذا الوصف ينطبق على جنس النجم ولا سبيل إلى تحديد نجم بذاته من هذا النص، ولا ضرورة لهذا التحديد بل إن الإطلاق أولى".[5]

كما يمكن الجمع بين قوله تعالى: "النجم الثاقب" وقوله "الجواري الكنس": أي أن هناك نجوم لها مهمة أو أنها تتصف بصفات خاصة تجعل منها تخنس وتجري فتكنس، ولهذه الألفاظ دلالات منها ما ينطبق على المذنبات التي تجري في مداراتها وذلك أنها تخنس عندما تبعد، وإذا رجعت تظهر، وذاك هو الكنس؛ أي أنها تخنس وتكنس كأنها تختفي في مخبأ لها ثم تخرج منه فتظهر، ومن معاني هذه الألفاظ أن هناك مواقع للنجوم، أي مكان كان فيه نجم وبعد طمسه أصبح مكانه وموقعه عبارة عن خنوس لما تكنسه من عناصر المادة، سواء كانت نجوما، أو أجزاء مادية منتشرة في الفضاء فتظهر وكأنها تثقب حين تبتلع وتخفي كل شيء اقترب منها حتى الضوء، وهذه الثقوب تجرى في فضاء السماء دون أن يقدر الإنسان على رصدها فهي

---

[1] -السيوطي. الدر المنثور. ص: 318/6.

[2] - ابن كثير. تفسير القرآن. 126/7.

[3] -محمد بن أحمد الاسكندراني .كشف الأسرار النورانية القرآنية. 45/1.

[4] - ابن كثير .المرجع السابق. 147/7 ؛ وابن عربي. تفسير القرآن تحقيق مصطفى غالب. دار الأندلس. بيروت. ط3 (1981). 703/2؛ والسيوطي .الدار المنثور. 335/6.

[5] -سيد قطب. في ظلال القرآن. 3878/6.

تعمل كمكانس تكنس، أو تطهر الفضاء من أجسام كثيرة مما يحيط بها من مادة، ومن ثم جاء لفظ النجم الثاقب ألا وهي الثقوب السوداء وغيرها التي لم يتوصل العلم إلى كشفها.[1]

ويبدو أن وصف النجوم وذكرها جاء في القرآن في صيغة قسم، أو بيان تسخيرها للإنسان، صيغة القسم يتضح منها عظمة المقسم به، وأهمية صفاته القائمة به على أنها ثابتة وواقعة مع إمكانية إدراكها بإدراك آثارها، وهذا إشارة إلى حدوث المقسم عليه يقينا، فإذا كان الإحساس بالمقسوم عليه واقعا دل على ثبوت الأول، وحقيقة صفاته أما ما جاء في تسخير النجوم الذي ورد مطلقا، وخص منه استعمالها علامات للهداية بإطلاق؛ أي سواء كان الاهتداء بها في تحديد المواقع و المسارات والأبعاد، أم التدبر والتفكر في عظمتها وآثارها في حياة الإنسان، الذي يهدي إلى عظمة الخالق وقدرته، وتتجلى علاقة تسخير النجوم بالهداية فيما توصل إليه علماء الفلك والطبيعة من كشوف علمية بينت ولادة النجوم وانتشارها وضعت على أصرها النجوم بالاعتماد على مواصفاتها من عدة جوانب كحجمها وعمرها ومركباتها، وشكلها وموقعها، وهذه الكشوف نجد معظم دلالاتها متضمنة في نصوص الوحي.

1- ولادة النجوم والسحب السديمية: يرجع الباحثون ولادة النجوم والسدم إلى نظرية الانفجار (Big Bang) التي تستلزم وجود تساؤل: أين حصل وكيف حصل؟ وقد أرجع علماء الفلك والطبيعة نشأة الكون إلى أن المادة الأصلية لتكون في البداية كانت متراصة جدا وقارة. الجزيئات المادية هي الجسيمات ذات كتلة متناهية الصغر، وكان الكون في حالة توازن بين تحول الجسيمات المادية إلى طاقة، وتحول الطاقة إلى مادة إلى أن حانت اللحظة التي تم فيها حدوث توازن بين تخليق الجسيمات المادية وصناديدها فأدى تراكم المادة وتكاثفها إلى حدوث الانفجار العظيم الذي دفع أجزاء المادة المتركبة إلى التباعد و الانتشار. ويبقى السؤال قائما: أين حصل هذا؟ وكيف؟ هل صدر من العدم؟ وهل تم على مراحل؟.[2]

لكن الذي يمكن قوله: بأنه قريب من الصحة هو نشوء وتركيب العناصر المادية من التفاعلات النووية، وعمليات التكاثف لعنصر الهيدروجين، والهليوم، وبتتابع هذه التفاعلات وهبوط درجة الحرارة أدى إلى تشكل العناصر المادية المعروفة، مع الإقرار أن تلك الطاقة

---

[1] -منصور حسب النبي.إعجاز القرآن في آفاق الزمان والمكان. ص: 166-168.

[2] - محمد باسل الطائي.المرجع السابق. ص: 88-81؛ Michel. Cassé. La vie des étoiles.Imp; AUBIN. france. (1985). pp :11.

الأولى المتحورة لمركبات مادية مصدرها يكون من العدم المحض، ويعتقد أكثر الفلكيين أن هذه المادة الأصلية لمكونات الكون كانت متكاثفة ومنضغطة في مكان واحد، وكانت درجات الحرارة تعادل مليارات الدرجات، ونتيجة لذلك الضغط والحرارة، والطاقة المركزة أدى إلى انفجار تلك الكتلة التي يبقى مصدرها الذي صدرت عنه مجهولا، وهذا الانفجار جعل أجزاء المادة تتباعد عن بعضها في جميع الاتجاهات، واستدل على ذلك بحركة أجزاء المادة إلى حد الساعة في تباعد مستمر[1]، وأدى هذا التباعد إلى خلخلتها، فجعلت الكثافة تقل بين جزيئات المادة وتنخفض درجات الحرارة و الضغط[2]، فتشكلت نتيجة ذلك قطع من السحب السديمية تسير بسرعات في تباعد عن بعضها باتجاهات مختلفة محملة بكميات هائلة من غاز الهيدروجين، وكثير من العناصر في صورة دقائق أو غبار.

ونتيجة للسرعة الابتدائية المكتسبة من قوة الطرد الناجمة من الانفجار العظيم تكونت الغمامة السديمية الضخمة لها حركة مركبة من حركة مستقيمة خطية، وأخرى دائرية حول نفسها، ومرور الزمن حدث تبرد للحواف الخارجية مما جعل الغمامة تنكمش، فأدى ذلك إلى تضاعف سرعة دورانها.

بعد ذلك يصبح شكلها عشوائي، وترتفع درجات حرارتها وضغطها إلى أضعاف مما كانت عليه، ثم يتحول هذا السديم إلى مجرة مكورة، يزداد انكماشها فترتفع حرارتها وضغطها وتزيد سرعتها في الدوران، فيؤدي ذلك إلى التكور حول نواة ذات مستوى حراري عالي وعلى درجات عالية جدا من الضغط والكثافة، مما يرفع قوة الجذب لمنطقة القطبين ويتوسع حزام خط الاستواء، فيعطي للمجرة شكلا عدسيا مفلطحا، لا يبث هذا الوضع إلى أن يصبح دوامة مركزية تحرك الغمامة السديمية بسرعة هائلة تعمل على نشوء دوامات تتخذ مدارات تدور حول النواة المركزية، وهذه الدوامات هي التي تشكل النجوم فيما بعد حين تمر كل دوامة بنفس المراحل التي مرت بها السحابة السديمية الأصلية، وتؤدي القوة الطاردة المركزية إلى توزع النجوم في فضاء المجرة، وتستمر عملية الدوران للمجرة.

---

1 - David.Lambert. La terre et l'espace. Ed: Gama(1981). Pp:10.

2 - سيد وقار أحمد حسيني. العلوم الفلكية في القرآن. ص: 46 ؛ وحمادة أحمد العائدي. بن الذرة إلى المجرة. دار الفكر عمان.ط1(1994). ص: 27.

الدوران المستمر للمجرة يولد قوة طاردة مركزية تعمل على تمدد مـــدادات في شـــكل أذرع لولبية تمد الدوامات النجمية بالغاز والغبار، فترتفع كثافتها ودرجات ضغطها وحرارتها ما يؤدي إلى نشوء التفاعلات النووية، وتبدأ عملية احتراق الهيدروجين التي تخلف عنصـــر الهليوم، وبذلك التفاعل يتوهج النجم وينشر حرارته ويسطع نوره وهكذا يكون الانفجـــار النووي الذي يحدث في لب السحابة السديمية إعلان عـــن ولادة نجـــم جديـــد. وتبقـــى الانفجارات الذرية "متلاحقة ومنتجة الإشعاع والضوء لمئات الملايين من السنين[1]

توجد سحب سديمية في شكل كتل من الغبار المعتم والبارد ينتشر بين النجـــوم وقـــد تكون أحيانا هذه السحب المعتمة الباردة مصدرا في نشوء نجوم جديدة بواسطة التفـــاعلات النووية[2].

وهذا التفاعل النووي الحادث بين ذرات الهيدروجين فإنه يقع في لب جسم النجم تحت الغلاف الخارجي المشع بالطاقة، وهو الجزء الظاهر من كتلة النجم، إذ ترتفع حـــرارة لـــب النجم إلى حوالي 15 مليون درجة مثل لب الشمس، وارتفاع الحرارة إلى هذا المستوى يجعل كتلة النجم تتمدد، لكن تحت تأثير الجذب القوي تعود الكتلة إلى الانكماش مرة أخرى في اتجاه النواة. وبهذه العملية فإن أجزاء من المركز تندفع نحو السطح في صـــورة طاقـــة، وفي الوقت نفسه تنتقل أجزاء مادية من المادة السطحية إلى النواة، وهكذا تكون النواة كأنها فرن نووي تمده السطح الخارجي بالوقود، وتتم هذه العملية بآلية تبادلية بـــين تمـــدد يصـــحبه استفراغ حراري يشع إلى الخارج، وتقلص يصحبه ارتفاع في الحرارة و الضغط يـــؤدي إلى استمرار التفاعل النووي، وهذه العملية ليست أزلية ولا أبدية، بل تستغرق مدة من الـــزمن تقدر بملايين أو مليارات من السنين، وعندما يستهلك النجم مادته الـــتي تشـــكل الوقـــود النووي فإن التحولات المتتالية للعناصر المادية تصل إلى العناصر الثقيلة، والتي آخرها عنصـــر الحديد الذي يجعل نواة النجم ثقيلة تخضع لقوة هائلة من الضغط و الحرارة تؤدي إلى انفجار

---

[1] - حمادة أحمد العائدي. المرجع السابق.ص: 66؛ ومحمد جمال الفندي. الإسلام وقوانين الوجـــود.الهيئـــة المصـــرية. ط (1993).ص:10-12.

[2] - Michel. C. La vie des étoiles. pp : 42.

النجم وتوزع مادته في الفضاء المحيط، وهذا يجعل مادته تتحلل من جديدة مشكلة سحابة سديمية قد تعطي نجما آخر في المستقبل[1] بنفس الطريقة الآنفة.

وهناك أجزاء صلبة تبقى سابحة في الفضاء معطية النيازك والشهب، كما قد تؤدي عملية استهلاك الوقود في النجم إلى عدة ظواهر.

يكون للنجم حالات يمر بها إلى أن ينتهي عمره وبذلك صنفت النجوم إلى أصناف متباينة وقد اعتمد الفلكيون في تصنيف النجوم على خصائصها وهي:

1 – السطوع: ومنه تعرف القدرة الضوئية التي يبعثها النجم في الثانية الواحدة.

2 – اللون: يحدد درجة حرارة النجم تبعا لشدة حرارة المواد المختلفة.

3 – درجة الحرارة: تحدد منها عمر وكتلة النجم.

4 – الطيف ومنه تتحدد عناصره المادية.

5 – الحجم: يحدد الكثافة والكتلة وعمر المادة[2].

"وعلى أساس هذه الخصائص و العلاقة بينها تم تصنيف النجوم فكل ما انطبقت عليه كامل هذه الشروط دعي بنجوم سلسلة التتابع الرئيسي"[3]، وقد اتخذت الشمس وحدة لصفات أنواع هذه النجوم، وتترتب هذه النجوم حسب ضوئها بدء من الأبيض المزرق إلى الأحمر مرورا بالأصفر، والأصفر البرتقالي...الخ... وهذا يحدد درجات الحرارة المتناقصة وقد اختصرت أصناف هذا النوع بالرموز: O-B-A-F-G-K-M وكل قسم يحتوي على 10 أنواع تحت القسم تبعا لشدة اللمعان، وقسم يحتوي على $G_0 \ldots G_1 \ldots G_3$ ، والشمس تصنف بالقسم G وتحت القسم G_2 ، وأهم صفات هذه الأقسام هي: الاستدلال باللون على درجات حرارة سطح النجم[4].

---

[1] – Ibid.pp: 42 ؛ ومنصور حسب النبي. الكون والإعجاز العلمي في القرآن. ص: 286؛ وعبد الحميد سماحة .في أعماق الفضاء. دار الشروق.بيروت.د.ط.ت.ص:54،55،وحمد جمال الدين الفندي.الإسلام وقوانين الوجود.ص:30،13-31.

[2] – محمد باسل الطائي. المرجع السابق. ص: 64.

[3] – إبراهيم حلمي غوري. النجوم.دار الشرق العربي.د.ط.ت. ص: 58، وعبد الحميد سماحة. المرجع السابق.ص: 58.

[4] – Michel. C. la vie des étoile . pp:39.

اللون	درجة حرارة السطح	الصنف
- أبيض مزرق	10^3 (21-35) م°	O, B
- أبيض	10^3 م°	A
- بني أصفر	7200 م°	F
- أصفر	6000 م°	G
- برتقالي	4700 م°	K
- أحمر	3000 م °	M

وتعتبر هذه الحالات مراحل يمر بها النجم من ولادته إلى وفاته[1]، بدء من المرحلة الساخنة التي يشع فيها النجم الضوء الأبيض المزرق ثم المرحلة التي يكون فيها النجم يشع الضوء الأصفر وأخيرا المرحلة الباردة ويكون لونه أحمرا.[2]

ومن تلك المقارنة يكون المع نجوم هذه السلسلة يفوق لمعانه عن الشمس عدة مرات وأقل نجم يقل لمعانه عن الشمس عدة مئات من الدرجات كما يكون حجم أكبر نجم في السلسلة يفوق 20 مرة حجم الشمس، ويقدر قطر أقلها بعشر قطرها، وكذلك بالنسبة لدرجات الحرارة.

أما من ناحية الكتلة فأكبر النجوم في السلسلة تقدر بأربعين مرة من كتلة الشمس وأصغرها يقل بحوالي عشرها.[3]

إن أهم "مجموعات نجوم سلسلة التتابع الرئيسي... بالإضافة إلى الشمس مجموعات (سلسلة اللآلىء) وسط كوكبة الجبار، والشعرى اليمانية، في كوكبة الكلب الأكبر، ونجم الشعرى الشامية"[4] وعدد نجوم هذا الصنف كثيرا جدا لا يمكن حصره.

أما أنواع النجوم الخارجة عن تصنيف التتابع الأساسي فهي:

---

[1] - حمادة أحمد العائدي. المرجع السابق. ص: 366؛ و 38-39: Ibid.pp

[2] - المرجع السابق. ص: 363.

[3] - إبراهيم حلمي غوري. النجوم. ص: 58-59.

[4] - إبراهيم حلمي غوري. النجوم. ص: 59.

أ- **العمالقة الدنيا**: هذا الفرع من النجوم أكبر حجما وأقل كثافة من نجوم التتابع الأساسي.

ب- **العمالقة**: هذه النجوم كذلك أكبر حجما وأقل كثافة وأكثر لمعانا من التتابع الرئيسي.

ج- **العمالقة العليا**: وهذه النجوم أكثر لمعانا من غيرها من العمالقة.

د- **الأقزام البيضاء**: هذه النجوم صغيرة الحجم بحيث يقارب حجمها حجم الكواكب، ولها كثافة عالية ويكون الضغط في مركزها عاليا جدا، ونتيجة لذلك فإن درجة إشعاعها قد تصل إلى أضعاف ما تشعه الشمس بمختلف الإشعاعات ومثالها رفيق الشعرى"[1].

وتعتبر مرحلة القزم الأبيض طور من الأطوار التي يمر بها النجم في وجوده، وحالته تخضع إلى كتلته والعناصر التي يتركب منها؛ لأن وجود بعض العناصر مثل الكربون والأكسجين يسرع التفاعل النووي للهيدروجين، وبذلك يقدر عمر النجم ونهايته.

كما أن لكل نجم وضعه بالنسبة لغيره من النجوم فمنها المنفرد والمزدوج بغيره وهذه الوضعية يتحدد مسار وحركة النجم.

2- أوضاع النجوم:

بعد تطور وسائل البحث والمراقب الخاصة بمتابعة الأجرام الفضائية أمكن للإنسان أن يكشف عن أوضاع للنجوم تخالف ما كان سائدا، أن النجوم أحادية؛ أي كل واحد منها منفرد ومستقل بذاته، فثبت أنه توجد عدة مواضع مختلفة تحل بها النجوم.

أ- **النجوم الأحادية**: وهي النجوم المنفردة التي تسبح في مسار معين داخل مجموعة نجوم المجرة ويرتبط بغيره من النجوم ومركز المجرة بواسطة الجاذبية التي تضبط موقعه ومساره.[2]

ب- **النجوم المزدوجة**: تم اكتشاف وجود هذه النجوم منتصف القرن 18، إذ لاحظ الفلكيون نجمين كل منها يتحرك حول قرينه بشكل لولبي مثل حركة الأرض حول نفسها وحول الشمس في آن واحد، ولذلك دعيت هذه النجوم بالتوائم ونشوء هذه النجوم يعتقد بعض الباحثين أن كل نجم نشأ منفصلا عن الآخر، إنما حدث في آن واحد، والبعض يعتقد أنهما نجم واحد انشطر إلى جزئيين أو ثلاثة؛ يدعم الرأي الأول وجود عدة توائم تتحرك

---

[1] - المرجع السابق. ص: 60.

[2] - المرجع السابق. ص: 63.

حول بعضها، واختلاف سرعة كل نجم عن غيره واختلافه في الكتلة واللمعان والحرارة وكثافة مادته.

ج- الحشود النجمية: وهي مجموعات من النجوم تظهر لنا على بعد واحد وتتحرك في اتجاه واحد معا في الوقت نفسه، وهذه النجوم المشكلة للحشد تختلف فيما بينها في الكتلة و الحرارة، ومثالها حشد الثريا الواقع في برج الثور الذي ترى منه ستة نجوم بالعين المجردة، لكن يرى منها بواسطة المرقب الفلكي مئات النجوم تتواقت فيما بينها في اللمعان إلى ما يقارب مائة ألف مرة بين أخفتها وأكثرها لمعانا. [1]

3- موقع الشمس:

نجم كغيره من النجوم غير أنه يمتاز بقربه للأرض حيث يبعد بمسافة تقدر بـ:150 مليون كلم يقطعها خلال 8 دقائق. [2]

لقد جاء ذكر الشمس في القرآن الكريم أنها اسم علم للجرم المعروف، وذكرت 35 مرة منها 33 مرة بلفظ الشمس، ومرتان باسم سراج، وصفت بصفة وهاج، كما بينت النصوص أهمية الشمس في الحياة على وجه الأرض، وخاصة فيما يرتبط بدورات العناصر البيئية وعلاقة ذلك بالنشاط الحيوي للكائنات الحية كقوله تعالى:" وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا. وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا. وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا. وَأَنزَلْنَا مِنْ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا. لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا. وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا"(11- 15 النبأ)، هنا النص أشار إلى دورات الماء في جو الأرض جليا ورمز إلى دورات العناصر الأخرى كالكربون والنتروجين... الخ. بالظاهرة الدالة على ذلك وهي ظاهرة حياة النباتات بمختلف أصنافها، وهي بدورها إشارة إلى حياة الحيوان التي تقوم على حياة النبات في جميع الجوانب بدء من توفير الغذاء إلى توفير الأكسجين، وتوازن غاز الفحم، "حقيقة أن الشمس في غاية الأهمية لكل أحياء الأرض تنحدر كل الطاقة من حولنا عن الشمس بشكل رئيسي مهما تعددت الوسائل وتغيرت الطرق". [3]

لقد ورد في القرآن اسم الشمس مقرونا كقوله تعالى:"... يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ

---

[1] - إبراهيم حلمي غوري. النجوم. ص: 80-81.

[2] - إبراهيم حلمي غوري. الشمس.دار الشرق العربي. بيروت.ص: 5 ؛ وعبد الحميد سماحة. في أعماق الفضاء.ص: 47.

[3] - جون غريبين. النجم الغريب مولد الشمس وموتها.ترجمة: فائز فوق العادة.دار الشيخ.دمشق ط1، (1988).ص: 18.

الْعَالَمِينَ(54 الأعراف).، وقوله:" وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ"(12 النحل).

يظهر من هذه النصوص التي وصفت الشمس بالسراج الوهاج: أنها نجم وفي الوقت نفسه تمتاز بأنها تمثل حالة قياسية أو متوسطة في جميع ما تمتلكه من مميزات، وطاقة وحجم، وعناصر مادية التي تتركب منها مادتها، ودرجة حرارتها، وقوة سطوعها، ودرجة التفاعلات الحادثة بجسمها، وعمرها، وحركتها، وموقعها بالنسبة لغيرها في حيز المجرة، وذلك يظهر خصوصا في ورود سورة باسمها في القرآن الكريم "الشمس وضحاها" في صورة قسم بها وبنهارها لأن ضوء الشمس الظاهر هو النهار؛ أي ضحاها وضوءها.[1]

جاء قوله تعالى:"وضحاها و لم يقل ونهارها، ولا ضياءها لأن الضحى يدل على النور والحرارة جميعا، وبالأنوار والحرارة تقوم مصالح العباد".[2] وقد دلت معظم النصوص التي ذكرت الشمس على أنها مضاءة من تلقاء نفسها كقوله تعالى:" هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ "(5 يونس) وقال:" تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا"(61 الفرقان)من بيان النصوص يتضح أن جرم الشمس مشتعل يشع بالنور والحرارة بينما القمر أصله مادة معتمة تستمد نورها من مصدر إشعاعات الشمس بواسطة الانعكاس، ويظهر على وجه الأرض الموالي للوجه الآخر المقابل للشمس، وهكذا يظهر نور القمر المنعكس عن الضوء الوارد إليه من الشمس، شأنه شأن أي كوكب للمفارقة بينه وبين الشمس[3]، لذا جاء ذكره مقرونا بذكر الشمس، مع ورود الفرق بينهما، وقد أورد البيضاوي قراءة حمزة والكسائي "جعل فيها سُرجا وقُمرا بجمع سراج وقمر، أي ذات قمر وهو جمع قمرآء".[4]

---

[1] – بن كثير.تفسير القرآن.166/7.

[2] – بن تيمية. التفسير الكبير. 240/6.

[3] – الرازي. التفسير الكبير.140/30؛ ونبيل عبد السلام هارون، كشاف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. مكتبة بن سينا. ص: 43.

[4] – البيضاوي.المرجع السابق. 483.

وهذا يدل على أن هناك شموس وأقمار في فضاء السماء، وأن المقصود بالشمس كل نجم يتصف بصفاتها[1]. وهذا يبين أن وصف الشمس في القرآن جاء كافيا عن ذكر حالة النجوم، مما يمكن أن نستدل من نصوص القرآن على أنها تعد وحدة قياس في تحديد بعد وحجم وقوة أي نجم، وحركته ومساره وذلك في قوله تعالى:" وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى"(2 الرعد) وقوله:" وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ"(33 إبراهيم)، وقوله: "وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى"(30 لقمان)، و "الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ"(5الرحمان).

من هذه النصوص يثبت أن الشمس تتحرك في مسار منضبط ومحدد بزمان له أجل مسمى أي معين ومقدر تبعا لوظيفتها، وهي تصدر الضوء وقوة الجذب التي تدير المجموعة في فلكها، وهذا يتحدد بحجم المادة التي تستهلك وقودا لهذه العملية، والمسافات البينية التي تحدد مدارات الكواكب حولها، وفي الوقت نفسه أن تكون المسافات بين عناصر المجموعة، وغيرها من المجموعات والنجوم الأخرى ذات بعد كاف يعزل تأثير أية قوة صادرة منها، حتى لا يحدث تداخل أو اضطراب في النسق الكوني، ومن ثم جاء النص القرآني مبينا أن الشمس تجري وتتحرك عبر مسار بآجال محددة، سواء في حركة تعاقب الليل والنهار، أم تنقلها في مواضع داخل المجرة.[2]

وهذا ما عبرت عليه عبارات النص بالقول تجري لأجل، وإلى أجل، فدل السياق لأجل إلى غاية ومنتهى معلوم، أما إلى أجل تعني إلى زمن محدود، ومدلول العبارتين أن هذا السير والجري محدود بزمان له نهاية ينتهي بها وفيها (القيامة)، كما ورد لفظ دأب الذي يدل على أنها مستمرة في السير والإنارة اللذان بهما يتم إصلاح المكونات على وجه الأرض.

وفي قوله:"والشمس تجري لمستقر لها" أي لحد معين تنتهي إليه وينتهي دورها وينقطع جريها ويكون ذلك نهاية العالم، وجاء نفي المستقر في قراءة "لا مستقر لها أي لا يكون، فإنها متحركة دائما ولا مستقرا على أن لا بمعنى ليس"[3] وقد يكون مفهوم لا مستقر لها يقصد

---

[1] – منصور حسب النبي. إعجاز القرآن.دار الفكر العربي.القاهرة.ط1(1996م). ص: 162.

[2] – البيضاوي.المرجع السابق. ص: 341، 327.

[3] – المرجع السابق. ص: 576 ؛ ومحمد جمال الدين الفندي. الإسلام وقوانين الوجود. ص: 78.

منه، أنها لا تستقر على حالها المعهودة، أو أنها آيلة إلى التغيير لا محالة ويؤيد هذا قوله تعالى:" إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ".

إن حركة الشمس ومجموعتها وما يصدر منها من عوامل فعالة يستلزم أن يكون في وسط خال من العوائق، وقد عبر القرآن عن ذلك بقوله تعالى:" وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ"(33 الانبياء)"، أي أن السباحة تدل على التحرك داخل وسط متجانس عام، وإن كان حاملا لعوائق مختلفة تخضع للتأثيرات المحيطة التي تسري في هذا الوسط المتجانس العام المتعادل الحامل لجميع التفاعلات المادية الحادثة في الأجرام السابحة في الفضاء، تشمل ما يصدر منها من إشاعات ومجالات مغناطيسية وقوة تجاذب.

ثم جاءت نصوص تحدد نهاية الشمس، وقرنتها بنهاية النجوم الأخرى التي تكوون غايتها على الأقل بالنسبة لمن ارتبط وجوده بوجود الشمس، قال تعالى:"إذا الشمس كورت" أي إذا لفت كما تلف أو تكور العمامة، ويقال للثوب إذا كور أو جمع وألقي بمعنى أنها سترفع عن فلكها وتبعد عن مسارها ويكور ضوءها وتصبح مظلمة، وهذه النهاية قرنت بانكدار النجوم؛ أي طمسها ونهايتها.[1]

ومن هذه المفاهيم يمكن اعتبار الشمس وحدة قياسية لتحديد خصائص غيرها من النجوم، وفي الوقت نفسه هي أقرب نجم من حيث الزمان والمكان وما يصدر عنها من طاقة للإنسان، ولذلك يستطيع أن يطلع ويتوصل إلى دراستها بالقدرات المتاحة لديه.

1- النظريات العلمية الحديثة في نشوء الشمس:

عند التأمل في أصول النظريات الفلكية يبدو أنها تستمد مفاهيمها من المعتقدات القديمة التي ورثتها الحضارة الأوروبية عن أصول إغريقية، وما ورد في الكتاب المقدس الذي يجعلونه حلقة ضمن حلقات تطور هذه النظريات المستمدة من أساطير البابليين والفراعنة، والهندوس، وذلك أن الأساطير والنظريات ما هي إلا تصورات ابتدعها رجال حاولوا أن يعرفوا مصدر الكون ومآله، وهذه الفرضيات تقوم على أساطير الأديان الوضعية السابقة،[2] يتصور أتباعها وكهانها

---

[1] - الزمخشري. الكشاف. 4/177-178؛ والبيضاوي.المرجع السابق. ص:786؛ وابن كثير. تفسير القرآن. ص: 122/7.

[2] - A.Tomiline. La cosmogonie récréative. Traduit par : I.Sokolov ed .Mir. 1978.pp : 9-21.

أن الكون نشأ من الفوضى العارمة التي كانت تسود، وأهم عنصر كان موجودا ابتداء هو الماء، أو الضباب، ثم فجأة صدر في وسط هذه الفوضى نواة الخلق التي ما لبثت أن تطورت وتكاملت وأعطت لنا الكون بعناصره الكاملة، ثم جاءت كل النظريات مبنية على أساس أن العناصر الأولى كانت في غاية البساطة والأحادية في التركيب، ونتيجة للتفاعلات الحادثة بينها تراكبت المادة، وفسرت هذه الحوادث بفرضيات.

* **النظرية السديمية**: تفرض هذه النظرية وجود سحابة هائلة من الغاز و الغبار، كانت تدور من الشرق إلى الغرب حول نفسها حركة بطيئة وبمرور الزمن انخفضت درجة حرارة السحابة فانكمشت مما سرع دورانها فأخذ شكلها يتحول إلى الشكل العدسي؛ وهذا سبب حدوث انبعاج في مستوى خط استوائها، واستمرت الحركة الدورانية حيث تساوت مع القوة الجاذبة المركزية فانفصلت حلقة من الغازات أخذت تدور في نفس اتجاه السحابة. وبتبرد الهالة تتجمع مادتها في شكل كرة، واستمر انفصال الحلقات بتتالي، وكلما تبردت هالة تجمعت مادتها وأصبحت كتلة متراصة... وهكذا تكونت الكواكب، وبنفس الطريقة تشكلت توابعها بأن انفصلت عن الكواكب وهي في حالة غازية[1]. وأول من قال بهذه النظرية Piere simon laplace (1749-1827).

إلا أن هذه النظرية واجهت انتقادات في قياس كمية الحركة التي تحسب بالعلاقة (الكتلة × السرعة) فوجد أن 98% منها يخص الكواكب السيارة الدائرة حول جرم الشمس الذي كمية حركته تمثل 2% من كمية حركة السديم بأكمله المفترض، مع أن كتلة قرص الشمس تمثل من كتلة المجموعة نسبة 98%، وبذلك تكون فرضية السديم غير معللة لنشوء الشمس ومجموعة كواكبها لمخالفة كمية الحركة الموزعة على أجزاء السديم بشكل غير متوافق.[2]

ومن هذا المنطلق تكون أقرب فرضية هي: نشوء نجم الشمس من الدوامات السديمية الناشئة عن الدوامة الكبرى للسديم الأكبر الذي شكل المجرة، وبفضل الضغط الذي أحدثته كمية المادة في جرم الشمس أدى إلى ارتفاع حرارتها التي نشطت التفاعلات النووية التي أنتجت التوهج والسطوع.[3]

---

[1] - إبراهيم أحمد رزقانة. وآخرون الجغرافية الطبيعية. دار النهضة العربية. ط (1967). ص: 29-30؛ و Ibid. : 9-21.

[2] - Ibid. pp: 70.

[3] - إبراهيم حلمي غوري. الشمس.ص : 10-11.

ومن خلال هذه النظرية تتحدد نهاية الشمس كما تحددت بداية نشوءها وذلك بالاعتماد إلى بعض الظواهر الحادثة في الفضاء لبعض النجوم، أو بقاياها، ولكون الشمس نجم كغيره من النجوم، فإنه يخضع للقوانين الطبيعية نفسها في نشأته ونهايته.

4- نهاية النجم: باعتبار أن النجم موقد لتفاعلات نووية تستهلك فيه مادة الهيدروجين بشكل أساسي، والذي تمثل نسبته في كتلة النجم الحديث 98% - 99%؛ أما في النجوم الهرمة تنخفض هذه النسبة إلى ما يقارب 5% ومن ثم يكون عنصر الهيدروجين قد تحول إلى غاز الهليوم ولثقله عنه فإنه ينجذب أكثر إلى المركز فتتزايد الكثافة، وترتفع درجات الحرارة إلى غاية أن يصبح الضغط عالي جدا، فيندفع ذلك إلى تمدد حجم النجم، وبالتالي تتناقص حرارة الحواف الخارجية رويدا رويدا، فيتحول لون السطوح من البنفسجي إلى الأزرق ثم إلى الأصفر، ثم إلى البرتقالي، وأخيرا إلى الأحمر، وحينها يدعى النجم بالعملاق الأحمر، وبعد هذه المرحلة ينفذ عنصر الهيدروجين متحولا إلى عنصر الهليوم.

وبعد هذه المراحل يبدأ عنصر الهليوم يتفاعل نوويا ويتحول إلى عنصر النيون ومنه إلى عنصر المغنسيوم، وخلال هذه المرحلة يتحول النجم إلى قزم أبيض نتيجة انكماش حجمه وارتفاع كثافته، وتراص كتلته بمقادير عالية فيرتفع ضغط مركز النجم إلى درجات هائلة فتنبعث حرارة شديدة تؤدي إلى توهج يشع بالنور الأبيض، ومثال هذه المرحلة نجم الخرو.

وفي النهاية فإن القوة الصادرة عن التفاعلات النووية تؤدي إلى انفجار القزم الأبيض في محيطه إلى شظايا.[1]

وإذا كان حجم النجم أكبر، ومحتواه من الهيدروجين أكثر، فإنه يتضخم ويصبح عملاقا أحمرا يتمدد حجمه إلى عدة أضعاف، ثم تنتهي التفاعلات النووية فيه إلى تشكل عنصر الفحم والأكسجين والنيون، والحديد، ومن هذه النجوم ما ينفجر وتنتشر مادته في الفضاء.

وإذا كان حجم النجم العملاق الأحمر أكبر بثلاث أضعاف حجم الشمس ينفجر (سيبورنوفا). ثم تتشكل نواته نجما قزما تعمل شدة الانفجار إلى تحويل ذلك القزم إلى جرم دقيق الحجم نتيجة سحق الذرات ذي كثافة هائلة، وقوة مغناطيسية تفوق سرعة جذبها للعناصر المادية سرعة الضوء[2] وبذلك يصبح أسودا نتيجة امتصاصه للضوء، ولجميع العناصر المحيطة به فيظهر كدوامة

---

[1] - أحمد العائدي. من الذرة إلى المجرة. ص: 300-301؛ وإبراهيم حلمي غوري. النجوم. ص: 95-96.

[2] - عبد الرحيم بدر. المجرات الفلكية.ص: 102-103.

تسحب النجوم وأشلائها إلى داخله بسرعة هائلة، وقد تم كشف وجود الثقب لأسود بما يبتلعه ويجذبه إليه من أجسام مرئية ذات حجوم وكتل كبيرة جدا تغوص في بؤر متناهية الصغر بالنسبة لها.[1]

ومن خلال المعلومات التي توفرت للإنسان من البحوث المستمرة قد تكون هذه هي نهاية كل نجم، وقد تكون صورة من الصور التي تنتهي بها النجوم، وهذا يقارب معنى من معاني قوله تعالى:" يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ"(104الأنبياء)، وقوله:" وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ"(9 القيامة) و "إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ"(1-2 التكوير)، أي ذهب نورها الذي يتبعه ذهاب نور القمر المستمد من نور الشمس، والتكوير بمعنى لف وطي جرم الشمس ورفعه عن مداره وتحويله في مجال آخر، وهذا يتبعه حتما انطفاء الضوء وذهابه. التكوير جاء مقرونا بانكدار النجوم وطمسها، ونهايتها إلى المآل نفسه لأنها من جنس واحد تخضع لقانون واحد.[2]

وكلما اهتدى الإنسان بعلمه إلى كشف علمي في تحديد موقع النجوم، ونشأتها وتقدير أعمارها فإن ذلك يؤدي إلى تحديد منشئها الأصلي من السديم الكوني الأول.[3]

قد أورد القرآن الكريم نصوصا في تخليق النجوم، ومواقعها، وكذلك جاء في السنة الشريفة، والآثار إشارات وبيانات تفسر ما جاء في القرآن، ولا يوجد إضافات عن الدلالات الواردة فيه.

ومن خلال الكشوف العلمية التي توصل إليها الإنسان حديثا من دلالات نصوص القرآن الكريم يتضح أن طبيعة النجوم تمتاز بأنها أطوار تمر بها، وهذه الأطوار تبدأ منذ ولادة أو تخلق النجم إلى نهايته وفق قانون تخضع له عناصر مادته، ولذلك يمكن القول أن هذه المراحل تعد مواقع أو محطات يترل فيها النجم؛ أي وكأنه يخلق فيها بعد خلق، ويتشكل أثناءها عناصر مادية جديدة تكسبه واقعا جديدا، هذا بالنسبة للنجم الواحد خلال مراحل وجوده، ويكون كل نجم

---

[1] – ستيفن هوكنغ. موجز في تاريخ الزمان. ترجمة: عبد الله حيدر.دار الكتاب العربي.بيروت.ط1(1990). ص: 103-121؛ ومنصور حسب النبي. الكون والإعجاز العلمي في القرآن.ص: 299-300.

[2] –البيضاوي.المرجع السابق. ص:772، 786؛ والزمخشري. الكشاف. ص: 154/4، 177/4-179.

[3] – نبيل عبد السلام هارون. كشاف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.ص: 57-58؛ ومحمد السيد الأرناؤط. الإعجاز العلمي في القرآن.مكتبة مدبولي. ط (1989). ص: 160-161.

يحتل موقعا أو طورا من هذه الأطوار حسب كمية مادته وعمره، ونشاط التفاعلات الحادثة داخله. ومن جانب آخر وصف القرآن الكريم النجوم بالألفاظ التالية: المصابيح، والسرج والوهاج، و الثاقب، وهذه الألفاظ تحمل دلالة الاشتعال ولإضاءة الذاتية؛ أي أنها أفران نووية مستعرة تصدر الطاقة بمختلف صورها، وقد بينت الكشوف جانبا منه، وقد جاء وصف النجوم في القرآن بالطارق أي المتحرك كقوله تعالى:" وكل في فلك يسبحون"، وهذا يدل على أنها تسير في مدارات محددة ما دامت في حالة نجم، أما إذا تغيرت؛ أي اندثرت وطمست، أو تحولت إلى ثقب أسود، وأصبحت في صورة وهيئة لا تخضع للقوانين الطبيعية، اكتفى القرآن بقول طمست وانكدرت أي غابت عن الطبيعة المحسة، لأن الإنسان لا يمكنه تصور ما هو خارج عن الطبيعة المعهودة، وهذه الحالة هي موقع من المواقع، وتبقى معاني نصوص الوحي غير مقيّدة بوصف أو كشف؛ بل يبقى المعنى المطلق قائم فيها.

و النتيجة من ذلك يمكن القول أن النجم هو في حد ذاته مرحلة من مراحل تخلق المادة واستكمال بناء عناصرها الأساسية في الصورة التي تخضع للقوانين الطبيعية المحسة أو التي تدرك لدينا ومن ثم احتاجت هذه المرحلة إلى تدرج أطوار معينة يمر بها؛ بدء من البوتقة الحاوية لتفاعلات التي محلها النجم، وهكذا تكون النجوم مناجم تصدر منها عناصر المادة، ولذا عظم الخالق ذكرها في كتابه، فجاءت النصوص موجزة ومجملة، لأن التفصيل يحتاج إلى معرفة علوم دقيقة فتركت للبحث والتنقيب الذي أنيط به الإنسان، ويبقى الغوص في مجال البحث مستمر كلما تطورت المعارف والوسائل المساعدة لها.

ثانيا: خلق الكواكب والأقمار والمجموعات.

أقرب الأجرام السماوية إلى الأرض الأقمار والكواكب والمذنبات، والصخور السابحة في الفضاء. ومن ثم كان التسلسل في البحث عن نشوء مركبات السماء إلى الأرض انطلق من الأبعد إلى الأقرب، وكلما قصرت المسافة الزمنية والمكانية في خلق هذه الأجرام، كانت معرفة أحوالها أدق، وأوضح من غيرها خاصة في هذا العصر، إذ استطاع الإنسان أن يتوصل إلى أرقى التقنيات العلمية، وإلى أفضل الوسائل في تقصي الخصائص الطبيعية لتلك الأجرام، حيث جلبت بعض الأحجار والتربة من سطح القمر، كما تمكنت المسابر الفضائية، وبعض المركبات التي تم إرسالها إلى كوكب المريخ، والمشتري من دراسة سطحها، و أغلفتها الجوية، وحددت تراكيبها

وبهذه الطرق والوسائل تم الكشف عن حقيقة المادة المحسة في الكون، حيث ثبت بالدليل المحس أنها ذات تركيب موحد وأن عناصرها الأساسية واحدة.

ولقد أدى شغف البحث العلمي ببعض الباحثين إلى افتراض تصورات معينة حول نشوء الكواكب وخاصة المجموعة الشمسية فوضعوا في ذلك نظريات تستند على تصورات مقبولة عقلا لكن ثبوت حدوثها يتطلب دليلا علميا يؤكد وقوعها.

I –النظريات الفلكية في نشوء المجموعة الشمسية: عندما بدأ التفريق بين طبيعة الكواكب والنجوم، وأصبح من المعلوم أن الكواكب عبارة عن أجرام معتمة تتلقى نورها من النجوم، وخاصة أقرب الكواكب إلى الأرض التي تشبه القمر فهي أجسام متحركة في الفضاء حول الشمس تستقبل نورها وتعكسه، فتنبه الإنسان منذ القديم إلى ظاهرة حركة الكواكب، فرصد مطالعها وتتبع مسارها وحدد الفصول التي تتجلى فيها.

وقد جاءت جل هذه الفرضيات على أسس أساطير ومعتقدات دينية، إلى أن جاء عصر الإسلام بثورته العلمية وتحرير المباحث العلمية، وتفسير الظواهر الطبيعية على أساس تحديد قوانينها الطبيعية التي تتحكم في تفاعلاتها، وقد أعاد أعلام الأمة الإسلامية النظر في القواعد العلمية والآلات المستخدمة في قياس هذه الأمور العلمية.

وكانت المعارف الإنسانية عن الكون خلال القرن الأول للهجرة تعتمد على علم الفلك الإغريقي الذي كان ملخصه أن الأرض هي مركز الكون وكل الكواكب والنجوم تدور من حوله[1]. لكن مجي القرآن الكريم بين حقائق مخالفة لتلك المعارف الأسطورية وحدد بدقة حقيقة وضع الأرض من غير هذه الظواهر الطبيعية؛ قال تعالى:" اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ". (2الرعد). وقال تعالى:" وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ". (38يس)، ومثل هذه النصوص وارد في القرآن بكثرة. فكان ذلك وضعا جديدا للمعرفة الكونية للإنسان وحثا إلى البحث والكشف للتطلع والوقوف على آيات الله في خلقه.

---

[1] – سيد وقار أحمد حسيني. العلوم الفلكية في القرآن الكريم. ص: 71؛ وحسن سيد أحمد أبو العينين. كوكب الأرض. دار النهضة العربية. ط5 (1979). ص:57-59.

دفع ذلك علماء الإسلام إلى السعي في طرق موضوع علم الفلك بنهج القرآن ونبذ أساطير الأوائل. ومن أمثال هؤلاء العلماء البيروني الذي يعد "من مبتكري شرح الآيات الكريمة على ضوء العلوم الكونية. وتلك الطريقة ابتدأ ظهورها في أواخر القرن الرابع وأواخر القرن الخامس كما يتضح ذلك من دراسات التراث الذي خلفه لنا إخوان الصفاء وابن باجه وابن رشد وابن طفيل"[1]، وكذلك الإيجي حيث ناقش أمورا علمية حول إثبات كروية الأرض وحركتها حول نفسها من الغرب إلى الشرق بطريقة علمية بواسطة طرح تساؤلات ومحاولة إيجاد الجواب عليها والاستدلال عليها صحة وبطلانا، بطريقة علمية وأشياء عملية[2].

ولقد توصل البيروني على أدلة دقيقة على ثبوت كروية الأرض، وأقام لها تطبيقات يمكن إجراؤها وتكرارها بالتجربة، في هذا المجال قال في كتابه القانون المسعودي: "...لم تسكن نفسي إلى غير المشاهدة"[3]، أي أنه يعتمد المنهج التجريبي القائم على القياسات الدقيقة: كحركة الظل على مستو أفقي محدود المساحة...إلخ.

وقد أشار الرازي إلى إتباع المنهج العلمي القائم على القياسات الذي يستحكم فيه الإنسان، ليتوصل إلى نتائج منضبطة انطلاقا من توجيهات النصوص القرآنية، كقوله تعالى: "قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ.وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ" (9-10 فصلت)

عند تفسير لفظ اليوم ومقداره الزمني دعا الرازي على مقايسة مفهوم اليوم في لسان العرب بنوع الأيام على وجه الأرض، واختلافه، بدأ من خط الاستواء إلى احد القطبين. وفي هذا منهج علمي دقيق في البحث عن كيفية نشوء الكوكب وترتيب تشكله وتكوينه[4].

وعند تطور النهضة العلمية في أوربا استطاع الباحثون الأربيون اقتباس الكثير من النظريات العلمية التي أسسها العلماء المسلمون، وتبنوا الكثير منها، فمنهم من طور بعض الوجهات فيها.

---

[1]- علي أحمد الشحات. أبو الريحان البيروني. دار المعارف المصرية. ط(1968). ص:70.

[2]- الإيجي: عبد الرحمن بن أحمد. المواقف. علم الكتب. بيروت. د.ط.ت. ص: 218-220.

[3]- جلال محمد موسى. منهج البحث العلمي عند العرب. دار الكتاب اللبناني. ط(1982). ص:264-265.

[4]- الرازي. التفسير الكبير. ص: 27/103-104

في خلال القرن الخامس عشر والسادس عشر ميلادي انتشرت أفكار الفلكي نيكولاس كوبرنيكوس(Copernicus.N :1473-1543). حيث أكد هذا الباحث أن الشمس هي النجم الأكبر حجما في المجموعة الشمسية، ولذلك فهي ترى بالعين المجردة مع بعد المسير عنها نسبة للأرض. وتوصل إلى أن أفراد المجموعة الشمسية هي التي تدور حول الشمس وأن الشمس ثابتة، وأن الأرض ليست مركزا للمجموعة الشمسية؛ وإنما هي كوكب يقع بين الزهرة وكوكب المريخ له مدار يسير فيه حول الشمس كغيره من الكواكب الأخرى.[1]

إبان القرن السادس والسابع عشر تأكدت أقوال كوبرنيكوس على يد جاليلو الذي اخترع جهاز المنظار الفلكي، وثبت أن أفراد المجموعة الشمسية هي التي تتحرك حول الشمس في مدارات اهليليجية الشكل، وأن الشمس تدور حول نفسها، وأن لمشتري أقمارا تم رصد أربعة منها آنذاك، وبعد ظهور نيوتن وقانون الجاذبية الذي حدد بواسطته موقع كل كوكب يتناسب مع مداره؛ من حيث المسافة الفاصلة بينه وبين الشمس وكتلته وسرعته، ثم تأسس على ذلك نظريات في نشوء المجموعة الشمسية، جاءت نظريات إمانويل كانت(Emmanuel Kant – 1755) التي تقول: إن هذه المجموعة كانت عبارة عن كتلة هائلة من الاجسام الصلبة المعتمة والصغيرة في الحجم تسبح في الفضاء بسرعة كبيرة فأدى احتكاكها، وتصادمها إلى رفع درجات حرارتها، مما جعلها تنصهر وتشكل السديم الذي تجزأ هو الآخر لكتل أخذت البعيدة منها عن المركز تبرد، فأعطت الكواكب، وتكونت الشمس في المركز[2].

ولقد أدى هذا النشاط العلمي المتلاحق في أوربا حديثا إلى ظهور عدة نظريات تفسر ظاهرة نشوء وتشكل الأجرام السماوية، وخاصة الكواكب السيارة في المجموعة الشمسية مبنية على تصورات منطقية لتعطي للعقل علالا مستساغة في تقبل تكون هذه الكواكب.

ا- **النظرية السديمية**: قال بها العالم الفرنسي (خلال السنة 1796) لا بلاس لقد افترض وجود كتلة غازية هائلة الحجم، كانت حرارتها مرتفعة ولها حركة بطيئة حول نفسها من الغرب إلى الشرق ومرور الزمن فقدت الكتلة جزء من حرارتها في الطبقات الخارجية مما جعل الكتلة تنكمش، وهذا بدوره أدى إلى زيادة سرعة تلك الطبقات السطحية بتغير وضعها من

---

[1]- حسن سيد أحمد أبو العينين. كوكب الأرض. ص: 59.

[2]- المرجع السابق. ص: 61-62.

محيط بعيد عن المركز إلى مدار أقرب، فرفع السرعة الخطية لأجزاء تلك الطبقة، ولّد ذلك قوة طاردة مركزية لجزيئات هذه الطبقة؛ حيث أحدث انبعاجا في منطقة خط الاستواء للكتلة الغازية فانفصلت تلك الطبقة في صورة هالة لها حركة أسرع من الكتلة، ولها نفس الاتجاه، و تكررت هذه العملية مع بقية الكتلة إلى أن أعطت عددا من الهالات مساو لعدد الكواكب السيارة حول الشمس، وأعطت الكتلة المركزية نجم الشمس[1].

لقد وجهت انتقادات لهذه الفرضية أهمها: عدم وجود آثار لعمليات الانبعاج الحاصل في المنطقة الاستوائية للشمس. وكذلك سرعة دوران الشمس الآن بطيئة نسبة إلى حجمها من المجموعة الشمسية[2]، بحيث لو حسبت كمية الحركة للسديم الكلي (السرعة في الكتلة) لكان المفروض أنها= 98 % منها في كتلة الشمس التي تمثل من كتلة المجموعة98%. ويبقى 2% موجود في كتلة الكواكب وأقمارها، و الواقع العكس أن كمية الحركة في الكواكب هي 98% ويبقى 2% لكتلة الشمس، و هذا يناقض الافتراض الذي فسرت على أساسه انفصال هذه الكواكب من الكتلة الأصلية[3].

ب – نظرية الكويكبات : planetesimal theory

لقد قال بهذه الفرضية الباحثان : توماس تشمبرلين ، وفورست مولتن(T.c.chamberlin and F.R.Moulton 1905): يفترض أن الشمس الأولية كانت هي التي تمثل الكتلة الأصلية للمجموعة، حدث وأن مر نجم أعظم منها قربها فأدى ذلك لجذب جزء من كتلتها نحوه مما سبب في حدوث انبعاج، وانفصال كمية كبيرة من مادتها، وكذلك انفصلت كمية من مادة النجم، ثم حدث انفجار في المادتين، أدى إلى تفتت هذه المادة الصادرة من الجانبين، و أخذت بعد ذلك تبرد وتتجمع في كتل أخذت بالدوران في مدارات حول الشمس. بعد ابتعاد النجم الكبير عنها، و بمرور الزمن جعلت هذه الكتل تتصادم مع بعضها، وتندمج في كتلة موحدة إلى أن أصبحت، في حجم الكواكب المعروفة الآن في المجموعة الشمسية وأقمارها.[4]

---

1 - ابراهيم رزقانة ،وآخرون. الجغرافية الطبيعية. دار النهضة العربية ط (1767). ص : 30 ؛ و حسن سيد أبو العينين كوكب الأرض . ص : 62 ؛وجغرافية البحار والمحيطات.الدار الجامعية .د.ط.ت.ص:110.

2 – إبراهيم رزقانة، وآخرون. المرجع نفسه.

3 - A. Tomiline la cosmogonie récréative. Traduit par:I.SokÔlov. éd: Mir. Moscou. (1978).pp:69-70

4 - حسن سيد أحمد أبو العينين. كوكب الأرض. ص : 130 –131؛و جغرافية البحار والمحيطات.ص:107-108.

لقد اهتمت الدراسات الطبيعية والكيماوية لمادة الأرض، وحددت أن الأرض لها كثافة متزايدة كلما اتجهنا نحو مركزها، وهذا يعارض أن تشكلها تم نتيجة تجمع كتل صلبة باردة وإنما يدعم أنها كانت عبارة عن كتلة غازية وتبردت تدريجيا [1].

ج- **نظرية المد الغازي**: لقد قال بهذه النظرية الباحث الفلكي جيمس جنز خلال القرن الماضي (1917). إذ افترض مرور نجم ضخم قرب الشمس فأحدث مجال جاذبيته قوة شد لمادة الشمس مما أدى إلى خروج لهب منها في شكل السيجار مدبب الجانبين عريض الوسط و عند ابتعاد هذا النجم عن الشمس تفتت اللهب إلى عشرة أجزاء، كل منها تبرد وأعطى الكوكب المحدد بمداره حول الشمس ابتداء من أبعدها نبتون إلى أقربها لها وهي عطارد، و كذلك الحجم يتناسب مع تشكل المداد المدبب من الجانبين و العريض في وسطه الذي تشكل منه كوكب المشتري وزحل و مجموع الكويكبات ما بين المشتري و المريخ [2].

وأهم الانتقادات التي وجهت إلى هذه الفرضية مع أنها أوجدت حلا لكمية الحركة المتفاوتة: هي أن تركيب مادة الشمس يطغى عليها عنصر الهيدروجين والهليوم وتندر فيها نسب المعادن التي تمثل أغلب مادة الكواكب، بينما يقل وجود عنصري الهيدروجين والهليوم في مادة الكواكب.[3]

د-نظرية انفجار السوبرنوفا :

لقد جاء بهذه النظرية هويل (1946) لما نظر هويل في المسافة الفاصلة بين الشمس و مجموعة الكواكب السيارة التي تدور من حولها لا تتوافق مع المدارات و سرعة دورانها حول الشمس. وكذلك تركيبة مادة الشمس الآن ومادة الكواكب للمفارقة الكبيرة واستغراق وقت طويل في تشكلها، بدء من أبسط العناصر الأولية للمادة، وهو الهيدروجين.فافترض وجود نجم مرافق للشمس وذلك استنادا إلى مكونات الفضاء الخارجي الذي يتوفر على كثير من النجوم التوائم التي يلف أحدها حول الآخر، فافترض هويل وجود نجم مرافق للشمس. وصادف أن فقد غازاته بواسطة الإشعاع، ونتيجة لسرعة دورانه انكمشت مادته

---

[1] - إبراهيم زرقانة . و آخرون . المرجع السابق . ص: 31

[2] - المرجع السابق. ص: 31 ، 32 ؛ وحسن سيد أحمد أبو العينين.المرجع السابق.ص:66-67 ؛و A.Tomiline .op.cit.pp:75 .

[3] - إبراهيم زرقانة ،وآخرون .المرجع السابق.ص:32 ؛ و Ibid. pp:121.

اتجاه النواة فزادت درجات حرارته وضغطه التي عملت إلى انفجاره وتطاير أجزائه في الفضاء الخارجي بعيدا؛ لكن بقيت الأجزاء المتشكلة من نواته قريبة من الشمس، وهي التي أعطت الكواكب السيارة، وهذا ما يفسر وجودها في مداراتها وكذلك تركيب بنيتها المادية من جميع العناصر التي تكونت من التفاعلات النووية، أو التفاعلات الكيماوية، ووجود عناصر مادية لا يمكن من الناحية الفيزيائية وجودها في الشمس أو تشكلها خلال فترة تبرد مادة الكواكب فإنها لا تتناسب مع القوانين الطبيعية للمادة.[1]

وتتلخص نظرية السوبرنوفا – Supernova – في أن النجم المرافق للشمس تشكل من سديم كوني قديم قبل تشكل الشمس بحقب زمنية، ما جعل مادته تحولت من العناصر الأولية للمادة إلى جميع العناصر الأخرى سواء بالتفاعلات النووية، أم الكيماوية، وبذلك تكون مادة الكواكب السيارة قد تكونت قبل الشمس، ولذلك فهي تحتوي على عناصر لا يمكن وجودها في جرم الشمس الآن.

ومهما تعددت الافتراضات، والنظريات في بيان نشوء الكواكب فإنها تتفق بأنها مكونة من مادة نجمية، سواء كانت من الشمس، أم من نجم آخر، ويبقى تكوين وتشكيل هذه الكواكب إلى حد الآن مجهولا. وقد أثبت ذلك الباحث سمارت W.M.Smart في قوله :" بأننا ربما سوف لا نعلم الطريقة الحقيقية التي تكونت بها كواكب هذه المجموعة وكيف جاءت إلى الوجود؟"[2].

2- النصوص القرآنية:

ومن المؤكد أن نشوء الكواكب خاضع لقانون طبيعي منضبط قد يتوافق في بعض جوانبه مع ما توصل إليه الباحثون، وقد يكون مخالفا تماما، لكنه ناموس من نواميس الخالق.

وقد جاء في ذكر القوانين المنضبطة (السنة) في القرآن: " وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً" (62 الأحزاب).و:" فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً" (43 فاطر). و:" وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً" (43فاطر). و:" وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً " (23الفتح).

---

[1] سيد حسن أحمد أبو العينين.المرجع السابق .ص:74،71 ؛ وإبراهيم حلمي غوري .الأرض .دار الشروق.د.ط.ت.ص:26 ؛ وإبراهيم زرقانة، وآخرون .المرجع السابق .ص:32 ، 33.

[2] – سيد حسن أبو العينين .المرجع السابق .ص:74،71.

وهذه السنة أو النواميس التي وضعها الخالق في خلق الكائنات، وضبط العلاقات والتفاعلات بينها لا يمكن أن يغيرها أحد، وكذلك من ضمن هذه القوانين أن الخالق ربطها بعدم التغيير أي حكم عليها بالثبات[1].

وكذلك أجرى هذه السنن على أسباب تؤدي إليها فإذا حلت تلك الأسباب فإن سنة الله لا تتأخر[2].

من مفهوم النص قد جعل المخالفين للأنبياء مآلهم الهزيمة قانونا وسنة مؤكدة بالقول والواقع. وأن من السنن والناموس الإلهي؛ تبقى الساعة أي يوم القيامة مجهولا عن الخلق في علم الله[3]، وهذا يؤدي بنا إلى أن ما جهل وقت نهايته، فبالأحرى أن يجهل زمن بدايته. وذالك لعدم الكشف على قانون منضبط يحدد ذلك.

ومن ذلك يمكن القول أن تحديد الشكل الذي بدأت به ومنه مادة الكواكب بصورة دقيقة أغلب الظن فيه أنه مخالف للفرضيات التي تصورها الإنسان، وقال بها بناء على المشابهة بأشياء أدركها بحسه وبعقله، وهي جزئية في هذا الكون. ومن ثم فإن الحقيقة مخالفة ولو توافقت مع بعض التصورات، لأنها لا تقوم على دليل وقانون منضبط لا يقبل المخالفة، أو النقض باحتمال وقوع غيره على غير هيئته، بمعنى أن للإنسان قوة عقلية يستنبط بها ويتوقع الحادثات السالفة والآتية؛ لكن على منوال المشابهة، والمماثلة له بما يدركه من حوادث، وتفاعلات بين المخلوقات في محيطه الذي تحكمه نواميس محدد تحد من عتبة تصوراته، ومن ثم فإن حادث نشوء و تشكل الكواكب الذي يفترضه الباحثون قائم على الملاحظات المسجلة على كوكبنا الأرض لا غير، وهذا محدود وخاص بظروف معينة قد تخصه في أغلب الأحوال.

وإذا ما تتبعنا نصوص القرآن الكريم يبدو أنها تشير وتبين أن وجود الخلق على هيئته المعروفة في المحيط هي الإعجاز المثير للعقل البشري، وتقوده إلى أن الذي انشأ الخلق من عدم قادر على إعادته للعدم مرة أخرى، ثم إخراجه مرة ثانية للوجود[4].

---

[1] - البيضاوي. المرجع السابق. ص:563.

[2] - سيد قطب. المرجع السابق. 3327/6

[3] - الزمخشري . الكشاف. 3/ 247

[4] -المرجع السابق.188/3.

البحث الذي أمرت به نصوص الوحي هو التطلع لكيفية خلق المخلوقات؛ بالبحث في تركيبها وترابط عناصرها؛ للوصول إلى القوانين التي تضبط العلاقات بين المخلوقات، أما البحث في أصل المنشأ يبقى غيبا على الدوام، قال تعالى:" قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"(20 العنكبوت) والربط مع قوله:" مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا"(51 الكهف).

ومن ثمة تكون كيفية صدور العالم عن الخالق لا يمكن التوصل إليها لأنها من صفات الله وهي ليست مما يدركه المخلوق.[1] ولذلك وجب على الإنسان المخلوق العاقل أن يستخدم قواه في مجالها المتاح لها، وكل خروج عن هذا المجال لا يوصل إلى نتيجة وهذا بتقرير النص القرآني قوله:"ما أشهدتهم" وهي نفي لكل ما تحصل به المعرفة التي يشهد بها الإنسان، سواء كان ذلك عن حضور ومواقعة للحدث، أو كان إدراكا بأدلة قاطعة لا تحتمل البطلان، على أن ذلك الحدث مستيقن منه مثل يقين المشاهدة والحضور.

ثالثا– خلق الأقمار: القمر عبارة عن كوكب صغير تابع لأحد الكواكب، وله حركة حوله تتم خلال موسم معين. وقد يتعدد القمر بالنسبة للكوكب الواحد، وقد ينعدم، ومادام للأرض قمر يلف من حولها في مدار قدره شهرا قمريا من الزمان قدره 29,5 يوما، وحجمه لا يربو عن 1/4 من حجم الأرض[2]. ومن خلال هذه المعطيات بنى الفلكيون نظرياتهم في تحديد مصدر القمر.

1 - نظريات تكوين القمر وتشكيله:

أ- ذهب جورج داروين، إلى أن القمر كتلة مادية منتزعة من كوكب الأرض عندما كانت الأرض في حالة منصهرة، تحت تأثير القوة الجاذبة للشمس من حوالي 5 مليارات سنة.

حيث حدث للأرض انفلاق أدى إلى تشكل حوصلة من الصهير ناشئة عنها وبمرور الزمن وبعمل الحركة الدورانية لكوكب الأرض جعلت تلك الحوصلة تتكور، ويرق مَدادُها الذي يوصلها بالأرض إلى أن انكسرت وانفلتت تلك الحوصلة، ثم أخذت مدارها حول الكتلة الأم،

---

[1] -البيضاوي. المرجع السابق. ص:395.

[2] منصور حسب النبي. الكون. ص: 258؛ و- David Lambert, Op. cit. pp: 62. -.

وبدأت تبرد إلى أن أعطت كوكب القمر، وكان حجم القمر المستأصل من الأرض هو مكان المحيط الهادي الآن.

ب- فرضية فون وزاخر: يرى أن الشمس كانت تسبح في الفضاء وحدها إلى أن حدث واقتربت من سحابة سديمية وبفعل الجاذبية وتأثير حركة الشمس جعلت السحابة الغازية تأخذ شكل أذرع حلزونية، وبمرور الزمن جعل كل ذراع تلتف مادته وتتكور حول نفسها مشكلة ما نسميه بالكواكب والأقمار، وهي في صورة غازية ومنصهرة، ثم أخذت تبرد وتتصلب إلى أن أخذت شكل الكواكب والأقمار المعروفة لدينا الآن[1].

ج- هناك فرضية تابعة لنظرية لابلاس تقول أن جميع الأجرام تعود في أصلها إلى السحابة السديمية الأولى السابحة في الفضاء، نتيجة دوران هذه السحابة السديمية الأولى السابحة في الفضاء، تشكلت أذرع لولبية تكاثفت حول نواة مادية أثقل، ثم أدى هذا الثقل بالنواة إلى الانصهار وأعطت الشمس، لكن تلك الأجزاء البعيدة عنها تكاثفت وشكلت الكواكب والأقمار الباردة[2].

مهما كان من فرضيات ونظريات فالواقع أن القمر بعد تشكله أخذ مداره حول الأرض يبعد عنها بقدر بحوالي 384000 كلم. تحت تأثير الجاذبية للأرض، لكنه مازال متأثرا بقوة الدفع الأولى؛ حيث أنه يبتعد عن الأرض بمقدار 5 م خلال كل قرن من الزمان إلى أن يبتعد بمسافة تقدر بـــ: 550000 كلم فتضل سرعة ابتعاده إلى 0، ثم تعاود القوة الجاذبة للأرض إرجاع اتجاهها من جديد، وعند وصوله إلى المدار الذي يبعد عن الأرض بحوالي 18000 كلم فإنه يتفحر مما يجعله يشكل حلقات من الغبار والحصى حول كوكب الأرض مثل ما هو حادث لكوكب زحل[3].

لكن هذه التقديرات ستحدث بالقياسات المتاحة الحالية بزمن لا يقل عن 20 أو 50 مليار سنة[4].

وقد قام الفلكيون بقياس أبعاد القمر حيث قدر قطره بحوالي 3500 كلم، وبذلك تكون مساحته السطحية تقل عن مساحة الأرض 14 مرة[5]، وتقدر كتلته بنسبة 1/81 من كتلة

---

(1) O.Binder. La Lune, Ed : 1962- By derux d'or, Paris, P : 13.

(2) .Ibid, P : 14.-

(3) .Ibid, P : 15.-

(4) .Ibid, P : 115.-

(5) .I. Perelman. L'astronomie Récréative. 2ème Edition. Moscou, pp:73.-

الأرض، وهو دوما يواجه الأرض بوجه واحد أي نصف السطح الكروي، وبذلك يكون القمر يتم دورة حول نفسه وتسمى يوما قمريا قدره 27 يوما وثلث اليوم[1].

2-القمر في نصوص الوحي:

قد ورد ذكر القمر في القرآن الكريم 27 مرة كلها بصيغة المفرد المعرف بأل ماعدا مرة واحدة جاء بلفظ قمرا، وعند تتبع مجال ورود القمر في القرآن الكريم بترتيبه المرتب عليه يلاحظ أنه بدأ بنفي الفكر الأسطوري الذي يؤلّه القمر في قوله تعالى: "فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنْ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ"(77الأنعام)، ثم يأتي النص في السورة نفسها أنه من خلق الخالق، وأنه تحت قانون يحكم سيره وحركاته، وهذا بيان أن كل ما يدركه الإنسان من ذوات أو صور لذوات تدل على أنها مخلوقة بدليل خضوعها لناموس يجعل لها صورة مدركة، وهذا مباين للخالق المنزه عن ذلك، وأن كل لافت للانتباه كالقمر في شكله، ودوره فإنه من تقدير الخالق الذي أتاطه بذلك، كقوله تعالى: "فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ"(96الأنعام).

ثم تتوالى النصوص لتقرر أن هذا المخلوق مسخر لدور محدد في سير الحياة على وجه الأرض. ومن بين هذه الأدوار حساب الدورات الزمنية التي تتعلق بها نشاطات الكائنات الحية، أثناء وجودها وتحديد أعمارها بفترات زمنية وحيوية فجعل القمر بحركته دليلا عليها، وذلك بالآجال المحددة لحركة القمر.

وإذا حملنا معاني قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا"(12الإسراء)، على أن دلالة آيتين تعني التساوي في القوة والشدة، أو التشابه بينهما، والآيتان هما الشمس والقمر، وهذا يجعلنا نتصور أن القمر كان مشتعلا له إضاءة تشبه الشمس، ثم محيت آية الليل شيئا فشيئا، إلى أن أصبحت تستمد نورها من آية النهار وجعلت آية النهار وهي الشمس مضاءة تلقائيا[2]، والملخص من هذا أن القمر كان في بداية أمره مشتعلا ثم تبرد وانطفأت ناره، لكن من البيان يظهر أنه بقي بعد الأرض مشتعلا وهذا مخالف للواقع، حيث أن مادته أقل كمية من الأرض، وبذلك من المفروض أن يبرد قبلها وبذلك تبقى الاحتمالات

---

(1) -حسن سيد أحمد أبو العينين. المرجع السابق، ص 42؛ و34-O.Binder: Opcit. pp: 33.

(2) -البضاوي. المرجع السابق. ص 372؛ وابن كثير. تفسير القرآن. 86/4.

واردة، كأن يكون جرم القمر لاحقا في التكوين للأرض، ومصدر مادته يبقى له احتمالات كثيرة.

ومنه فإن التوافق بين دلالة النصوص القرآنية والفرضيات الإنسانية موجود في بعض الجوانب. والمخالفات في جوانب أخرى، وأهمها توفيق دلالة الفرضيات على ما اعتمدت عليه من أدلة عقلية مستنبطة من بعض القوانين الطبيعية في محيط الإنسان.

ويستنتج من ذلك أنه لا يمكن إخضاع دلالة النص القرآني لمفاهيم النظريات والفرضيات العلمية، وأهم ما أشارت إليه هذه النصوص هو التحفيز إلى البحث العلمي في مجال تسخير بعض المخلوقات لرفاهية الإنسان بواسطة استغلال القوانين الطبيعية التي تتحكم في نشاط وتفاعلات ذلك المخلوق.

ولقد أورد ابن كثير في تفسيره قولا لابن عباس يثبت أن القمر كان مشتعلا قبل الشمس، ثم تبرد وأصبح معتما يستمد نوره من الشمس، في راية عن أبي جريح: "قال ابن عباس: كان القمر يضيء كما تضيء الشمس، والقمر آية الليل، والشمس آية النهار، فمحونا آية الليل السواد الذي في القمر"[1].

ثم تأتي نصوص تبين أن القمر يخضع لقانون يضبط دورات حركته ليس على الدوام غير المنتهي؛ إنما ذلك محدود بأجل، وهذا يؤكد للإنسان أن يستغل القوانين المتحكمة في الظواهر الطبيعية في الجانب المتاح له وأول تسخير؛ بأنها دليل قاطع على وجود خالق له صفات الكمال منزه على صفات المخلوقات، وأن المخلوقات مهما كانت مجالها سواء أرضية، أم سماوية فإنها لا تستطيع الحيود عن القانون الذي يضبط صورة وشاكلة وجودها ودورها، فقال تعالى: "أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ"(18الحج)، وخص النص أهم المخلوقات السماوية التي اتخذها الإنسان آلهة وهي الشمس والقمر بالسجود لله، قال تعالى:" وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ" (37 فصلت) وهذا السجود هو الخضوع التام للقانون الإلهي، وبذلك فهي مسخرة لأداء أدوار خاصة بها، ومن بين هذه الأدوار أن جعلت علامة على نهاية الحياة الدنيوية، في قوله تعالى: "اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ

---

[1] ابن كثير. المرجع نفسه.

وَانْشَقَّ الْقَمَرُ"(القمر)، وفي قوله: (فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ.وَخَسَفَ الْقَمَرُ. وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ. يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ"(7-9القيامة)، وعند حدوث هذه الظاهرة يعلم الإنسان علم اليقين أن الحياة الدنيوية على سطح الأرض لا محال قد انتهت فيقول عندها لا مجال لاستمرار الحياة على الأرض أين المفر؟[1].

من نصوص القرآن ثبت أن الشمس والقمر والنجوم خلقت لأداء دور فعال في سير الحياة على وجه الأرض، وجعلت علامات تدل على حلول ساعة النهاية، وبواسطة تغيرها عن حالها الطبيعية المعهودة، وهذا فيه أمران الأول لم يذكر تفصيلا في شأنها، والمراد أن يبقى ذلك سرا، والثاني أن إشارة القرآن إلى نهاية محتومة لهذه المخلوقات قد يدل على رجوعها إلى أصلها الذي تكونت منه، وبذلك تكون طريقة صدورها مماثلة ومطابقة لطريقة نهايتها واندثارها، لكن تبقى الكيفية المفصلة بدقة بحيث لا يتوصل إليها الإنسان، ومنه لا يمكن أن نجعل النظريات والفرضيات الفلكية تفسيرا لنصوص القرآن الكريم في شأن خلق القمر، وكلما يمكن قوله أنها وافقت أحد المعاني وهو نهاية القمر التي جاءت دليلا على قيام الساعة وانتهاء الحياة الدنيوية على وجه الأرض، وفي قوله: (اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ. وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ"(1-2القمر)، فهذا الانشقاق سواء حدث أم أنه سوف يحدث بعد حين فالمقصد منه محدد وهو زوال البنية المعهودة للعالم، وهذا أقوى دليل على أن مغير حال ومزيل النظام المعروف لعالم لا يكون إلا هو نفسه الذي أوجده وقادر على إيجاد غيره على شاكلته أم على غيرها[2]، والنص هنا صريح في بيان أن الانشقاق دليل على قرب وقوع الساعة، كما أن الانشقاق يحمل على التفتت أو التجزؤ، ويبقى التقدير الزمني الذي حددته الفرضيات الفلكية بالاعتماد على القياسات المادية لا يعني صحته لأنه واقع تحت إرادة الخالق وعلمه، بكثير من الأمور التي لم يدخلها الإنسان أو لم يقدر على إدخالها في حساباته.

---

[1] البيضاوي. المرجع السابق. ص: 701، 772.

[2] الرازي. التفسير الكبير. 29/28-30.

الفصل الثالث

خلق الأرض ومراحل تكوينها

المبحث الأول: خلق كوكب الأرض

المطلب الأول: مصدر الأرض وشكلها

المطلب الثاني: نشوء القارات.

المبحث الثاني: تشكل الغلاف الجوي والظواهر الطبيعية

المطلب الأول: تركيب الغلاف الجوي

المطلب الثاني: الظواهر الطبيعية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة الفصل

الأرض هي الكوكب الذي يعيش عليه الإنسان، ويمارس جميع أنشطته الحيوية والفكرية وبالتالي فهي البيئة والمحيط اللائق الذي يحتوي على شتى المتطلبات اللازمة، والمساعدة للإنسان للقيام بنشاطاته المختلفة، ومن ثم فهي بيئة مغلقة صالحة لحياته، ولا يمكن له أن يستمر في الوجود إلا بتوفر ظروفها وشروطها، وعلى هذا الأساس فإنه من الجدير أن يتساءل المرء عن مصدر هذه الأرض، وعن كيفية تركيبها، وأقسام هذه المركبات المتلاحمة والمتباينة، سواء في أدوارها، أم في بيئتها الطبيعية، والملاحظ من تركيب الأرض أنها تتركب من جزئين مهمين وهما: جرم الأرض وغلافها الجوي. يتركب جرمها من العناصر الطبيعية المحفزة لجميع نشاطات الحياة، ولذلك تناولت دراسة خلق الأرض، مصدرها وشكلها، وشكل الغلاف الجوي وما يحدث فيه من ظواهر في مبحثين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول

خلق كوكب الأرض

خلق الأرض يعني تتبع مراحل تكوينها وتشكل بيئتها إلى أن أصبحت وسطاً مهيئا قابلا لتحسين ظروفه المساعدة للاستيطان من قبل كائنات أخرى، ناشئة من مكونات ذلك الوسط، وهذا في حد ذاته يحتاج إلى ظروف جد خاصة ودقيقة، حتى يتم الترابط بين العناصر المركبة له، وأدوارها المتباينة في حفظ التوازنات البيئية الطبيعية في استمرار هيئة الخلق التي خلقت عليها هذه المكونات الأساسية، وقد قسمت دراسة ذلك في مطلبين الأول يتناول مصدر الأرض وشكلها، والثاني يتناول نشوء القارات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول

مصدر الأرض وشكلها

لقد سبق في خلق الكواكب عموما إبداء النظريات العلمية والنصوص القرآنية التي تفسر نشأة الكواكب ومنها الأرض، لكن الأمر المهم الخاص بالأرض هو؛ ما يتعلق بالبنية الأرضية من ناحية وسطها الداخلي، وشكلها الهندسي الذي يعين على تعديل وتحسين التفاعلات، والعلاقات الرابطة بين المكونات، وأدوارها في حفظ واستمرار وجود الأرض، هل هو على هيئة ثابتة أو متطورة، وكيفية التطور أهو مستمر أم توقف بعد أطوار معينة.

أولا- تعريف الأرض:

هي الجرم الذي يعيش عليه الإنسان، وهي أنثى اسم جنس، وذلك من قول القرآن الكريم: "وإلى الأرْض كيْفَ سُطِحَتْ"(20الغاشية)، وتجمع على آراضي وأرضون، وأُروض، ومن معاني الأرض كلما سفل فهو أرض فيقال أرض البعير ويقصد بها أسفل القوائم، وأرض الإنسان ركبتاه وما بعدها[1].

والتأرض معناه التأني والانتظار، والتوقف في المكان كما يعني التنقل من أرض إلى أرض، أو الثبت، والتمكن فيها والإقامة، ومن معانيه التعرض والتصدي، فيقال تأرض لي فلان. أما في القول فيقال أرضت الكلام إذ هيأته وسويته[2].

وأرض أرصاء أو المأروض تقال للرجل المريض، بالزكام والأرض دوار يأخذ في الرأس والأرض بسكون الراء الرعدة والنفضة، والأرضة حشرة تأكل الخشب وهي النمل الأبيض والأرضة: الأرض كثيرة النبت، ومكان أريض، أو أرض أريضة اللينة الكريمة المقعد جيدة النبات وكثيرة العشب عريضة لينة الموطأ، ويقال للرجل أريض صاحب خير وتواضع، وإذا قيل امرأة أريضة ولود وخصبة، وجاء في الأثر أنه لا صيام لمن لم يؤرضه من الليل[3]. (يؤسسه) بحمل الدلالات التي يحملها لفظ الأرض تشترك كلها في كونها تتضمن معاني متعددة أهمها القاعدة الأساسية التي يرتكز عليها، وإنها مصدر الخصوبة، والثبات أي أنها بيئة الحياة للكائنات

---

(1) ابن منظور. لسان العرب. 7/111-112.

(2) المرجع نفسه ؛ والزمخشري. أساس البلاغة. ص: 4-5.

(3) ابن منظور. المرجع السابق. 7/113-115

الحية، وهذا ما احتاج إلى هيئة استغرقت مراحل متتالية لإعدادها كي تصبح مؤهلة لحمل الظروف البيئية المساعدة على الحياة والنشاطات الحيوية للكائنات الحية.

ثانيا- خلق الأرض:

يتضمن خلق الأرض مصدرها، ومراحل وأطوار تكوينها على الهيئة الصالحة لحمل الحياة ونشاطاتها، ففي نصوص القرآن الكريم لم يرد تفصيل عن صدور الكون بما فيه الأرض، وكلما أشارت إليه هذه النصوص هو أن الخالق لما خلق الكون خلق معه نواميس وسنن تربط بين الأسباب والحوادث، ولقد ورد في القرآن الكريم خلق الأرض مقرونا بخلق السماوات مكررا عدة مرات ولكن ذلك تنديدا منه بمن يعبد الأصنام، والظواهر الطبيعية، ويبين أن كل ما في هذا الكون مخلوق من قبل الله وعند تخليص الفكر الإنساني من شوائب الشرك حينها يليق به البحث في خلق السماوات والأرض لتعزيز وتدقيق التصور لوضع الأمور في نصابها[1].

وأوليات هذه الأمور رفع اللبس بين الخالق والمخلوق حتى لا يحدث تضليل في البحث المتواصل، عندما يعجز الإنسان في بعض المراحل عن وضع الأسباب وربطها بنتائجها، أو العجز عن التعليل العلمي المنضبط، فكانت نصوص القرآن تقرر دائما أن وضع السبب المؤدي إلى حادث معين خاص به يتم بعلاقة محكمة توضح قانونا طبيعيا خلقه الخالق كقوله تعالى: "وأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لواقح فَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ"(22الحجر)، وقوله تعالى: أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ(43 النور).

ورد ذكر الحوادث متعاقبة ومتتابعة بعطف الأفعال بحرف الفاء، أو ثم فهذا ربط يدل على الاقتران السببي[2]، والأسباب المدركة من قبل الإنسان لا يمكن أن تكون خارج بيئته التي تحكمها نواميس محددة، بعتبات لا يقدر على تجاوزها، ولذلك صرحت نصوص القرآن الكريم بالإيمان بالغيب الذي لا يتمكن الإنسان من إدراكه، إما لخروج نواميسه عن الطبيعة الظاهرة، أو عدم استيعاب قدرات المخلوق للتفاعلات الحادثة فيه، ولذلك لقوله تعالى: (الم. ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

---

(1) -محمد المبارك. الإسلام والفكر العلمي. ص:45-48.

(2) - المرجع السابق. ص:51-52.

يُنفقُونَ(1-3البقرة)، وقوله تعالى:" مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا(51 الكهف)، المعنى الجاري للنص هو أن كيفية خلق المخلوقات مستترة عن المخلوقات نفسها، سواء في خلقها هي لنفسها، أو خلق غيرها، وهذا سار على المخلوقات التي تتخرج للوجود باستمرارٍ لاحقٍ فضلا عن السابق[1]، وإشارة النص تلمح إلى أن الإيمان بالغيب يدل عليه الشاهد المحس الذي ينفي الإحساس به الشك في ثبوت كونه موجودا مما يؤكد أنه مسبوق بعدم، لكن كيفية صدوره من العدم إلى الوجود هي الغيب الذي يجب الإيمان به، وبصفاته المحددة من قبل المخبر به (الواجد له)، وأهم صفة له عدم إدراك الوجه الصحيح لتخريجه وتصديره للوجود، وقد استشهد النص هنا بتحدي المخلوق معرفة صدوره هو فكيف بغيره؟!.

وبعد وجود مادة الأرض والسماء جاء ذكر خلقهما أنه تم في ستة أيام، أي ستة مراحل وأطوار أو حقب لا يعلم مداها إلا الخالق، قال تعالى: قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ"(9-12فصلت).

في هذا النص جاء ذكر خلق الأرض مجملا دون تفصيل، وذلك لعدم قدرة الإنسان على التوصل إلى كيفية صدور المادة من العدم، لأنه غير مهيأ لهذا سواء كان عن طريق الخبر من قبل الخالق، أو بالبحث؛ حتى يبقى هذا إعجاز يدل على عظمة الخالق، وكأن النص يقول للباحثين في هذا المجال سوف تكفرون بالذي خلق الأرض في يومين لأنكم قنتم أن مصدر ونشوء المادة غير الخالق بجعلكم الصادر ندا في خلق وبث العناصر المادية بإرجاعها إلى أمور افترضتموها دون ملك دليل حقيقي، وهذا الخبر المنقول إليكم بواسطة الوحي من الله لا يمكن التوصل إليه بالعقل المحض، وإنما يثبت بالنقل عن فاعله، ثم بين النص بعد خلق الأرض على

---

[1] البيضاوي. المرجع السابق. ص:395.

مرحلتين أن جعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها، في أربعة أيام أو مراحل[1].

وهنا جعل الرواسي من فوق له احتمالات إما أن تكون هذه الرواسي نابعة من مادة الأرض نفسها والفوقية معناها بروزها على سطحها، أو أنها أنزلت على سطح الأرض من الفضاء الخارجي كالنيازك، وقد يكون المعنى شاملا لهما، وفي ذلك نص آخر يؤيد هذا المذهب في قوله تعالى: "...وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ.."(25الحديد)، مع أن النص الوارد في شأن الحديد يمكن أن يتحمل وجهين من المعاني الأول منهما؛ يكون مفهوم لفظ أنزلنا بمعنى جعلنا أي أن الحديد مده الخالق بصفات تجعل فيه بأس شديد وقوة، ومنافع للناس على مدى الزمن، في جميع المجالات بدء من استعماله سلاحا، إلى أدواره في مجال التكنولوجيا الحديثة، ودوره كعنصر فعال في كثير من تراكيب الإنزيمات، والبنية العضوية في جسم الإنسان وغيره من الكائنات الحية[2]، كما تفيد كلمة أنزلنا معنى برأناه منزلة، أو مكانة في الانتفاع وتحصيل المنافع للإنسان، وذلك حسب استعماله في السلم والحرب[3].

كما يفيد لفظ أنزلنا معنى أتينا به من فوق من خارج الأرض؛ أي أن عنصر الحديد لم يتكون عبر مراحل تشكل الأرض، إنما هو عنصر سماوي تشكل في فضاءات أخرى وخلال مرحلة معينة ومقدرة بدقة، أنزل هذا العنصر بواسطة رشق كتلة الأرض بنيازك من الحديد حتى بلغت نسبة محددة، ثم توقف هذا الرشق، وذلك يعتمد ويتوافق مع النظريات العلمية الحديثة القائلة بأن احتراق العنصر الأساسي من المادة النجمية هو الهيدروجين تدرج به في سلسلة تفاعلات نووية تنتهي به بعنصر السليسيوم، الذي ينتهي به التفاعل إلى آخر عنصر ناتج عن التفاعلات النووية وهو الحديد الذي لا يحترق نوويا، ولا يتحول إلى غيره من العناصر، وتشكل بقية العناصر المادية الموالية للحديد لها طريقة أخرى، وهي الأخرى جاءت للأرض بنفس الطريقة التي جاء بها الحديد[4]، واقتصرت الآية عن ذكر الحديد لتنبيه الإنسان على البحث المتاح له عن بقية العناصر.

---

[1] الرازي. التفسير الكبير. 27/100-105.

[2] ابن كثير تفسير القرآن. 6/332.

[3] سيد قطب. في ظلال القرآن.6/3494-3495.

[4] -Michel Cassé : La vie des Etoiles. pp: 50-52

وبهذا التوافق بين بعض أوجه ومعاني النصوص القرآنية في خلق الأرض، يمكن التوصل أو القول بأن ذكر خلق الأرض وأسبقيته عن خلق السماء، فهذا وجه من معاني النصوص لأن المواد والعناصر المادية التي تتشكل منها الأرض، وبعض الكواكب السيارة في المجموعة الشمسية سابقة عن تكوين الشمس، وذلك أن العناصر الثقيلة بدء من الحديد، وما يليه كالفضة والذهب... واليورانيوم، لا يمكن أن تكون تشكلت إلا في أزمنة سحيقة من خلال النجوم النيترونية، وهي مراحل متأخرة من عمر النجوم التي لم تبلغها الشمس بعد[1]، وهكذا تصبح دلالة النص وكأنها تشير إلى السماء التي تتكون من الشمس، وهي لاحقة لمكونات الأرض ولا غرابة في مفهوم النص القرآني، وإذا قصد بالسماء الغلاف الجوي فذلك واضح، ومعقول أن يكون لاحقا للأرض، أما عن قوله تعالى: "وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ"(10فصلت)؛ المدار الأساسي لمفهوم هذا المقطع من النص القرآني يكمن في مفهوم لفظتي التقدير والقوت، فالتقدير هو وضع الحاجات وترتيبها بحسب ما يلائمها من متطلبات تليق بها وتكتفي عن غيرها، وهذا عام لجميع المخلوقات بدء من العناصر المادية الأولية ومركباتها الناشئة عن التفاعلات المؤدية إليها، وانتهاء بما يوفي حاجة الكائنات الحية من تلك التفاعلات بين عناصر المادة الميتة والحية، على حد سواء[2]، مثل توفير العوامل الطبيعية من حرارة، وضوء، وضغط، وكميات من الشحنات الكهربائية...إلخ، وتهيئة العناصر المادية للتفاعل لإنتاج مواد ومركبات تختلف في صفاتها، وأدوارها في المحيط. وتكون هذه التفاعلات قائمة على أساسيين؛ هما التركيب ثم التحليل حسب الحاجة وتوفر العوامل بحيث لا يكون حيود في ذلك المسار المرسوم بقانون طبيعي.

أما الأقوات: والأشياء المقدرة بأقساط محددة على قدر الكفاية للحاجة بالحد المطلوب دون زيادة[3]، أي ما يحفظ دون فضل فيه على قدر الحفظ، وهو النسبة المحددة من عوامل، وعناصر المحيط اللازمة لحفظ وبناء هيئة معلومة الكم، والكيف من شيء يراد له الحفظ والإقامة[4].

وهكذا يكون من معاني الأقوات الطاقات، وأنواعها التي تستغلها الكرة الأرضية في حركتها وسكونها، أو ما تحتاجه الكائنات الأخرى التي ستوجد عليها، ومن أمثلة تلك الطاقات الطاقة

---

(1) - Ibid. pp: 52.

(2) - بن كثير. تفسير القرآن. 98/6.

(3) – الزمخشري. أساس البلاغة. ص: 380 ؛ وابن منظور.المرجع السابق. 74/2.

(4) - ابن منظور.المرجع السابق. 75/2-76.

المغناطيسية التي تخلق مجالا مغناطيسيا يحفظ الأرض، ويدفع عنها حمولة العواصف الشمسية من الجسيمات والإشعاعات فيحرف مسارها فلا تصطدم بسطح الأرض.

يتولد المجال المغناطيسي للأرض نتيجة الحركة الدائرية التي تقوم بها الأرض حول نفسها التي تجعل الطبقة المنصهرة من جسم الأرض تدور بسرعة تختلف عن نواتها الصلبة التي يغلب في تركيبها الحديد فيؤدي ذلك إلى تولد طاقة كهربائية مغناطيسية يظهر أثرها الفعال في القطبين المغناطيسي الشمالي، والجنوبي اللذان يقومان بتوليد قوة تعمل على عدم الاحتكاك بالسحب المكونة من الجسيمات والدقائق المادية المدمرة القادمة من الشمس، التي تحدثها الانفجارات والعواصف الشمسية المشبعة بتلك العناصر، في صور جسيمات، أو غبار لها قوة هائلة، تظهر خلال تشكل الشفق القطبي، وأثناء اصطدام الأشعة الكونية بالغلاف الجوي في منطقة القطب، وبالتالي تكون الطاقة المغناطيسية قوت من الأقوات التي تمد الأرض بحماية، ولها فاعلية أخرى تدخل في تنظيم تدرج الشحنات الكهربائية على سطح الأرض[1].

وكذلك من الأقوات كميات المياه الموجودة على سطحها وتوافقها مع الغلاف الجوي وانتشار الرطوبة خلاله لتنظيم دورة الماء، وحالات الماء على سطحها خلال الفصول، وكذلك خلال المواسم في الموطن الواحد، وعلاقته بالكائنات الأخرى، وشكل بنية سطح الأرض، و المسطحات المائية.....إلخ[2].

وهذه الأقوات تعد جزء مهما في تشكيلة بنية الأرض خلال مراحل تكونها، كما أن لها دورا في حفظ بقاء هذا الشكل، وحفظ التوازن المستمر، وفي هذا الشأن أكبر إعجاز إلهي تظهر فيه حكمته، وقدرته، وقوته، وتدبيره لخلقه. لقد أشارت آيات القرآن إلى ذلك كقوله تعالى:" إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا(3 الطلاق).

ثالثا- مفهوم الأرض:

لقد وردت كلمة الأرض بلفظ المفرد في جميع آيات القرآن الكريم، ولم تأت بصيغة الجمع إلا إشارة دون استعمال لفظ الأرض بصيغة الجمع في قوله تعالى: " اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنْ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا(12الطلاق). ولقد ورد لفظ الأرض حوالي 462 مرة في القرآن الكريم.

---

(1) .La Rousse : Encyclopédie, Vol : La Terre- (1978), Pp : 14-15-

(2) Ibid, pp: 100-10; Monique. Sicard. L'Etonnant cycle de l'eau. Ed :(1987). Fernand-Nathan. France. pp: 3-7

1-الجرم: ومفهوم الجرم هو أن لها حجما محدودا، و سعة معينة وليست مطلقة، لقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ"(91آل عمران) ومفهوم النص هنا يدل على أن الأرض لها سعة محدودة، وحجما معينا، ووزنا ثابتا أي أنها مقدار من المادة يمكن حسابه، و بذلك فهي كوكب؛ أي جرم له كتلة وحجم. ويمكن حساب ذلك بعلاقة رياضية توصل إليها العقل البشري، وهذه العلاقة هي :

ق = 6.67×10^{-11} $\frac{ك_1 ك_2}{ب^2}$ إذا كانت ق = ك أي جسم × 9.8 مقدار الجاذبية

وبفرض، أن كتلة الجسم = 1 كلغ، فإن وزن الأرض = $9.8 = \frac{6.67\ 10^{-11} \times ك_ر}{(6400)^2}$ ومنه فإن

ك$_ر$ = $6 . 10^{24}$ كلغ وهي كتلة الأرض.

وأن المسافة الفاصلة بينه وبين مركز الأرض هي نصف قطر الأرض (6400).فإذا كانت الأرض محدودة الكتلة، فهي محدودة المساحة والحجم.

أما مساحتها = نق^2 × ط×4= 510×10^6 كلم^2

وبما أن الأرض كروية فإن حجمها حجم كرة = 3/4ط مكعب نصف القطر = $3/4\pi R^3$ ، ومنه مادام لها حجم محدود وكتلة معينة فإن ذلك يجعلها شيئا معينا بذاته لها كمية معلومة وهي نسبة ضئيلة في الكون المحيط بها، وهكذا استطاع الإنسان أن يحددها[1]، وقال تعالى: قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا "(97النساء) واسعة نسبة للإنسان والمقارنة بين النصين يستخرج منها: أن ما منحه الله سبحانه وتعالى للإنسان من إرادة وحرية أعظم من حجم وسعة الأرض، وأغلى من ما يعادلها من الأموال (الذهب)؛ لأن هذه الأرض ما هي إلا كوكب خاضع لنواميس الخالق لا تحيد عنها. ولا إرادة لها إلا طاعة الخالق[2]، فقال تعالى: " تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا(44 الإسراء).

وهذا سار على جميع المخلوقات حتى أجساد الكفار فهي تعمل وظائفها اللاإرادية وفق قانون طبيعي صممه الخالق، وميز الإنسان بإرادة مستقلة، وحرة في مجال محدود وفق قدراته التي

---

(1) - أحمد الحوفي.المرجع السابق.ص: 66.

(2) - البيضاوي.المرجع السابق. ص: 376.

تبين مجال عمله[1]، وقد جاء في الذكر:" وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا.وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا"(36--37الإسراء) من النصوص يمكن التوصل إلى إثبات الأرض أنها كوكب محدود الحجم، و الكتلة المادية؛ إلا أن ذلك متناسق مع صلاحيتها بيئة ملائمة لحياة الإنسان، فهو أعجز أن يعمل بغير تلك القوانين، فهي بالنسبة له عظيمة وكبيرة جدا، ولكن الله عظّم عمله الحسن أكثر مما تحمله الأرض من مدخرات، وأموال؛ لأنها موضوعة لتساعده في وظائفه.

2 - الحيز أو الموطن: المقصود بالحيز المكان الذي يستوعب الإنسان ونشاطاته، والموطن والبيئة المهيأة لنشاطاته. تحمل أعماله مع توفير الإمكانيات التي تتطلبها تلك النشاطات قال الله تعالى:" الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ"(22 البقرة).

أي جعل الأرض ممهدة سهلة معدة للقرار والسكن وجعل فيها أسباب توفير الرزق أو ما يقوّم حياة الإنسان من جميع الجوانب المادية و النفسية[2].

ولذا ورد النهي عن الفساد فيها، بأي شكل وصورة فقال تعالى:" وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ. أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ "(11-12البقرة).

وقد جاء في الخبر أن سلمان رضي الله عنه لما سئل عن مفهوم النص قال: لم يجئ أهل هذه الآية[3]، و لم يعني أن المفسدين في الأرض لم يكونوا موجودين بل يقصد أن أصحاب الفساد الظاهر في جميع المجالات آتون في مستقبل الأيام، قال بن جرير:" يحتمل أن سلمان رضي الله عنه أراد بهذا أن الذين يأتون بهذه الصفة أعظم فسادا من الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا أنه لم يمض ممن تلك صفته أحد"[4].

خلق الله الأرض وهيأها بقوانين تتحكم في تفاعلات عناصرها، ومركباتها، وتضبط دور كل عنصر، بحيث يكون خادما لبقية العناصر، وبهذا تكتمل بنية البيئة الصالحة لتحمل حياة الإنسان وغيره من المخلوقات المسخرة له، ويتجلى هذا التسخير في استخلافه بمعرفة النواميس

---

(1) – الزمخشري. الكشاف. 362/3.

(2) – ابن كثير.تفسير القرآن.61/1.

(3) – المرجع السابق.53/1.

(4)- المرجع نفسه.

المحكمة لعالم المحسات ليطوعها لرفاهيته، و لهذا أوجب الخالق على الإنسان الطاعة لتميزه عن غيره بقدرات العقل، ومده بقوانين يستطيع أن يحفظ توازن بيئته الموجودة على الأرض[1].

وقال تعالى:" الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى. كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَى. مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى"(53 55 طه) هذا النص لقد ضبط مدلول الأرض بأنها الموطن الممهد بقوانين، وكائنات تشكل للإنسان بيئته التي خُلق جسده منها، وأُعطى مقوماته، ووفر له الخالق الأسباب التي تكفل له الحياة فيها دون الحاجة إلى خارجها؛ بحيث وضع فيها أسباب بقاء واستمرار العناصر والتفاعلات بينها بصورة دقيقة، تهيئ للإنسان ظروفا ملائمة للحياة بحيث لو ذهب إلى موضع غير الأرض لتطلب استمراره في الحياة بقاء ظروفها بعينها[2]، وهكذا يكون مفهوم الأرض الذي يحمل المعاني المقصودة في القرآن الكريم هو: البيئة الملائمة التي تتوفر على جميع مستلزمات الحياة بدء من العوامل الطبيعية؛ من حرارة، وضوء، وظلام، وضغط، ورطوبة، إلى القوانين المنظمة لتأثير تلك العوامل على العناصر التي تتركب منها هذه البيئة، وتحمل الأرض من العناصر الأساسية المادية انتهاء بالكائنات الحية، وتنوعها واختلاف نشاطاتها الحيوية وأدوارها البيئية، كي تكون كل هذه التفاعلات خادمة لتوفير الظروف المساعدة والموافقة لاستمرار حياة الإنسان عليها؛ بحيث لا يمكنه أن يجد خارج كوكب الأرض بيئة تتحمل وجوده وتلاءم حياته باستمرار، ومن ثم في عصرنا هذا إذا أراد الإنسان مغادرة الأرض لزمه أن يأخذ معه بيئته الأرضية، و إلا لم يتمكن من مغادرتها. وفي هذه آيات على حكمة المدبر الحكيم الذي جعل له هذا الوسط المسخر له بغير إرادة منه، ومطوع له، لذلك طالبه الله سبحانه أن يحسن التصرف في معاملة العناصر البيئية، و إلا وقع تحت طائلة القوانين المعدلة، وهي غالبها تكون في صورة عقاب للإنسان، فيها تكون للبيئة إعادة توازن اختل بواسطة أفعال مرادة من الكائن العاقل، وتبقى جميع المعاني و المفاهيم للأرض كلها مشتقة من هذين المدلولين الأساسين.

---

[1] – عبد الحليم محمود. القرآن في شهر القرآن. دار رحاب. الجزائر. ط (1988م).ص: 14-16؛ وسيد قطب. في ظلال القرآن. 47/1.

[2] - سيد قطب. المرجع السابق. 2339/4.

3- **شكل الأرض:** لقد اختلف قديما في شكل وبنية الأرض من جانب سطحها، وتوضع المسطحات المائية والتضاريس؛ أي بما يسمى الجيومورفولوجيا، وتحديد الشكل الذي يحدد معالمها وكميتها، وحجمها، وحتى تاريخ نشأتها.

لقد جاء في أساطير بني إسرائيل وأهل الأديان والملل أنها مسطحة ومحاطة بمحيط مائي لا نهائي، وبقي هذا الاعتقاد سائدا؛ إلا أن العلم الإسلامي والعلماء والمسلمون حرروا الموضوع من الخرافات، ووضعوه في محل البحث والتنقيب العلمي القائم على القواعد والأدلة البرهانية التي لا تقبل النقض أو المضادة، وأثبتوا الشكل الحقيقي للأرض، وقد أثبتت الأدلة العلمية القائمة على التطور التكنولوجي الحديث ذلك.

جاءت نصوص القرآن تحمل معاني مختلفة حول تشكيلة الأرض؛ أي بنائها. وورد نصان يبينان شكلها: " لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ "(40 يس)، ولقد قال الدكتور السيد الجميلي: أن هذا النص فصل بين الاحتمالين بين التسطيح و التكوير فقد أثبت الأول للإنسان صورة الأرض أنها فراشا له ومهدا ومسكنا وموطنا أما التكوير فيكون لها قوله تعالى: " وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا" (30النازعات)، أو سواها لتكون صالحة وخاضعة لقانون الحركة التي وصفها الخالق بالسباحة؛ أي أنها تدور في مدارها الذي هو فلكها[1]، ولا يكون لها ذلك إلا إذا كان لها شكل كروي ومنه: أن المقصود بالدحو شكل الدحية التي هي البيضة، وهذا دليل آخر من النص أنها كرة، والتسطيح الوارد معناه تسقيف قشرتها على صهارتها[2].

ولقد عرض الإيجي الأدلة على كروية الأرض فقال:" فلأن البلاد كلما كانت أقرب إلى الغرب كان طلوع الشمس عليها متأخرا بنسبة واحدة، ولا يعقل ذلك إلا في الكرة..... ولما رصدنا خسوفا بعينه في وقت من الليل وجدناه في بلاد شرقية مثلا آخر الليل، وفي بلاد غربية عنها بمسافة معينة قبله بساعة، في بلاد غربية عنها بتلك المسافة بعينها قبل الأول بساعتين وقبل الثاني بساعة وعلى هذا فعلمنا أن طلوعها على الغربية متأخر...[إلى أن قال عن التضاريس لا تؤثر على شكل كروية الأرض | فإن أعظم جبل على الأرض نسبته إليها

---

(1) السيد الجميلي. الإعجاز الكوني في القرآن. دار شهاب. باتنة. د.ط.ت. ص: 29-32.

(2) - منصور حسب النبي. إعجاز القرآن. دار الفكر. ط1 (1996م). ص: 44-48؛ وعبد العليم عبد الرحمان خضر. الطبيعيات والإعجاز العلمي للقرآن. ص: 174-182.

كخمس سبع عرض شعيرة على كرة قطرها ذراع،... إن السائر في البحر يرى رأس الجبل قبل أسفله وما هو إلا لستر تقبب الماء له.... الماء المرقى إلى فوق يعود كريا"[1].

وعند الجمع بين النصين عند قوله تعالى: " وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا" وقوله تعالى: "إلى الأرض كيف سطحت" يقصد من النصين تهيئة الأرض وتمهيدها وتوفير مقومات الحياة لتصبح بيئة صالحة لحياة الإنسان، ولا يمكن ضبط دلالة النص على أنها مسطحة؛ أي مستوية لا أنها كروية، وإنما بيان أنها مسطحة بمعنى مستقرة ومعتدلة قابلة أن يتخذها مأوى ومنزلا، وقد حُضرت بجميع متطلبات العيش، والحياة ليقوم الإنسان بدوره المنوط به باستغلال تلك الأمور المنجزة له؛ لأنه ليس في مقدوره أن يستوعب إعداد بيئته من تلقاء نفسه[2].

لكن بجمع النصوص المشبهة للأرض وحركاتها واختلاف تداور الليل و النهار، وذكر أنها تسير في مدار فلكي لأجل مسمى، دليل على أن نصوص القرآن تقول للإنسان: ابحث في هذا المجال لأنك مؤهل بقوى وأدوات تستطيع أن تتوصل بها إلى إثبات الحقائق العلمية، وهذا أكثر إعجازا عندما تكتشف أن هذه الأرض سوى كوكب متناه في الصغر نسبة إلى الكون الذي يحيط به، وأن الخالق وفر لك هذه البيئة وكيفها بحجم، وكتلة، وموقع في مدار محدد تسير فيه، بحيث لا تفقد غلافها الجوي، وأن يكون هذا الجسم متناسق مع بنية أجسام الكائنات الحية وأولها الإنسان، وأن هذه التفاعلات الخاصة في النشاطات الحية محسوبة بدقة متناهية مع جميع العوامل الطبيعية، والنواميس الكونية خارج الأرض وداخلها، ومن هنا تكون دلالات النصوص لا توافق الكشوف فقط؛ بل تحث وتحفز على التعمق فيها، وأنه لا مناقضة بين مفاهيم النصوص والواقع الموجود على هيئة معينة وبتقدير دقيق.

أما من الجانب العلمي فلقد بينت المركبات الفضائية وأثبتت صحة البراهين الرياضية و الاستدلالات على كروية الأرض، بأنه أمر محقق لا يساوره شك، بحيث تمت قياسات دقيقة لقطر الأرض في جميع جوانبها وحدد حجمها ومدارها الذي تسير فيه حول الشمس، وكيفية

---

[1] – الإيجي. المواقف. ص: 217-218.

[2] – سيد قطب. في ظلال القرآن. ص: 6/3816-3899 ؛ والغزالي. التفكير في خلق الله. تحقيق ماهر المنجد. دار الفكر. ط1 (1995م). ص: 104-106.

حركتها حول نفسها ودرجات ميلها التي تنظم توزيع كميات الضوء الواردة إليها من الشمس[1].

ولكن سلف العلماء المسلمين فهموا أن البحث العلمي هو: ما نصت عليه الآيات وهذا ما دفع الكثير منهم يثبت بالبرهان الرياضي قيمة قياس محيط الأرض، وقياس قطرها. ونجد البيروني أول عالم بحث في هذا المجال، واستطاع أن يخرج بطريقة علمية، ورياضية لا تقبل التعارض هندسيا القيمة الرياضية لنصف قطر الأرض، وهذا ما أثبتته العلوم الحديثة[2].

لدينا أ قمة الجبل و جـــ نهاية الانحطاط الأفق أي موضع يلامس المستقيم المار من أ إلى سطح الأرض والزاوية ج أ د = α

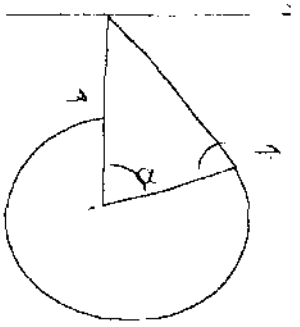

وهي نفسها الزاوية ج م أ، لأن كل منها تكون متممة

للزاوية ج أ هـــ، من ثم فإن : جتا α = $\frac{\text{جـــ م}}{\text{جـــ م + هـــ أ}}$

ومنه تكون جـــ م = جتا α (جـــ م + هـــ أ) ←

جـــ م - جتا α جـــ م + هـــ أ جتا α ←

جـــ م ـــ جـــ م جتا α - هـــ أ جتا α ←

$\frac{\text{هـــ أ جتا } \alpha}{\text{جتا } \alpha - 1}$

ومنه جـــ م (1 - جتا α) - جتا α هـــ أ ← جـــ م = $\frac{\text{هـــ أ جتا } \alpha}{\text{جتا } \alpha - 1}$ - نصف قطر الأرض.

ومن المعلوم أن البيروني من أبناء القرن الرابع ولد في خوارزم سنة 362هـ الموافق 973م وتوفي سنة 440هـ الموافق ل 1048 م[3].

ولما تم قياس نصف قطر الأرض فإنه من الضروري أن يكون شكلها كروي، أو على الأقل شبه كروي لدى الباحثين آنذاك، وهم أقرأ للقرآن من غيرهم. وهنا نجد قول أحد العلماء المسلمين وهو فرذاذية: «صفة الأرض أنها مدورة كتدوير الكرة، وموضوعة في جوف الفلك كالمحة في جوف البيضة، و السيم حول الأرض هو جاذب لها ومن جميع جوانبها إلى الفلك.. والأرض جاذبة... لأن الأرض بمنزلة الحجر (المغناطيس) الذي يجتذب الحديد والأرض مقسومة بنصفين

---

(1) -أحمد الحوفي. المرجع السابق. ص: 96-98.

(2) -قدري حافظ طوقان. تراث العرب العلمي.ص:124؛وبركات محمد مراد.البيروني فيلسوفا.دار سيكو.ط1(1988).ص 18.

(3) - قدري حافظ طوقان .المرجع السابق. ص: 310 ؛ والعلوم عند العرب. ص :173.

بينهما خط الاستواء وهو من الشرق إلى الغرب وهو أكبر خط في كرة الأرض»[1]، وكذلك ما قرره القزويني كان أبلغ في تصوير شكل الأرض، وحركتها حول نفسها، وحول الشمس في مدار خاص بها فقال: "والأرض متحركة دائما على الاستدارة و الذي نراه من دوران الفلك إنما هو من دوران الأرض لا دوران الكواكب...."[2].

وذهب ابن رسته (ت 903م) إلى:" إن الله جل وعز وضع الفلك مستديرا كاستدارة الكرة و أجوف دوارا و الأرض مستديرة أيضا كالكرة مصمتة في جوف الفلك... و الدليل على ذلك أن الشمس و القمر و سائر الكواكب لا يوجد طلوعها ولا غروبها على جميع من في نواحي الأرض في وقت واحد، بل يرى طلوعها على المواضع المشرقية قبل غيبوبتها عن المغربية ويتبين ذلك من الأحداث التي تعرض في العلو فإنه يرى وقت الحدث الواحد مختلفا في نواحي الأرض مثل كسوف القمر فإنه إذا رصد في بلدين متباعدين بين المشرق والمغرب فوجد وقت كسوفه في البلد الشرقي منها على ثلاث ساعات من الليل مثلا- أقول وجد ذلك الوقت في البلد الغربي على أقل من ثلاثة ساعات بقدر المسافة بين البلدين.....إلخ"[3].

ومما يؤكد أن العلماء المسلمين كانوا على وعي علمي تام بشكل الأرض وتقسيم وقت اليوم عبى وجهها، وأنهم كانوا على علم بصغر حجمها نسبة لما يحيط بها من أفلاك، وأنها متناهية الصغر لتكاد تكون نقطة؛ نجد هذا في قول المسعودي: " إن الأرض مستديرة ومركزها في وسط الفلك و الهواء محيط بها من كل الجهات وأنها عند فلك البروج بمنزلة النقطة..... إن الشمس غابت في أقصى الصين كان طلوعها على الجزائر العامرة المذكورة في بحر أوقيانوس الغربي، وإذا غابت في هذه الجزائر كان طلوعها في أقصى الصين وذلك نصف دائرة الأرض"[4].

كما ذكر أن الزمن خلال طلوع الشمس على نصف دائرة الأرض هو 12 ساعة ومسافة 13500 ميل، وهو بالتقريب نصف محيط الكرة الأرضية فعلا، وفي زمن المأمون توصل العلماء و المهندسون المسلمون إلى قياس طول الدرجة بحوالي 56.66 ميل وعليه تكون حوالي 111.815

---

(1) أحمد علامة. صور الأرض. دار الفتى العربي. بيروت. ط2(1985م).ص:35 ؛والعقاد. أثر العرب في الحضارة الأوروبية. دار المعارف. ط2.د.ت. ص: 52.

(2) أحمد علامة. المرجع السابق. ص: 36.

(3) العقاد. أثر العرب في الحضارة الأوروبية. ص: 52-53.

(4) المسعودي. مروج الذهب. تحقيق: قاسم الشماعي علي الرفاعي. دار القلم. ط1(1989م).1/86-87.

كيلومترا ومنه يكون طول محيط الأرض حوالي 41248 كلم وهذا قريب جدا من الحقيقة[1]، ولقد ثبتت بالقياسات الدقيقة أن قطر الأرض الاستوائي 12757 وقطرها القطبي 12714كلم والفرق بينهما= 42 كلم فقيمة تفلطح الأرض عند القطبين 42/ 12714= 300/1. لكن القيمة المعتمدة = 297/1 – وقياس محيط الأرض عند الاستواء = 40068 كلم، وطول المحيط عند القطبين - 40009 كلم وبذلك يكون نصف القطر الاستوائي - 6378 كلم و القطبي 6357كلم[2].

بينما يعرف المهندس إبراهيم حلمي غوري أن الخطأ الذي وقع علماء الإسلام في قياسهم زمن المأمون هو: أن قياس الدرجة عندهم كانت 56.66 ميلا عربيا أي ما يعادل 110.938 كلم و القياسات الدقيقة = 111190.55 كلم فنسبة الخطأ تكون في حدود 157.5 متر لكل درجة وبالتالي يكون المحيط القطبي لديهم=39937.3 أي بفارق 62.7كلم لأن القياسات الدقيقة =40009كلم وتعود نسب الخطأ إلى دقة صناعة الآلات التي استعملت، والمحيط الإستوائي للأرض 40068 كلم والارتياب لديهم صغير[3].

وهكذا يكون مفهوم النص القرآني لا يخالف الواقع في شكل الأرض، ولا يتعارض مع وجوب الشكل الكروي المتناسق مع حركتها حول نفسها في تبادل الليل و النهار، وجاء في ذلك بيان في القرآن:" خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ"(5الزمر)، وقوله تعالى: "وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ"(37يس) فمفهوم هذه النصوص التي تناولت تعاقب النور والظلام على وجه الأرض، للدليل من أن الحالة الأصلية هي الظلام ولذلك جاء لفظ نسلخ منه، وهذا يثبت أن ذلك ناجم عن إستدارة الأرض وهذا شكل كروي وعندما تواجه النور القادم من الشمس فيضاء وجهها بينما إذا استدارت عنه فإنه ينسلخ عنها النهار ويخلي الظلام في محله هذا بالنسبة للوجه الواحد وأما جملة الكوكب فهو على وجهين أحدهما مظلم والآخر مضاء، ويتبادل الموقع للوجهين نتيجة دوران الأرض تحدث عملية التكوير للحالتين بتعاقب وهذا ناجم عن الحركة حول النفس في موقعها خلال مدارها حول الشمس[4].

---

[1] قدري حافظ طوقان. العلوم عند العرب. ص: 75.

[2] إبراهيم حلمي عوري. الأرض. ص: 66-67.

[3] إبراهيم حلمي عوري.الأرض.ص: 63-65 ؛و Cambaluzier.C. introduction à géologie. Éd: des seuil. France. 1966, pp : 59-61

[4] منصور حسب النبي. إعجاز القرآن. ص: 148-150؛ والكون والإعجاز العلمي. دار الفكر. ط3(1996م).ص: 163-164؛ وباسل الطائي. خلق الكون من العلم والإيمان. ص: 36-38.

إن النصوص كلها تحمل دلالات ومفاهيم على أن شكل الأرض كروي لا غير وذلك من معاني الألفاظ من الجانب اللغوي، أو بما يتوصل إليه الفكر والعقل من أفعال آلية تحدث من حركيات كوكب الأرض وتعدد الظواهر الطبيعية كالكسوف والخسوف، والسير في البحر والبر وتواصل مكان وجه الكوكب بجميع جهاته، وهذا يظهر الأمر الوارد بالتفكير في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار يعني التنبيه إلى أن ألفاظ الوحي تحمل معاني متعددة، يجب أن لا نوقفها على قدرات استعابها الآني، وبالرغم من كل هذه النشاطات العلمية التي توصل إليها العلم بالدليل القاطع على أن شكل الأرض كروي، لكن الوحي لم يأت بنصوص صريحة، وقت نزوله تصرح بأن الأرض كروية والبشر آنذاك يروها مسطحة، أو يذكر حركاتها ودورانها وهم يروها ساكنة، لأن هذه الحقائق العلمية الكونية خفية عن الحواس، فكان من حكمة الله سبحانه وتعالى وإعجازه في قوله العلمي والبلاغي في الأسلوب أن نبه إلى كل هذه الحقائق الكونية العلمية بأسلوب متلائم مع القدرات العقلية، والعلمية للإنسان حينذاك مستعملا إشارات، وألفاظ لها معاني جامعة للدلالات التي تحمل مفاهيم الحقيقة العلمية الكونية، ويتحملها عقل الشخص المخاطب في أي زمان، بحيث يفهم نصوص الوحي بما تيسر له من العلم والمعارف، وحتى إذا تطورت العلوم وجد الإنسان أن في معاني القرآن ما يكشف عن تلك الحقائق، وهذا إعجاز في الأسلوب زيادة عن المعاني والمباني اللغوية المعجزة بإطلاق ظاهر النص هداية للناس. وفي مضمونه بيان لأهل العلم والمعرفة ليكشفوا عن الحقائق الكونية، ولذا "لم يكن التوصل إلى كروية الأرض أمرا سهلا ميسورا، وخاصة أن الاعتماد على الحواس وحدها دون التدقيق في الظواهر كان دائما يعطي الإنسان انطباعا بأن الأرض مستوية السطح، ولقد توصل العلم الحديث بالدليل التجريبي وبالتصوير من سفن الفضاء بأن الأرض كروية تقريبا"[1].

وأن من الإعجاز العلمي لنصوص القرآن أن نصوصه لا تعني الشكل للأرض فقط بل تعني تركيب وبنية الكوكب الخارجية والداخلية، ولذا يلاحظ أن الألفاظ التي يظهر منها الخبر بالبنية الظاهرية فهي تعني نشوء الجزء القار الذي يتخذه الإنسان مسكنا له يدخل ضمن التركيب والبنية، وأن الإشارات إليه بألفاظ تحمل معاني بيان الشكل الخارجي فهي من ضمنه.

---

[1] منصور حسب النبي. الكون والإعجاز العلمي.ص: 164.

المطلب الثاني

نشوء القارات

1- تعريف القارات: يشتق لفظ القارة من القرار والقرارة، أو السكن، والثبات والركون، وهي المكان المستوي الذي يقر فيه الناس يتخذوه مسكنا أو محلا، وكذلك تعني المكان الذي يستقر فيه الماء، كما تعني البرودة أو الموضع البارد، والقار فاعل من القر أي البارد والساكن الثابت المستقر، وقال تعالى:" وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ"(36 البقرة) أي محل، ومنزل ومكان، والقارة والقرارة: الأرض الباردة الثابتة المطمئنة اللينة[1].

وفي الاصطلاح تعني المناطق البارزة من القشرة الأرضية على سطح المياه، أو ما يسمى باليابسة في علم الجيولوجيا والجغرافيا، ويقصدون بها الأرض اليابسة التي تحيط بها مسطحات مائية محيطة، ولذا سميت أرض افريقية بقارة إفريقيا، وكذلك بقية القارات. ومن أهم مميزاتها الطبيعية أنها ذات فارق حراري كبير بين الليل والنهار وبين الفصول، وعلى هذا الأساس سمي المناخ البعيد عن تأثير المسطحات المائية أنه مناخ قاري، وتعني القارات في وقتنا الحاضر إفريقية وأوروبية، وآسيا وأمريكا وأستراليا والقارة الجنوبية القطبية[2].

2- ورودها في القرآن: ولقد جاء في القرآن ذكر القارات بوظيفة الأرض أنها مستقر كقوله تعالى: (ولكم في الأرض مستقر)، «موضع استقرار ومتاع أي تمتع»[3]. ولا يمكن أن تكون الأرض مستقرا صالحا للحياة إلا إذا كانت هي قارة أي لها صفات القرار والصلاحية التامة غير الناقصة لاستقرار البشر عليها، وتوفر جميع العوامل والأسباب الأساسية والجزئية للحياة. وقد قال تعالى:" قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ"(24-25الأعراف)، في هذا جاء الإخبار بوظيفة الأرض أولا، وهي محل الاستقرار والسكن والمأوى، وكذلك هي محل الحياة بما تحويه من تفاعلات وإمكانيات، وكذلك هي محل النهاية والموت والاندثار، ولهذا وصفها بالقارة أبلغ، وأحسن ما يقال لها لتوصيل مفهوم الأرض، وخاصة الجزء اللائق منها والمهيأ للحياة[4].

---

(1) - ابن منظور.المرجع السابق. 5/82-91 ؛والزمخشري. أساس البلاغة. ص: 361.

(2) - Paul Robert : Dictionnaire De La Langue Française. Ed 1977. pp:378.

(3) - البضاوي.المرجع السابق.ص: 4-5.

(4) - المرجع السابق. ص: 202.

ثم ألحق الوحي نصا آخر مبينا كيفية القرار في الأرض وأنها جعلت قرارا أو قارة فاستلزمت التوفير لمتطلبات العيش فيها، فقال تعالى: أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ"(61النمل)، وقال: "اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ"(64غافر)، ففي النص الأول بين أن الأرض تمت تهيئتها لتصبح قارة تحمل الأنهار والجبال وتكون فاصلا بين البحار، أو حاجزا، وفي ذلك عبر أهمها توزيع الماء واليابس على سطح الكوكب بتناسب معين؛ بحيث يكون دور الرطوبة في اليابسة فعالا، وكذلك دور اليابسة في المسطحات المائية، وأهم ما في القارات أنها حواجز بين المحيطات والبحار، وذلك لتقدير منسوب أو كمية المياه العذبة على سطح اليابسة، والمياه المالحة في المسطحات المائية، والعلاقة الرابطة بينهما بقانون دقيق، ولقد تناول النص الثاني تحسين هيئة الإنسان لتمكينه من استغلال مكنونات الأرض القارة المزودة بكثير من النعم[1]، ولقد لخص الغزالي هذا النشاط والتفاعل على الأرض في كونها قرارا، فقال: "وقد أكثر في كتابه العزيز من ذكر الأرض فليتفكر في عجائبها فظهرها مقر للأحياء وبطنها مرقد للأموات"[2].

وأكبر وأبلغ تعبير من القرآن أن جعل الله هذه الأرض قرارا للإنسان، أي جعل من وظائف قراره فيها هو استثمار مواردها، وذلك بالبحث وطلب المعارف المخصصة به، والمنوطة به، ولقد ذكر الوحي أن أوائل المهمات التنقيب للتعرف عن نشأة هذه الأرض، وكيفية قرارها وسكونها حتى أصبحت مستقرا له ولجميع عناصر البيئة المتلائمة لحياته، فقال تعالى: " أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ(19) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(20العنكبوت)، النص الأخير وضح أن الخالق خلق الأرض وما عليها على نسق معين، وبشكل محدد جعلها صالحة ولائقة للحياة، وحث الإنسان بل جعل من وظائفه البحث والدراسة في تراكيب هذه الأرض لرؤية ومعرفة أنماط تشكيلها ونشأتها، لاستغلال ذلك في استثمار مكنوناتها لتجنب الكوارث التي قد تحدث حتى يتعرف عن معالجة المواقف، ويتيقن أن الخالق هو الله الموصوف بأوصاف الكمال، وقدرته على صناعتها أولا؛ دليل على صناعتها ثانية[3]....إلخ.

---

(1) -البيضاوي. المرجع السابق. ص: 48 و5 و627 ؛والرازي التفسيرالكبير . 84/27.

(2) --الغزالي. التفكير في خلق الله. ص: 105.

(3) – البيضاوي .المرجع السابق.ص:527.

3-تطور شكل الأرض: لقد مرت الأرض بعدة مراحل منذ نشوئها وانفصالها عن غيرها، وقد استخدم العلماء العناصر الثقيلة في تحديد الفترات الزمنية التي مرت بها الكرة الأرضية أثناء تشكلها، وذلك عبر مراحل بناء قشرتها؛ لأنها هي التي تحدد نهاية سلسلة التطورات التي تم فيها بناء الكوكب، وقام علماء الطبيعة بمحاولة تحديد عمر الأرض منذ بداية تشكل القشرة فكانت المعطيات التحليلية لإشعاعات العناصر المشعة تشير إلى أن زمن، أو عمر هذه القشرة الأرضية يعود إلى ما يقارب 4 أو 5 مليارات من السنين، ولكن يبقى من الصعب تحديد تكوين قشرة الأرض السطحية بدقة، وكل ما نستطيع قوله أن هذه القشرة لا تزال تتعرض إلى تطورات تعمل على تغيير وجه هذه القشرة ولو جزئيا، مثل عوامل التعرية والبراكين، والزلازل والرياح...إلخ[1].

ولقد جاء الباحث الألماني ألفرد ويغنر(Alfred.Wegener) بفرضية تحدد تشكل قشرة الأرض وهي: لما تبردت الطبقات السطحية أدى إلى تصلب هذه الطبقة السطحية الخارجية في شكل قطعة واحدة ذات سمك رفيع بالنسبة لبقية حجم الأرض، ونتيجة لحركة الأرض بدورانها حول نفسها، وسيرها في مدارها ومور الطبقات المنصهرة أسفل تلك القشرة المتصلبة جعلتها تتشقق، وتتحرك في صورة لوحات تسبح على سطح الصهارة، وأدى ذلك إلى انهيار بعض الأجزاء مما جعل أجزاء تبرز إلى الأعلى في شكل كتلة واحدة؛ لكن تحت تأثير حركة الكرة الأرضية جعل هذه اللوحات القارية تتحرك متباعدة، مما فرقها في شكل القارات الحالية السبعة، ولا زال تأثر حركة التباعد القاري حادث إلى يومنا هذا، مما نلاحظه ابتعاد القارة الأمريكية عن القارة الأوروبية بمقدار سنتيمتر في السنة[2].

وفي هذه الفرضية يوجد توافق بينها وبين ما أثر عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنْ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا"(12 الطلاق)، قال: "ومن الأرض مثلهن سبعا ولكنها منبسطة) [3]، حتى لو ربطنا هذا الرأي بقوله تعالى في سورة فصلت الآية 11: "قُلْ

---

(1)- حسن سيد أحمد أبو العينين. كوكب الأرض. ص: 78-79؛ وأصول الجيومورفولوجيا. دار الثقافة. ط3. د.ض.ت. ص: 159-165؛ ومنصور حسب النبي. الكون والإعجاز العلمي في القرآن. ص: 178.

(2) - محمد يوسف حسن،وعمر حسين شريف،وعدنان باقر النقاش.أساسيات علم الجيولوجيا.دار جون وايلي.أنجلترا.ط(1987م).ص:173-179؛و A.Hallam. Alfred wegner et l'hypothèse de la dérivé des continents la dérivé des continents pour la science, éd : S.A.R.L,1979, pp:10

(3)ابن عباس .المقياس الموجود في حاشية الدر المنثور للسيوطي.96/6.

أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ...ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ...(9-11فصلت)، وبقوله تعالى:"أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا "(30الأنبياء)، لاحظنا أن ابن عباس رضي الله عنه كأنه قصد بقوله تفكيك سبعة أراضي منبسطة من كتلة واحدة بعد أن كانت هي والسماء مختلطين؛ أو شبه مادة واحدة ممزوجة مع بعضها، وهذا جائز وقوعه في الأطوار المبكرة من عمر الأرض، حيث كان الغلاف الجوي غير متميز عن غيره من مواد الأرض التي كانت في صورة سوائل وغازات، وبعد تبرد القشرة الأرضية بدأت عملية الفتق، ثم لحقت عملية فصل الكتلة القارة إلى قارات سبع وانفصلت عن بعضها البعض، وأثناء سيرها في الانفصال أخذ الغلاف الجوي يشكل طبقاته، وهو المقصود من لفظ السماء هنا مع بقاء المفهوم العام لمعنى السماء قائما في النص القرآني.

وذلك أن تحديد عمر الأرض المحدد بالتقريب 4.5 مليار سنة، لكن متى تبردت الأرض وأخذت قشرتها قوامها الصلب؟ وأعطت ما يسمى بالقارات أي الطبقات التي تكون لوحات متماسكة صلبة مستقرة مازال البحث العلمي سار فيه، إلا أن محاولات كشف أعماق البحار والمسطحات المائية قد يقرّب هذه الصورة؛ لأنه لا يمكن للماء أن يستقر في المناطق المنخفضة والمجوفة على سطح القشرة الصلبة؛ إلا بعد انخفاض حرارتها التي تسمح له بالتحول من الحالة الغازية إلى حالته السائلة، وقد أشارت بعض البحوث إلى أن عمر البحار حوالي 1.5 مليار سنة، وقد قام الماء بعملية نقل الحرارة من سطح الأرض إلى أعلى طبقات الجو. ثم يعود بعد التكاثف إلى سطحها إلى أن أصبحت درجات حرارة القشرة الأرضية قابلة لاستقرار الماء عليها وفيها[1].

وجاء تعقيب الخالق على ذلك كله بقوله: "مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا "(51الكهف). ولقد بين المفسرون مفهوم النص: أن هؤلاء المشركين الذين اتخذتموهم أولياء ما هم إلا عبيد كغيرهم لم يخصهم بعلم، ولله وحده شؤون الخلق والتدبير[2]، وقرئ ما كنْت على خطاب الرسول (ص) متخذا المضلين عضدا أي من يقوّيك بإتباعه[3]، وهذا لا يزال سار على المسلمين أن لا يذهبوا وراء الفرضيات؛ لأن أصحابها يستنتجون من وقائع أمامكم فأنتم وهم سواء في ذلك، أي أنهم لم يشهدوا ظاهرة

---

(1) -منصور حسب النبي. الكون. ص: 179-182؛ وحسن سيد أحمد أبو العينين. جغرافية البحار والمحيطات. ص: 118.

(2) -ابن كثير. تفسير القران. 155/4؛و الزمخشري . الكشاف.393/2.

(3) -البيضاوي. المرجع السابق. ص :395.

الخلق سابقا أثناء حدوثها، ولا يملكون قوة، أو علما زائدا عنكم يمكنهم من جعلها خاضعة لقانون طبيعي يمكن إجراء تكرارها بالتجربة، ومن ثم فهم يضللونكم لكن عليكم بالتحرز والتحقيق في كل ما يملك هؤلاء من معارف لفرزها.

ونحن أمام حسابات تقريبية في تحديد عمر الأرض والكون، فكُل هذه النتائج كلها من باب الافتراض، قد يصدق أحد وجوهها دون غيره، وحتى كيفية تطبيق ذلك الوجه الصحيح قد تحيط به ملابسات تضلل الناظر. ومنه فالبحث في هذا الموضوع لا يصل إلى نتائج حاسمة.

عند ملاحظة التعقيبات الواردة في القرآن كقوله تعالى:" سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ"(53فصلت).

يتبين أن الله جعل ناموسا لتطور المعرفة عند الإنسان سيوصله إلى حقائق كونية علمية منضبطة توضح صدق خبر القرآن والرسول لدى غير المسلمين، وتزيد المسلم تمكنا في يقينه بعقيدته، وتدليلا بقوة قناعته بها[1].

وقد قامت الأبحاث العلمية لإثبات صحة فرضية وجنر Wegner، جمع هذه الأدلة الباحث باتريك هرلي(Patrik. Hurly): إن دراسة الأحافير وتتبع حركات الكتل الجليدية أثناء انحسار الجليد عن وجه الأرض تلاحظ الأخاديد الموجودة في قارة إفريقيا لها نفس الشكل عندما توصل حافة قارة إفريقيا بأمريكا الجنوبية، أو باستراليا أو الهند، وهذا الحدث جرى منذ ما يقارب 200 مليون سنة، وذلك عند تجمع اليابسة فنحصل على كتلتين قاريتين هما كوندوانا تقع في نصف الكرة الأرضية الجنوبي وقارة أوراسيا الواقعة في النصف الشمالي، ولما ندرس الحفريات لنفس الطبقات الأرضية في شتى القارات نجد نفس الأنواع التي عاشت في عصر واحد منتشرة في القارات الجنوبية ونفس الوضع ما لاحظناه في القارات الشمالية، حيث كانت أنواع الحفريات متماثلة، وكذلك الوضع المكاني من جانب طبقة الترسب المنتمية لنفس العصر[2].

ونسبة هذه اليابسة إلى المسطحات المائية 29% وتعطي المياه نسبة 70% من مساحة سطح الكرة الأرضية، مع ملاحظة أن اليابسة في النصف الشمالي من كرة الأرض تستغل 60% والماء 40% وفي النصف الجنوبي منها 18% يابسة و82% ماء ولذا يسمى بالنصف المحيطي[3].

---

(1)- منصور حسب النبي. الكون والإعجاز العلمي في القرآن. ص: 181.

(2) -المرجع السابق. ص: 182.

(3) Patrik Hurly, Les preuves de La dérivé des Continents. Pour La Science. S.A.R.L. éd: 1979. pp : 31؛ وحسن سيد أحمد أبو العينين: جغرافية البحار والمحيطات، ص 118-120.

4- تركب الكرة الأرضية من طبقات: دراسة الطبقات التي تتألف منها الكرة الأرضية قائم على قوانين الظواهر الطبيعية التي تحدث في الأرض أو تحدث لها، وهذه الدراسات كلها مدللة بآثار تفاعلات معينة، ولقد ذكر القرآن الكريم أن الأرض مثل السماء، وقال تعالى:" اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا"(12الطلاق).

ما دام خطاب القرآن موجه إلى أهل الأرض وهي الكوكب المعروف الذي نعيش عليه، فإن مثالية الأرض تكون في هذا الكوكب، بل أن السماء المقصودة بخلقها بعد الأرض؛ هي الغلاف الجوي، إذا فالبحث العلمي يجب أن يوجه إلى طبقات الأرض، وتركيبها لا غير، وبما أن الوحي ذكر أنها من طبقات يستلزم أن تكون تلك الطبقات متمايزة عن بعضها، وكل واحدة منها لها خصائص، وبها تفاعلات وظروف، وعوامل تختلف عن الأخرى لأنه قال: (يتزل الأمر بينهن)، هذا يدل على وجود تبادل الأوامر الإلهية بين طبقات الأرض، وهذه الأوامر التي جاءت بصيغة الأمر بينهن تدل على أنها نواميس، وأشياء كأن تكون عناصر أو عوامل، أو ظروف طبيعية تحمل فعلا مؤثرا على المحل الذي توجه إليه.

وقد أثبتت العلوم الحديثة بناء على دراسة الزلازل والبراكين واستخدام الأمواج الاهتزازية تركيبة الأرض من طبقات مختلفة أهمها أو مجملها:

الطبقة العليا وهي القشرة الأرضية السطحية الصلبة التي يكون سمكها حوالي 80كلم تحت السلاسل الجبلية ويكون بمعدل 30 45 كلم[1]، تحت المناطق السهلية وبمعدل 8-3كلم تحت أعماق البحار والمحيطات وهي تتكون من عدة طبقات ثانوية أهمها:

ا- **الطبقة الغرانيتية:** عبارة عن طبقة صخرية نارية متبلورة ولونها أبيض وردي، أو أبيض لامع، أو أن يكون أيضا مشوبا بالوردي، وذلك لوجود السليسيوم والألمنيوم به.

ب- **الطبقة البازلتية:** طبقة من الصخور النارية لونها أسود، أو بني داكن يكون تحت طبقة الغرانيت، وتكون في قيعان البحار والمحيطات على عمق 200م حيث ينتهي الرصيف القاري ولا تغطيه إلا طبقة دقيقة من الطين، أو رماد البراكين[2].

---

(1)- وحسن سيد أحمد أبو العينين. كوكب الأرض. ص: 16و Dvid Lambart, Opcit, P :12-13.

(2) -إبراهيم حلمي غور. الأرض. ص: 100-101.

ج –**طبقة الموهو**: تم الكشف عنها خلال 1909 أثناء حدوث زلزال في منطقة البلقال من قبل الباحث موهو فيتشيك: Mohorovicic، يبلغ سمك هذه الطبقة بالقرب حوالي 6كلم، ذات لون أسود يقل فيها السليس وتدعى بالصخور فوق القاعدية ولها سطح داخلي متعرج نتيجة لمواجهة الطبقة المسماة بالرداء الذي يحوي النواة داخله[1].

د–**الطبقة الساترة**: تسمى بالرداء سمكها حوالي 2850 كلم لها معدلات مختلفة في الكثافة حسب العمق وهي مشكلة من طبقات أو مجالات:

– طبقة ذات سمك يقارب 300 كلم، وجميع التحركات الزلزالية تصدر عنها.

– طبقة ذات سمك يقارب 450كلم وسميت باسم مكتشفها (غو تمبرغ)

– طبقة أخيرة مواجهة للنواة لها سمك حوالي 2080كلم وتسمى باسم مكتشفها (غوليستين وهي بؤرة الحركات الزلزالية الكبرى.

– طبقة التماس وهي الوجه الموالي للنواة سمكها حوالي 20 كلم لها سطح شديد التعرج[2].

ج– **النواة**: هي مركز الأرض لها سمك بحوالي 3490كلم لها كثافة (11.5)، وتختلف نسبة العناصر المادية في تركيبة كل طبقة حسب الموقع من العمق، حيث يلاحظ في النواة أنها تتركب في أغلبها من النيكل والحديد، وأن درجة الحرارة فيها حوالي 3700°م، ويصل الضغط فيها 3800 طن على السم^2 مما يجعلها تولد المجال المغناطيسي الأرضي[3].

وهكذا يمكن أن نلاحظ تركيب الأرض مشكل من طبقات أربع رئيسية وهي السيا sial، والسيما sima، والرداء monteau، النواة noyan[4].

ولهذه الطبقات وظيفة مهمة في حفظ بنية الكوكب، وشكله والظواهر الحادثة فيه التي تجعله بيئة صالحة للحياة، ولولا تلك الأدوار التي تؤديها كل طبقة ما صلحت أن تكون مستقرة كما سماها القرآن، وتنسيق أدوارها وتفاعلها هو الأمر الذي يتزل بينهن.

ولقد جاء في القرآن قوله تعالى:" تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا(44الإسراء) و (وَمِنْ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ"(12الطلاق)، قال ابن كثير: "أي سبعا كما ثبت في

---

(1) إبراهيم حلمي غوري. الأرض. ص: 102-103.

(2) إبراهيم حلمي غوري. الأرض. ص: 102-103.

(3) المرجع السابق. ص: 105-106 ؛ وحسن سيد أحمد أبو العينين. كوكب الأرض. ص: 98؛ و David Lumbert, Opcit, Ed : 1998.pp: 13.

(4) Ibid. pp:12; et Cambaluzier.C.op. cit.pp:61.

الصحيحين ومن حمل ذلك على سبعة أقاليم فقد أبعد النجعة وأغرق في النزع وخالف القرآن والحديث بلا مستند الأرضين السبع وبعد ما بينهن وكثافة كل واحدة منهن خمسمائة عام"[1]، وجاء في حديث الرسول (ﷺ): "عن عمر بن نفيل أن رسول الله (ﷺ) قال: "من اقتطع شبرا رمن الأرض ظلما طوقه الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين"[2].

وأورد البخاري في: "باب ما جاء في سبع أرضين وقول الله تعالى الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما والسقف المرفوع السماء سمكها بناءها كان فيها حيوان، الحبك استواؤها وحسنها، وأذنت سمعت وأطاعت، ألقت أخرجت ما فيها من الموتى وتخلت عنهم طحاها دحاها، الساهرة وجه الأرض كان فيها الحيوان نومهم وسهرهم، وعن أبي سلمة عبد الرحمن وكانت بينه وبين أناس خصومة في أرض فدخل على عائشة فذكر لها ذلك فقالت يا أبا سلمة اجتنب الأرض فإن رسول الله (ﷺ) قال من ظلم قيد شبر طوقه من سبع أرضين"[3].

" وعن سالم عن أبيه قال: قال (ﷺ) من أخذ شيئا من أرض بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين"[4]

النص الأخير تضمن لفظ خسف، وهي تدل على أن الأرضين متطابقة واحدة فوق الأخرى، ومن هذا المدلول يمكن القول أن نصوص الوحي قد أشارت إلى طبقات الأرض ومكنوناتها بالجملة، ولم يفصل القرآن ولا السنة تلك الطبقات، وتركت للبحث والتنقيب الذي يقوم به الإنسان، ولا منافرة ولا خُلف بين مفهوم النصوص والواقع الذي تدل عليه الحقائق العلمية وتبقى لفظ خمسمائة سنة بين الأرض وغيرها، والمسافة المدللة بالزمن تبقى محل تساؤل عن وحدات قياسها زمنيا. وما هي السرعة التي تحدد هذا المسير الفاصل بين الأرضين؟.

وأهم ما يقع بين الأرض العمودية والأفقية- أي سواء كانت طبقات الأرض الآنفة الذكر، أم القارات وهي القطع اليابسة السطحية، أم هي غير ذلك- من أمور هو ظاهرة اندفاع المواد الصخرية الباطنية من جوف الأرض إلى سطحها مشكلة بذلك البراكين التي تعطي بعد تبردها الجبال البركانية المكونة من الصخور الاندفاعية، وكذلك حركات اللويحات القارية قديما أدى

---

(1) -ابن كثير. تفسير القران. 6/319-320، 7/26.

(2)- أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب المساقاة. باب تحريم الظلم والغصب. رقم: 1610. 3/1230.

(3)- أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب بدء الخلق. باب: 879. رقم: 1359. 4/544.

(4)- أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب بدء الخلق. باب: 879. رقم: 1360. 4/544.

إلى اصطدامها مما جعل حوافها تخضع لضغوطات عالية تؤدي إلى حدوث التواءات تجعل الأرض تنبعج للأعلى مشكلة تضاريس.

5- التضاريس: هي السلاسل الجبلية المرتفعة عن سطح الأرض، وجاء ذكرها باسم الجبل والجبال في القرآن الكريم حوالي 29 مرة وجاء ذكرها بالرواسي عدة مرات، وذكر جبل الطور باسمه المعروف به، و لم يذكر القرآن الكريم الجبال إلا لأهميتها ووظيفتها الطبيعية في توازن بنية القشرة الأرضية، ودورها في التوازن البيئي لحركيات المياه والرطوبة، وكثير من الظواهر. وكذلك الشأن بالنسبة للكائنات الحية، لحفظ التوازن البيئي، ولقد أظهرت النصوص كثير من أدوارها وأهمها حفظ بنية القشرة الأرضية، وحفاظا لتوازنها وعند دراسة وبحث نشوء الجبال على القشرة الأرضية نجد لها طريقتان أساسيتان هما؛ أولا عن طريق البراكين ولها أشكال، إما تكوين جبال أحادية، أو تشكيل سلسلة جبلية نارية، والطريقة الثانية أنها نشأت نتيجة حركات اللويحات القارية، مثل ما حدث في تشكيل جبال الهيمالايا في الهند فإنها نتجت عن اصطدام شبه جزيرة الهند لما انفصلت عن إفريقيا واستراليا وتحركت اتجاه الشمال؛ ولما التطمت بالحافة الجنوبية لقارة آسيا أحدث ذلك التصادم التواءات في قشرة الأرض أدى إلى بروز أجزاء للأعلى وأخرى غارت للأسفل، مثل الطيات التي تحدث لقطعة قماش، فشكلت هذه الالتواءات أكبر سلسلة جبلية في الارتفاع تقف حاجزا للضفة الشمالية لشبه جزيرة الهند، والدليل على أن هذه السلسلة حدث تكوينها على ردات فعل التصادم؛ وجود طبقات من الصخور الرسوبية تحتوي على أحافير لحيوانات ونباتات بحرية، ونحن نعلم البعد والمسافة الفاصلة بين هذه المنطقة والبحر[1].

ونلاحظ تكون السلسلة الجبلية الألبية نتيجة تصادم اللويحة الإيطالية بجنوب أوروبا، كما أدت هذه الحركات التكتونية للويحات القارية إلى ظهور ونشوء السلاسل الجبلية في الحواف الغربية للقارة الأمريكية نتيجة تصادمها مع اللويحة للمحيط الهادي التي اندست تحت القارة الأمريكية، وشكلت هذه الحركة السلاسل الجبلية الصخرية، وسلاسل جبال الأنديز، وهكذا تتشكل الجبال الإلتوائية في القشرة الأرضية جزءا صاعدا وآخر يكون نازلا[2].

---

(1) David. Lambert. Op. cit. pp:24; et John Dewey. La tectonique desplques.pour la sciences. S.A.R.L. éd: 1979. pp:32-44 .

(2)- حسن سيد أحمد أبو العينين. أصول الجيومورفولوجيا. ص:215-217 ، وكوكب الأرض. ص:305-320.

كما تحدث الالتواءات الصاعدة قد تحدث التواءات نازلة، تشكل خنادق واسعة، وكذلك توجد بعض الجبال المنفردة والمعزولة عن السلاسل، ولها ارتفاع عالي فهي عبارة عن براكين يوجد أكبر جبل بركاني منها على جزر هواي؛ اسمه جبل موانالوا (Mauna loa) يرتفع من قاع المحيط بحوالي 9750 متر[1]، وهكذا تشكلت الجبال، والسلاسل التضاريسية التي في غالبها توجد بين حافتي لوحات قارية وقع بينها تصادم، وهذا يجعل تركيب الجبال من صخور مختلفة التركيب الكيمياوي، ويظهر هذا في مظهرها الخارجي بلونها، فمنها الأحمر والأسود والأبيض.

لقد جاء في القرآن بيان ذلك بقوله تعالى: "...وَمِنْ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ"(27 فاطر)، النص القرآني يحفز على التدبر والنظر للبحث في سبب اختلاف ألوانها الذي يعود إلى اختلاف المواد التي تتكون منها صخورها – (فالجبال البيضاء تكون أساسا من الطباشير والحجر الجيري، والجبال السوداء بها المنجنيز والفحم والحمراء بها الحديد" [2].

وقد توجد جميع الألوان في الجبل الواحد، ويكون متعدد الطبقات المختلفة من الصخور ذات التركيب المختلف، وذلك في معنى لفظ جدد؛ أي خطط وطرائق أو حزمة ملونة يشتق الألوان[3].

كما جاءت نصوص تبين دور الجبال كقوله تعالى:" أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ "(17-20 الغاشية)، وقوله تعالى: "والجبال أرساها" (32النازعات)، توضح النصوص كيفية انتصاب هذه الجبال التي تبرز من سطح الأرض الممهد المبسوط، فتكون هي واقفة وسط هذا الاستواء، وكذلك أنها راسية؛ أي واقفة على طبقات أرضية طافية على طبقات أخرى منصهرة سائلة متحركة وهي واقفة ثابتة[4].

قال تعالى:" خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ" (10لقمان)، ثم جاءت

---

(1) -David. Lumbert. Op.cit, pp:25.

(2) –منصور حسب النبي. الكون والإعجاز العلمي في القران. ص: 183.

(3) –البيضاوي.المرجع السابق. ص: 578.

(4) – منصور حسب النبي.المرجع السابق. ص: 186.

عدة نصوص قرآنية تحمل لفظ رواسي معللا بقرينة الحفظ من الحيود والميد الذي هو الانحراف والميل عن الحالة المعتادة إلى غيرها، وهذا يتضمن عدة مفاهيم ودلالات، منها أن هذه الجبال وضعت رواسي بصورة أوتاد لقوله تعالى:" أَلَمْ نَجْعَلْ الأَرْضَ مِهَادًا. وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا"(6-7 النبأ)، فجعل منها صنف جعله الخالق أوتادا، والوتد مهمته تكمن في وظيفة هي شد شيء إلى ما هو أرسخ منه، وفي هذه الحالة تكون التضاريس التي تمسك وتشد اللوحات القارية لبعضها البعض، أو لما هو أعظم منها مثل سلاسل الهيماليا التي تشد وترسخ القارة الهندية بآسيا، كما يمكن أن تكون هذه الجبال وتدية تعمل كحاجز يشد أطراف القارات ككابح لحركاتها التباعدية، حتى لا تضطرب أو تلتطم من جهات أخرى[1].

وأما كونها رواسي فيدل على عمل منوط لهذه التضاريس سواء لما يعنيه لفظ الأرض لجزء منها، أو للتدليل على الكوكب كله.

كما أن هذا لا يصنف الجبال كل حسب مهمته التي توضحه وظيفته؛ بل قد يكون من الاحتمال الأكبر أن لكل جبل أو سلسلة جبال دوْران الأول: حفظ توازن الموضع الذي توجد فيه من الحيود والميد إلى كل ما يخل بالتوازن الطبيعي الحركي والسكوني، أو البيئي. والثاني: قد يكون لها دور في توزيع الكتلة الأرضية بشكل يجعلها تحافظ على الميل حول محورها أثناء دورانها وموضعها كيلا تحيد عنه كما تعمل الأجنحة في حفظ مركز الثقل حتى لا يخرج من ظل الجسم[2].

فحفظ الأرض لميلها بدرجة منضبطة دقيقة لا يتغير؛ مما يرسيها على مسار واحد ويجعل كمية الضوء التي تتلقاها من الشمس تتوزع على وجهها بشكل فعال في حفظ الحياة واستمرارها على الكوكب، كما أن لها دور آخر مهم في تحديد وتوجيه كثير من التيارات الهوائية المختلفة في اتجاهها، وحمولتها للرطوبة، والحرارة والضغط، وهذا ينظم العوامل في البيئة الطبيعية للحياة، وهذا نوع من الإرساء والتوازنات للأرض.

ولذا جاء الإخبار في الوحي بخلق الأرض وذلك استجابة لحب التطلع الغريزي في الإنسان، وفي الوقت نفسه حفز المؤمنين للبحث في مجال التعرف على بيئة الإنسان التي هي الأرض، وتناسق تركيبها، وتجواب مركباتها، وتوافق تفاعلات تلك المركبات لأداء وظيفة منوطة بها

---

(1) منصور حسب النبي. الكون والإعجاز العلمي في القران. ص: 185-187.

(2) المرجع نفسه.

مكملة لجميع أدوار العناصر الأخرى، وذلك تهيئة للبيئة التي حضرت لمهمة كلف بها الإنسان وهي التعبد لله الخالق.

وجعل الخالق من بين الأفعال العبادية للإنسان البحث والتنقيب في مناكب الأرض لاستثمار كل الموارد الطبيعية ضمن ووفق قوانين وضعها الله سبحانه في الطبيعة، وضبط ذلك وقومه بأحكام شرعية توجه سلوك الإنسان في التعامل مع الظواهر الطبيعية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني

تشكل الغلاف الجوي والظواهر الطبيعية

الغلاف الجوي هو الطبقة العليا من كوكب الأرض، وهو محل الظواهر الطبيعية، وهو المسئول على تطور وجه القشرة الأرضية، وكذلك هو الوسيط الذي يحمل الإنارة القادمة من الشمس مع تصنيفها ونشرها وتشتت الأشعة بطريقة تفيد الكائنات الحية، ويكون تفاعلها سوية مع بقية المركبات التي تتشكل منه القشرة الأرضية السطحية، وخاصة المسطحات المائية، وترتب دورات الماء وجميع العناصر الداخلة في بناء الأجسام الحية، وضبط تلك العلاقات بقانون يحمي تناسق عناصر البيئة ويدير أدوارها بإحكام، لذلك جاء ذكره تحت اسم السماء وذكرت أهم أدواره وربطها بالظواهر الطبيعية، ونظرا لذلك قسم المبحث لمطلبين أساسين:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول

تركيب الغلاف الجوي

إن تركيب الغلاف الجوي يتحدد بالعناصر التي يتشكل منها ونسبها وأدوارها في التفاعل مع العوامل الطبيعية التي تحدد وقوع الظواهر الطبيعية في هذا الغلاف، يحدد ذلك تعريف وخصائص هذا الجزء المهم من كوكب الأرض الذي أمتازت به عن كثير من الكواكب الأخرى، وأهم الظواهر خصوصية الأرض وجود المياه في صورة سائلة.

أولا– تعريف الغلاف الجوي:

تسميه المراجع الأجنبية أتموسفير أصل اللفظ جاء من اللغة اليونانية وهو مركب من لفظين الأول Atmos ومعناها بخار الماء والثاني Sphaire ومعناها كرة؛ أي اللفظ المركب يدل على كرة بخار الماء[1]، وبقي الباحثون يطلقون هذه التسمية على الغلاف الجوي حتى بعد اكتشاف مركباته، وأن البخار والغبار هي أجسام خليطة به[2].

في اللغة العربية تعني لفظة الجو الهواء الذي يفصل بين الأرض والسماء، ويعني الوسط أو الحيز الذي يشغله الهواء جو الشيء بطنه وداخله أي المتسع من الشيء حتى يقال للأرض المتسعة الجو؛ أي ما كان منبسطا واسعا وبارزا، وجو البيت أوسع مكان فيه[3].

وورود لفظ جو جاء مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"(79 النحل)

"في جو السماء في الهواء المتباعد من الأرض"[4] وكلمة جو من دلالاتها اللغوية تعني حيز الشيء وما دام أضيف للسماء، والسماء هنا يكون المقصود بها الغلاف الجوي، والجو هو وسط هذا الغلاف وحجمه وملآؤه.

لقد لاحظ الإنسان الغلاف الجوي وأهتم بمعرفة آثاره على البيئة، وعرف أنه هو العنصر الذي يمد الأرض بخصائص تجعلها محلا قابلا للنشاطات الحيوية؛ أي توصل إلى أنه هو العنصر الأساسي في جميع النشاطات الطبيعية، والحيوية لجميع الكائنات، والظواهر على سطح كوكب

---

(1) Albert Dauzat et Al. Nouveau Dictionnaire Etymologique Et Histoire. Larousse Pari.,éd: 1971.pp:54

(2)- إبراهيم حلمي غوري. الأرض. ص: 121.

3 – ابن منظور المرجع السابق.14/157-160.

4 – البيضاوي.المرجع السابق. ص: 362.

الأرض، وذلك أن سقوط الأمطار وهبوب الرياح كلها عوامل مؤثرة في حالة الطقس من حيث الرطوبة والبرودة والجفاف وذلك يعد العامل الأساسي المتحكم في المناخ الإقليمي؛ حيث به تحدد أنواع الغطاء النباتي والحيواني...الخ ؟ ومن ثم أعطى الإنسان لهذا الجزء من الأرض أهمية كبرى منذ القدم. [1]

وعند تتبعنا لورود هذا الجزء المهم من الأرض في نصوص الوحي نجده جاء ذكره في لفظ السماء، ولذا فإننا نقول أن معظم ألفاظ السماء الواردة في القرآن المفهوم المقصود من ورودها هو الغلاف الجوي وليس غيره، ومن ثم لا حيرة بما يفهم من الخطاب القرآني أن الأرض خلقت قبل السماء، وهذا ما يصححه العقل، والإمكان (الواقع الموجود)؛ لأنها جزء منها ويسمى سماء لأنه واقع في أطراف الكوكب السطحية لأهمية وخطورة دوره ووظيفته في حمل وتوجيه التفاعلات بين مكونات الأرض الأخرى[2].

والدليل على أن لفظ السماء معناه الغلاف الجوي قوله تعالى:" أنزلنا من السماء ماء" وقوله تعالى: "...وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ..." (125الأنعام).وهناك العديد من النصوص؛ بل أغلب الآيات التي جاء فيها ذكر السماء المراد منها الغلاف الجوي.

لقد نبه القرآن الكريم إلى البحث في كشف أسرار التحكم للغلاف الجوي في حوادث عديدة على السطح قال تعالى:" أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ" (20 لقمان)، لقد جاء تسخير ما في السماوات مجملا، ولكنه راجع إلى الغلاف الجوي حيث أن ما أورده المفسرون من تسخير للنجوم، وضوءها، والشمس والقمر[3]، فكل هذا يعود للخصائص التي أودعها الخالق في الجو ومركباته؛ ولولاها ما وصلتنا آثار تلك الظاهرات الطبيعية، أو يكون وصولها إلى الأرض غير مهيأ، ولا متوافق مع حاجات الحياة على وجه كوكب الأرض.

01-شكل الغلاف الجوي: يمتد الغلاف الجوي إلى عدة كيلومترات فوق سطح الأرض مؤلف من عناصر غازية شفافة تمرر الضوء والإشاعات لها خاصية الميوعة، أي الحركة بسهولة

---

[1] – يوسف عبد المجيد فايد. الغلاف الجوي . دار المعارف.مصر. ط(1977م). ص: 3.

[2] – منصور حسب النبي. الكون والإعجاز العلمي في القران. ص:195.

[3] – ابن كثير .تفسير القرآن.237/5.

والتمدد، والانكماش، حسب العوامل البيئية الطبيعية، وقابلية الانضغاط، والتخلخل، تستطيع أجسام هذه العناصر الغازية أن تحمل الرطوبة المائية، والكثير من العوالق، والجسيمات الصلبة الصغيرة، تزداد كثافة الغلاف الجوي كلما اقتربنا إلى سطح الأرض؛ والعكس تتناقص وتقل كلما ابتعدنا عن سطح الكوكب[1]، وقد قسم الباحثون طبقات الجو تبعا لتراكيز العناصر فيها وخصائصها الفيزيائية والكيماوية إلى:

أ-الطبقة الأولى الغلاف الداخلي:

وهذا الغلاف هو الأكثر نشاطا في حوادث التفاعلات الطبيعية، وحدوث الظواهر الطبيعية وهو مهم لتطور الكائنات، وتشكيل القشرة السطحية لكوكب الأرض.

وهذا الغلاف الداخلي متشكل من طبقات متراصفة، أو متطابقة؛ أي كل طبقة تعلو الأخرى.

الطبقة المتغيرة: وتسمى بالتروبوسفير: troposphère وتعني الطبقة المتحولة، أو المتغيرة، يتراوح سمكها عند منطقة القطبين حوالي 8 كلم، وتتزايد كلما كان الاتجاه نحو المنطقة الاستوائية حيث يبلغ سمكها حوالي 16 كلم[2]، وتعد هذه الطبقة أغنى الطبقات بالمنسوب العالي من مكونات الجو، إذ تصل نسبة الوزن الهوائي فيها إلى 3/2 من وزن الغلاف الجوي، وتعد هي محل تولد التيارات الهوائية، والرياح، وتشكل السحب، وهطول الأمطار وتساقط الثلوج والبرد، وهي المحدد المناخي للإقليم؛ لأنها هي الطبقة المسئولة عن حمل العوالق من سطح الأرض إلى أعلى، وهي المسئولة عن التغيرات الجوية المؤثرة في تحديد شكل وجه القشرة الأرضية[3].

ويصل الضغط الذي تسلطه على مساحة قدرها 1 سم^2 حوالي 1.34 كلغ بمحاذاة سطح البحر، وتمتاز هذه الطبقة بنسبة الأكسجين= 20.95% وأن تركيز النتروجين حوالي 78.8% من تركيب هذه الطبقة، وتمتاز أنه كلما ارتفع فيها العلو ازداد هبوط الحرارة إلى أن تصل 60°[4].

طبقة التروبوبوز tropopose معناها استقرار، أو الطبقة المستقرة، وتمتاز هذه الطبقة بالهدوء واستقرار الوضـــعية المناخية، وكلما توغلنا فيها ارتفاعا تقل درجـــة الحرارة؛ حيث تصل إلى -65°م.[5]

---

[1] - يوسف عبد المجيد فايد . المرجع السابق . ص:4-5..

[2] - وإبراهيم حلمي غوري. الأرض .ص: 122 ؛و David Lambert op.cit pp: 14.

وأديث راسكين العالم من حولنا. ترجمة: أحمد أبو العباس. دار المعارف.مصر. ط(1965م). ص:152.

[3] - المرجع نفسه.

[4] - المرجع نفسه.

[5] - إبراهيم حلمي غوري. الأرض . ص:124.

-**طبقة الستراتوسفير: stratosphère** وهذه الطبقة مؤلفة من طبقتين تبدأ من علو 27 كلم على سطح الأرض وتنتهي عند 56 كلم، الجزء الأول منها مشبع بغازات تكثر فيها جزيئات الكبريت وترتفع درجة الحرارة إلى حوالي 24.5 °م، أما الجزء العلوي يسمى أورنوسفير سمكه حوالي 16 كلم تتألف هذه الطبقة من الأوزون مهمته امتصاص الأشعة فوق البنفسجية ،وترفع درجة لب هذه الطبقة إلى 9°م، ثم قيد الانخفاض في أعلاها يصل 2°م كما أنها تحرق الشهب إلى تدخل مجال الغلاف الجوي للأرض[1].

طبقة الميزوسفير:وهذه الطبقة تغلف طبقة الأزون وسمكها حوالي 24كلم، ودرجات الحرارة تنخفض فيها إلى أقل 100°م تحت الصفر[2].

طبقة الأيونوسفير: Ionosphere هذه الطبقة سمكها يقارب مابين 685كلم إلى 1000كلم تغلف طبقة الميزوسفير، وتمتاز بأن ذرات غازاتها مشحونة كهربائيا؛ أي متآينة نتيجة اصطدامها بالأشعة الكونية، ودرجة حرارتها ما بين 160م°إلى 1000°م، بينما تنخفض عند حوافها السطحية الخارجية إلى ما يقارب 1°م ولها القدرة على عكس الأمواج الكهرومغناطيسية[3].

ب-الطبقة الخارجية exophere هذه الطبقة سمكها يتراوح ما بين 1300كلم إلى 6500كلم أعلى مدى لها حول المنطقة الاستوائية تمتاز هذه الطبقة بمجال مغناطيسي يعمل على سحب وإبعاد الأشعة الكونية إلى منطقة القطبين[4].

02- تركيب الغلاف الجوي:

توجد أكبر نسبة من مكونات الهواء في الطبقة القريبة من سطح الأرض نتيجة الكثافة العالية الناجمة عن الضغط المتولد عن الجاذبية، حيث تصل قيمة مركبات الغازات في هذه الطبقة حوالي 90% من كمية غازات غيرها من الطبقات الخارجية، وهذه الطبقة يغلب فيها غازي الأكسجين والنيتروجين، وأما بقية العناصر الأخرى تمثل نسب صغيرة، فلدينا نسبة النتروجين حوالي 78.8% ونسبة الأكسيجين حوالي 20.95%، والنسبة المتبقية تمثل غازات نادرة وخفيفة وثقيلة مثل CO2 غاز الفحم الذي نسبته لا تتجاوز 0.03% ،وكذلك الماء حيث تكون نسبته أكبر ما يمكن لها على وجه المسطحات المائية إذ تبلغ 5%، وتأتي بعد ذلك العوالق التي لا تمتزج

---

[1] - المرجع نفسه.

[2] - المرجع نفسه؛ ويوسف عبد الحميد فايد. المرجع السابق .ص:4-5؛ وحسن سيد احمد أبو العين. كوكب الأرض. ص:86.

[3] - وإبراهيم حلمي غوري. الأرض.ص: 129.

[4] - المرجع نفسه؛ ومنصور حسب البنى. المكون والإعجاز العلمي في القران. ص:195.

مع الهواء وإنما تبقى جزيئاتها سابحة في الفضاء كحبيبات الغبار، وبعض الجراثيم، وهذه الأجسام العالقة تزداد نسبتها حسب حالات الصحو، والدوامات الهوائية والرياح، وحسب المحتوى الرطوبي للهواء فهي ترتفع وتنخفض حسب الظروف الجوية، كوجود تيارات هوائية، ودرجات الحرارة ودرجات الضغط، ويلاحظ من التجارب أن الضغط يقل كلما ارتفعنا إلى أعلى؛ حيث تقل كمية الهواء الكثيفة فعند مستوى سطح البحر تكون 76 سم، بحيث يتلقى جسم الإنسان العادي درجة من الضغط الجوي يصل ثقلها إلى1.34كلغ على كل 1 سم^2 بمعنى أن مساحة جسد الإنسان قد تصل إلى حوالي 7000سم^2؛ فإنه يتلقى 7000x 1.34- 9380 كلغ مسلطة على جسده ،وعندما يصل الإنسان إلى أعلى بمقدار 5000م فإنه يقل الضغط إلى 38 سم ،وكلما ازداد في الارتفاع فإنه يتناقص إلى أن يصبح1% من قيمته عند سطح البحر. وهذا التناقص في الضغط يقلل من نسبة وجود الأكسجين ويقلل من قوة تبادله في أجهزة التنفس، وهكذا يشعر الإنسان عند ارتفاعه في السماء بالاختناق تدريجيا إلى مرحلة تستحيل فيها الحياة، ولقد جاء بيان ذلك في القرآن قال تعالى:" وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ"(125 الأنعام). أقصى ما يصل إليه الإنسان في الارتفاع عن سطح الأرض لا يتجاوز 10 كلم[1].

ومن خلال هذا النص نستدل أن الخطاب تضمن الإشارة إلى أمرين أولهما: تركيب الهواء ونسبة أهم الغازات فيه، وتعادلها تبعا لوزنها الجزيئي وتفاعلاتها الحيوية الضرورية، وهي نسبة الأكسجين 21% تقريبا ونسبة النتروجين 78% تقريبا، ووجود النتروجين كذلك ضروري لحياة الكائنات الحية؛ لأنه لو لم تكن هذه نسبته فإن الأكسجين سيكون له تأثير سام على التفاعلات الحيوية، فهو ملطف بواسطة نسبة النتروجين التي هي في الوقت نفسه مهمة لتخصيب الأرض وتقلل من الاحتراق التلقائي للغابات، وهذا أكبر إعجاز تظهره النصوص في بيان العناية الحكيمة التي تدير نظام سير الحياة على هذا الكوكب، ولتمام ذلك أيضا أنيط هذا الغلاف بوظيفة مهمة لحفظ البيئة.

3-وظيفة ودور الغلاف الجوي: للغلاف الجوي عدة وظائف وأدوار أهمها:

أ-توفير غازات التنفس:لولا تركيب طبقات الغلاف الجوي بنسب دقيقة ومضبطة من الغازات التي تحتاجها الكائنات الحية في أعظم عملية حيوية تدل على أن الكائن موصوف

---

[1] - منصور حسب النبي. الكون والإعجاز العلمي في القران. ص:195.

بالحياة؛ ألا وهي التنفس حيث تقوم هذه الكائنات أثناء حاجتها لأكسدة المواد الغذائية لتحريج الطاقة المخزنة في بنيتها وذلك بامتصاص أكسجين هواء المحيط بالنسبة للكائنات البرية، وبامتصاص الأكسجين الذائب في المياه من الهواء بالنسبة لكائنات المائية، وإفراز هذه الكائنات لغاز ثاني أكسيد الكربون(Co_2)، وهذه العملية منظمة من طرف التبادل الغازي أثناء عمليات البناء في النباتات، وعمليات الهدم عند الحيوانات، وبذلك تكون النسبة دوما ثابتة في تركيبة الهواء المحيط ببيئة هذه الكائنات، لا تتغير؛ وهي كما يلي:

النتروجين:	N_2	nitrogène	78.08	%
الأكسجين:	O_2	oxygène	20.95	%
الهيدروجين:	H_2	hydrogène	0.005	%
غاز الكربون:	CO_2	oxyde de carbone	0.003	%
الهليوم:	He	hélium	0.004	%

هذه التركيبة تساعد على التبادلات الغازية لإجراء عمليات التنفس بسهولة، وكلما حدث خلل فيها بنقص أحد النسب، أو زيادته وخاصة غاز ثاني أكسيد الفحم، والأكسجين والنتروجين فإن ذلك سيؤدي إلى اختلال في التوازن في الكائنات الحية[1].

وهذا ما عبر عنه الغزالي في قوله: "ولولا ذلك لهلك جميع حيوان البر وباستنشاقه تعتدل الحرارة في أجسام جميع الحيوانات، لأنه لهم مثل الماء لحيوان البحر فلو انقطع عن الحيوان استنشاقه لا تصرفت الحرارة التي في الحيوانات إلى قلبها فكان، هلاكها بسبب ذلك"[2].

قد لُخص هذا الدور في قوله تعالى: "قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا"(3 الطلاق)، وقوله تعالى: "...وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ"(61 يونس)، وقال تعالى: لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ(2-3سبأ)، وقول الله تعالى في هذا النص بيّن أن كل شيء في علمه؛ مهما كانت قيمته ومقداره صغيرا، أو كبيرا، وهذه الأمور معلومة المقادير ومتناسبة بنسب تحكمها قوانين العناية، لا تحيد مهما حدث سواء تصاعدت أشياء من الأرض إلى الجو أو حدث العكس، وذلك شملته الألفاظ: الولوج، والتنزيل، والعروج، والخروج

---

[1] – إبراهيم حلمي غوري. الأرض. ص:135؛ ومنصور حسب النبي. الكون والإعجاز العلمي في القران. ص:196.

[2] – الغزالي. الحكمة في مخلوقات الله.تحقيق: محمد رشيد القباني.دار إحياء العلوم.ط3(1986م). ص:48.

من الأرض، وإلى السماء والعكس، وهذا إجمال لأي حادث ينشأ من تفاعلات الكائنات[1]؛ بمعنى أن نقص في كميات من أي عنصر في الجو بامتصاصه بواسطة الموجودات الأرضية فإنه يقابله تعويض دون المساس بالقانون العام؛ حيث ما كان نواتج هدمٍ عند البعض فهو عنصر بناء لدى الكائنات الأخرى.

ب- حماية الأرض:

إن الطبقات العليا للغلاف الجوي لها خصائص مهمة في حرق وتفتيت النيازك والشهب؛ نتيجة ارتفاع درجات حرارتها التي يحدثها الاحتكاك القوي الناجم عن السرعة الكبيرة لهذه الأجسام المادية، ووجود طبقة الأزون التي تتوفر على مقادير هائلة من الأكسجين مما يعمل على سرعة تأكسد المركبات، وتحويلها إلى غبار، وهذا يجعلها لا تؤثر على سطح القشرة الأرضية بالاصطدام، فيخفف ذلك بتحويلها إلى غبار يهبط بسرعات منخفضة، وبطيئة، أو تبقى عالقة في الهواء فتذروها الرياح في أماكن متفرقة، وبذلك يقضى على فعل الصدمات وردات الفعل، بوساطة آلية لا تؤثر بمعدلات نسب مقادير العناصر في الغلاف الجوي، ولا على سطح الكوكب[2]، وكذلك الطبقة العليا تحمل على صد الأشعة الكونية وتوزيعها، وأشعة الشمس فوق البنفسجية المدمرة، وأشعة X فتقوم طبقة الأزون بامتصاص أكبر كم منها، وتقوم طبقة إيكسوسفير بامتصاص الخسيمات القادمة مع العواصف الشمسية وتهبطها بمقادير على منطقة القطبين وبذلك تحد من آثارها الضارة على الكائنات الحية[3].

لقد جاء في القرآن الكريم نص دل دلالة مجملة تحمل جميع المفاهيم سواء التي توصل إليها الإنسان، أم لم يتوصل بعد في شأن ما تحجزه هذه الطبقات الجوية من الأشياء في شتى صورها عن الوصول إلى سطح الأرض، فقال تعالى:" وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ"(32 الأنبياء)، وجاء التعبير بلفظ محفوظا؛ أي أن هذه الطبقات الجوية سقف وهو من طبيعته أن يحفظ ما يليه، أو يغطيه، وفي الوقت نفسه أن هذا السقف لا يتأثر بهذه الأشياء التي يصدها عن وجه الأرض ولا يحدث له تغير في طبيعته، أو وظيفته.

كما يدل النص على أن هذا السقف الذي هو: السماء، أو طبقات الجو لها دور الحماية من المؤثرات الخارجية على نظام البيئة الأرضية، وكذلك فهي عنصر مهم في تشكيلة هذه البيئة،

---

[1] - البيضاوي تفسيره، ص282.

[2] - منصور حسب النبي .الكون والإعجاز العلمي في القران. ص:196؛ و إبراهيم حلمي غوري. الأرض. ص:137.

[3] - المرجع السابق.ص:197.

وأنها أساس في دورات النشاطات والتفاعلات بين الكائنات، وذلك دليل عظيم على عظم ودقة العناية الإلهية [1].

هذه أهم الأدوار التي يؤديها الغلاف الجوي بالنسبة لحفظ البيئة على وجه الكوكب إلا أن هناك أدوار أخرى لا تقل أهمية عم سبق، ومن بين هذه الأدوار شفافية الهواء وهذا يجعله ناقلا للضوء، وتعمل تركيبته المختلفة من العناصر الأساسية والعوالق على تشتيت الضوء، بحيث تصبح القشرة الأرضية السطحية كلها مضاءة، ويجعل الأجواء التي تعلوها منارة تحت قبة زرقاء، وتحدث بهذه العملية وجود ظاهرة الشفق[2].

وتحدث عملية انتقال وجه الأرض من الحالة المضاءة إلى الحالة المظلمة ثم بتدرج، وكذلك الانتقال من مرحلة الظلام إلى مرحلة الإضاءة فإنها هي الأخرى ثم عبر تدرج يليق بتفاعلات الكائنات الحية، مع الطاقة الضوئية والاستعداد لتلقيها، أو لتوديعها، لدورة الصباح المقبل. وهذه من أهم النواميس المنظمة لفترات الإضاءة والظلام وتماشيها وانسجام الكائنات الحية مع دوراتها، وكذلك بعض التفاعلات المادية المحضة.

لقد جاءت نصوص قرآنية توضح هذه العملية بدقة كقوله تعالى:" أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"(29 لقمان).

وقوله تعالى: "فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ"(96 الأنعام)، وقوله تعالى:" خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ"(5 الزمر)، وهذه النصوص تحمل في مفاهيمها حركة الظلام والإضاءة بتعاقب منتظم منسجم مع حركة الأرض وتركيبة الغلاف الجوي لأداء الوظائف المنوطة بكل جزء من أجزاء هذا الكوكب، وقد بينت نصوص أخرى هذه الأدوار المنتظمة الدقيقة، ويسيرها ناموس محكم قال تعالى:" قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ. قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ

---

[1] – منصور حسب النبي. الكون والإعجاز العلمي في القران. ص:197.

[2] المرجع نفسه.

اللَّه يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ. وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (71 73 القصص).

هذه الحركيات لها تناغم في ترتيب وظائف وأدوار كل المخلوقات، ونبه النص هنا على التفكر والتدبر، والبحث لاستغلال القوانين التي وضعها الخالق، وذلك من النظر في صورة تعاقب الإضاءة والظلام، ولم تكن صورة واحدة منها ثابتة دون الأخرى فإن هذا من تدبير الخالق الذي جعل كل حالة نعمة فيها رحمة وعناية بالخلق[1].

وجاء في هذه النصوص لفظ التنبيه لحاسة السمع؛ أفلا تسمعون وكأن النص هنا يوضح وظيفة مهمة لهذا الغلاف الجوي التي يقوم بها الهواء: وهو نقل الأمواج الصوتية وجعلها حاسة للإنسان توصل إلى عقله معارف ومعلومات من محيطه الخارجي إلى كيانه الداخلي.

من هذه الأقوال الواردة في نصوص الوحي والظواهر المنبهة للعقل إلى البحث، يتبن أن الغلاف هو المحل الأساسي لجميع التفاعلات الحيوية، والمادية لعناصر الطبيعة الموجودة على القشرة الأرضية.

[1] – البيضاوي.المرجع السابق. ص:521.

المطلب الثاني

الظواهر الطبيعية

هي الحوادث الطبيعية التي تظهر للإحساس، فهي محسة، ولها أنواع منها الدائم المستمر في وجودنا على وجه كوكبنا، ومنها المتردد؛ أي له ظهور دوريا، أو نادر الحدوث، وكذلك منها ما هو قوة تؤدي إلى فعل بناء مساعد للبيئة، أو داخل في نظامها، ومنها ما هو مدمر في جانب من جوانب البيئة في الظاهر لنا الذي تدركه حواس الإنسان، ولهذه الظواهر قوانين دقيقة تنظم وتضبط كيفية وقوعها، أو تعد عللا توضح أسباب ظهور الظاهرة، أو فعلها الذي يحدث آثارا في البيئة. وتمتد هذه الآثار إلى التأثير في الكائنات الحية سلبا أو إيجابا، ومن ثم يلحق الإنسان ذلك الأثر السلبي أو الإيجابي، إما بالضرر أو النفع.

أولا– تعريف الظاهرة: مشتقة من لفظ ظهر المؤصل عن الظهر وهو خلاف البطن، وهو أعلى جزء بارز وبائن من الجسد على عكس البطن الذي يدل على الجزء الخفي المغطى، أو الذي يلي التحت. ومنه ظُهران وهو ما غلظ من الأرض وارتفع، والظهير هو القوي، والواضح ولذا جاء من أسماء الله الحسنى(الظاهر)، والظهر والظهيرة منتصف النهار؛ أي الجزء الأكثر وضوحا منه وأبرزه وأقواه، أو الحد لأعلى من النهار، ومن ذلك جاء معنى التظاهر أنه العون والمساندة والظهير المعين كأن المعين يمد ظهره وهو أقوى وأبرز جزء من جسده ليستند عليه غيره من يريد عونه، وكذا جاءت دلالة لفظ الظهيرة والظاهرة، أي ظاهرة فلان عشيرته، وكذا استظهر الشيء أبانه ووضحه كقولنا استظهر القرآن؛ أي قرأه وأبانه على ظهر لسانه والمظهر المصعد والوجه البائن المكشوف عكس وخلاف الباطن[1].

والظهر هو الجزء أو القسم المشرف أو السطح، وبين أظهرهم أو ظهرانيهم؛ أي موجود بين القوم والظهير المعين، ولذا يقال فلان يأكل على ظهر غيره أي يأخذ نفقة منه، ومعناها الجامع لهذه المفاهيم كلها هو البروز والوجود بوضوح وجلاء[2].

---

[1]– الفروز آبادي. القاموس المحيط .82/2 ؛ والزمخشري. أساس البلاغة . ص:291.

[2] – الزمخشري. المرجع نفسه.

أما مفهوم الظاهرة اصطلاحا هو مظهر من مظاهر قدرة الله سبحانه وتعالى، أي وقوع حادثة ظاهرة للحس لوجودها في المكان والزمان، ولها محل فيهما، وآثار تغير من الأحوال المستقرة إما تغيرا مؤقتا أو مستديما، وقد تكون هذه الظاهرة لها دورة في الزمان تعود فيها، كما يمكن أن ترتبط بغيرها من ظواهر أخرى، أي إذا حلت وحدث بعض الظواهر جلبت ظاهرة أخرى[1].

وعند النظر نجد كل ما يستدعي ويتطلب الاهتمام بالمعرفة فهو ظاهرة، وعلى رأسها ظاهرة الحياة، والموت وخلق الأشياء وأدوارها، وهيئاتها ...الخ.

لدينا نماذج لها آثار فعالة في حفظ توازن أو اعتدال البيئة على وجه كوكبنا، نص عليها القرآن لأهميتها في حياة الإنسان من جانب حفظ نوعه وتسهيل مهمته المنوط بها، وهي الاستخلاف في هذه البيئة، وقال تعالى في أهمية تحصيل المعارف: "...قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ.."(9 الزمر)، إن أهم الظواهر في الأرض هي ظاهرة المسطحات المائية وصور الماء فيها:

01-نشوء المسطحات المائية:

لقد تميز كوكب الأرض عن غيره من الكواكب في المجموعة الشمسية باحتفاظه بالطبقات الغازية أو الغلاف الجوي؛ وذلك راجع إلى حجم الكوكب وكتلته وتشكيل الطبقات المركبة للكرة الأرضية، بدء من تاريخ بداية تبردها، إلا أنه لم يقدر أحد التعرف على كيفية تشكل الماء على وجه الأرض أكان داخل صهارتها ثم بعد التبرد خرج إلى تجاويفها السطحية، أم كيف حدث هذا كله؟ يبقى غيبا؛ إلا أن هناك اقتراحات أقرب إلى وجه الحقيقة تقول: أن الماء كان عبارة عن أحد مركبات المواد الصلبة مثل مركب السليكات المميهة silicatohydraté، ثم بعد استقرار الحركات الطبقية لمكونات الأرض وانخفاض حرارة القشرة تحرر الماء في صورته السائلة فامتلأت به التجاويف السطحية؛ لأنه لو افترضنا أن الماء تركب بعملية ما نتيجة اتحاد H الهيدروجين و O الأكسجين فإنه يعترضنا عدم إمكانية بقاء H الهيدروجين في صورته الغازية؛ لأنه يرتفع إلى أعلى الطبقات لخفته والحرارة المرتفعة فيذهب بتفلته من مجال الجاذبية [2].

---

[1] – عبد العليم عبد الرحمن خضر. الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن. دار السعودية. ط1(1984).ص:10.

[2] – siredward Bullurd. L'origine des océans. Pour la sciences. s.a.r.l. France. éd:1979.pp:45-54;et Lincolt. Barnett. *Ce monde ou nous vivons. Traduit par:Denis. François. Ed:1962. pp:21.*

عند ملاحظة هذا الافتراض نجده أقرب للإمكان من غيره؛ حيث أن عمليات الإماهة لبعض المركبات الصلبة يمكن أن تحدث في حالات لا تسمح بتوفر غازي الهيدروجين والأكسجين في صورتيهما الغازية مع توفر درجات حرارية لا تقل عن 1500م° ليتم اتحادهما في جو مفتوح؛ لأنه يسمح بتفلت غاز الهيدروجين، أما انتقال هذين العنصرين عبر تفاعلات كيماوية ضمن مواد قابلة أن تتحمل درجات عالية ولا تنصهر وتتبخر حتى تحرر هذه المركبات؛ نوعا ما مقبول، وتبقى طريقة تشكل الماء على وجه كوكبا تحيطه أسرار كبيرة، وخاصة استطاع هذا الكوكب الاحتفاظ بكميات كبيرة من الماء على صورها المعروفة.

في بداية تشكل المسطحات المائية كانت اليابسة مجتمعة في قارة واحدة، ثم بعد ذلك بدأت حركات اللوحات التكتونية نتيجة تحركات حدثت داخل منطقة طبقة الرداء.

وبذلك لما كانت اليابسة متجمعة كانت المسطحات المائية متجمعة في حوض هائل يلم اليابسة، ولما بدأت هجرة القارات وانفصالها ظهرت الفراغات البينية المحيطة بالقارات وامتلأت بالمياه من الحوض الكبير الذي انحصر مشكلا المحيط الهادي.

وقد اشتقت المحيطات من الحوض الكبير بنفس الطريقة والوقت الذي تشكلت فيه القارات، حيث أدت حركة القارتين الأمريكيتين المتجهة إلى الغرب من إفريقيا، وحركة القارة الأسترالية المتجهة إلى الجنوب الشرقي، وحركة القارتين القطبيتين الشمالية لشمال والجنوبية لجنوب إلى تكوين المحيط الهادي مكان الحوض الكبير. واشتق المحيط الأطلسي بين قارتي أمريكا و إفريقيا وأوربا، واشتق المحيط الهندي بين قارة استراليا وأسيا وإفريقيا، وتشكل المحيطان المتجمد الشمالي والجنوب عند منطقتي القطبين، وقد حدث هذا الأمر منذ 165 مليون سنة حسب دراسة الجيومورفولوجية لقيعان المحيطات، والحفريات الموجودة على حواف تلاقي القارات مثل سلسلة جبال الهمالايا في آسيا[1].

وتشكلت بعض المسطحات المائية بسبب الصدوع العادية عندما ينشق لوح قاري إلى جزأين، ثم يصبح هذا الصدع بحرا أو خليجا ومن أمثلة هذه المسطحات المائية الناشئة عن ظاهرة الصدع البحر الأحمر وخليج السويس وخليج عدن[2].

---

[1] – السيد الحميلي. الإعجاز الكوني في القرآن . ص:33-35؛و Bruce. Haezem. Et Mac gegorlan. L'évolution du pacifique. Pour la sciences. S.A.R.L éd:1979.france.pp:97-105; et John. Sclater. Et Christopher. Tascott. L'histoire de l'atlantique. Pour la sciences. S.A.R.L. éd:1979.france.pp: 106-119

[2] – محمد يوسف حسن، وعمر حسين شريف، وعدنان باقر النقاش. المرجع السابق. ص،185.

بهذه الطريقة تشكلت المسطحات المائية الناشئة عن ظاهرتي الحركات التكتونية و الصدع، وهناك مسطحات مائية أخرى نشأت عن ظاهرات طبيعية أخرى؛ مثل الحركات الجليدية والأمطار، وهناك نظريات تقول أن تجويف المحيط الهادي سببه انفصال القمر عن الكرة الأرضية نتيجة الطرد المركزي الناجم عن دوران الأرض وقوة جذب الشمس، انفصلت من الأرض كتلة كروية أخذت مدارا حول الأرض، والدليل على ذلك أنه لوحظ التقارب بين محيط القمر ومحيط حوض المحيط الهادي وشكله الشبه الدائري، وكذلك أن قاع هذا المحيط مركب معظمه من طبقة السيما (sima) بينما المحيطات الأخرى تتركب قيعانها من طبقات شكلت من صخور الغرانيت والسيال (sial)، يتعاقب بعضها فوق بعض فهذا يدل على أن المحيط الهادي هو ما تبقى من الحوض الكبير، أو التجويف الذي تركه حجم كوكب القمر بعد انفصاله[1].

لقد تعددت النظريات في نشوء المياه الأولى، لكن يبقى البحث قائما في ذلك الجانب لتحديد القوانين الطبيعية التي عملت على تخريج وتوليد المياه من مركبات لأرض وأعطت لها هذا الحجم والشكل.

مرت الأرض بفترات تغير فيها مناخها إلى درجة أن حدث لها مرات ظاهرة انخفاض الحرارة؛ بحيث زحف الجليد على وجه القشرة الأرضية وغير ذلك عدة ملامح، منها تكوين مسطحات مائية، كما أدى إلى عمل أخاديد بواسطة جرف التربة، أو بالضغوطات العالية على بعض المناطق، ومثال ذلك العصر الجليدي الأخير الذي يسمى البلايوستوسين (pleistocene). حيث غطى وجه الأرض الجليد وكون كتل مائية متجمدة، ثم بعد انصهار هذا الجليد عندما ارتفعت درجات الحرارة تدريجيا، نتيجة الاحتكاك بالكتل الثلجية المنسحبة حدث حدش للقشرة الأرضية، وملء بعض التجاويف ذات المستوى المنخفض عن مستوى البحر بالماء فتشكلت بحيرات وأنهار، أثر ذلك على نوعية التربة من الجانب الطبيعي والكيماوي، وكذلك الحوي؛ إذْ انقرضت بعض الكائنات الحية. واختلفت أثار حركات الجليد على القشرة الأرضية حسب الموقع، وحسب التركيبة التضاريسية التي حلت عليها[2].

---

[1]- حسن سيد أحمد أبو العينين. جغرافية البحار والمحيطات. ص:120.

[2]- المرجع السابق .ص:132؛ وأصول الجيومورفولوجية . ص:651-708؛ وجودة حسين جودة. العصر الجليدي. دار النهضة العربية. مصر. ط(1980م). ص:15-38 و172،160.

إن ظاهرة تكون الماء على سطح الأرض له احتمالات عدة أورد القرآن الكريم إشارات إلى ذلك ولقد جاء في قوله تعالى:" وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ "(74 البقرة).

جاء النص هنا في تشبيه قلوب بني إسرائيل هذا صحيح؛ إلا أنه قد يُلوِّح النص إلى إشارة أن الصخور هي مصدر الماء في القشرة الأرضية، ولا مانع من وجود هذا المفهوم في معاني النص، وهنا يكون القرآن نبه لظاهرة مهمة حدثت في تاريخ الأرض تمنح للحياة أهم وأعظم سبب لها، مع أن قلوب بني إسرائيل في هذه القصة منعوا الحياة بقتلهم نفسا فهنا التشبيه يكون أعظم بلاغة وأوجز إشارة.

أما النظرة القرآنية الثانية في قوله تعالى:" وَأَنزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ" (18 المؤمنون)، لقد سبق هذا النص قوله تعالى:" وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنْ الْخَلْقِ غَافِلِينَ"(17 المؤمنون)، هنا ذكر سبع سماوات طرائق ذهب بعض المفسرين إلى أن السماوات السبع هي الأفلاك، أو المجرات، أو الكواكب السيارة[1].

هذا يوضح أن الماء الوارد من السماء للأرض بمعنى: أنه جاء إلى الأرض من خارجها بعد أن سويت، وأصبحت قابلة لاستقباله ومجيئه، قد يكون مماثل لعنصر الحديد الذي قدم إلى الأرض في صورة نيازك خلال مرحلة، أو طور يليق بحال الأرض والعنصر، وقد يكون نفس الحادث حدث لتنزيل الماء؛ حيث أنه يكون احتمال وروده إلى الأرض بشكل نيازك، أو كتل جليدية من الفضاء ونزلت على سطح القشرة الأرضية، وبافتراض ذلك فإن هبوط هذه الكتل عند وصولها إلى طبقات الجو حتى إذا ارتفعت درجات حرارتها وتحولت إلى الحالة السائلة أو الحالة الغازية في صورة بخار فإن هذا يجعل الهواء يتشبع بالرطوبة إلى حد معين، ومنه يبدأ البخار في التكاثف ويتهاطل على وجه الأرض ويستقر فيها كما أشار النص القرآني إلى ذلك[2]، وعقب الله تعالى بقوله:"« وإن على ذهاب به لقادرون»" بمعنى احتمال إعادة تسربه من وجه الأرض وانفلاته إلى طبقات الفضاء الخارجي ممكنة، أما قوله تعالى:" قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ"(30 الملك)، قد يشير النص إلى الفرضية التي قال بها بعض الباحثين بأن

---

[1] محمد محمود حجازي. التفسير الواضح .10/18؛ والزمخشري .والكشاف.65/4 ؛وحنقي أحمد. التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن . ص:97-98-99.

[2] البيضاوي.المرجع السابق. ص:457.

الماء تكوّن من صهارة الأرض فخرج مع الحمم إلى أن ملأ الفجاج، ويجوز أن تكون هذه الفرضيات معان لهذه النصوص؛ أي تكون كلها مرادة من خطاب نصوص الوحي، بحيث يكون جزء من الماء خرج من باطن الأرض من صهارتها، وجزء آخر تحول من مركبات صخرية مثل السلكات المميهة، وجزء آخر قد يكون جاء عن طريق كتل جليدية رشقت بها الأرض.

وهكذا امتلأت الأحواض التي أعطت البحار والمحيطات والبحيرات..الخ، ثم أصبح لهذا الماء مسالك يسلكها خلال طبقات التربة، وطبقات الجو، وكوّن جميع الظواهر اللاحقة من أمطار وثلوج، وبرد وتساقطات، ثم أنهارا جارية ومياها جوفية.

02-ظاهرة التساقط:

ظاهرة التساقط تشمل كل أنواع اطوار الماء التي تتساقط على سطح الأرض من طبقات الجو؛ وهي المطر والثلج والبرد، وتعتمد هذه الظاهرة على ظاهرة المحتوى الرطوبي للهواء؛ أي نسبة الرطوبة الموجودة في الهواء، وهذه الأخيرة تعتمد على وجود المسطحات المائية ودرجات حرارة الجو والضغط، هناك عامل مهم وهو وجود الغطاء النباتي والتضاريس.

أول عامل مهم هو تحميل الهواء بمحتوى معين من الرطوبة، أو بخار الماء، وهذا التحميل يعد خاصية أساسية في عملية دورة المياه من المسطحات المائية فيحملها الهواء الملامس لها إلى أبعاد أخرى في الجو، وعند بلوغ درجات التشبع فإنه يستدعي إخراج مقدار تشبع الكتلة الهوائية بواسطة تكاثف الماء من جديد، ومن ثم يتساقط في عدة صور أولها الندى والمطر والثلج والبرد، وعند وصوله لسطح الأرض يصبح في الحالة السائلة التي انطلق منها من الوجه العلوي للمسطحات المائية، وتكون الدورة المائية هي انتقاله من حالة السيولة التي يوجد عليها على سطح القشرة الأرضية، سواء في المسطحات المائية، أو في غيرها، ثم ينتقل إلى حالة الغازية التي يستوعبها الهواء، ثم قد يعود من جديد إلى السيولة.

تتم هذه الدورة بتحكم الطاقة الشمسية التي تصل إلى سطح الأرض في صورة طاقة ضوئية وحرارية تعمل على تمديد حجم الهواء، وتحويل الماء إلى صورة البخار، مما يؤدي إلى تشكل السحب في المستويات السفلى للغلاف، وفي الوقت نفسه تنشأ التيارات الهوائية مشكلة الرياح نتيجة لتمدد الكتل الهوائية في منطقة يجعلها تتحرك إلى اتجاه أقل مستوى حراري فتحمل معها السحب، وعند اصطدام السحب المشبعة بالأبخرة بكتلة باردة يعمل على انكماش الكتلة الهوائية،

وتؤدي البرودة إلى تكاثف جزيئات الماء الغازية بامتصاص الطاقة التي جعلت الماء ينتقل إلى الغاز من حالة السيولة فيتحول للسيولة مرة ثانية فيزداد وزنه فيخضع للجاذبية الأرضية.

بداية التكاثف تحتاج لسطح صلب تبدأ بملامسته حتى تتمكن من التماسك بين الجزيئات المائية السائلة، وهنا تقوم العوالق الهوائية بهذا الدور، وخاصة الفتيتات الملحية مثل NaCl، أو تجمد بعض الجزيئات تعطي بلورة فتعمل عمل النواة التي تلتف حولها الجزيئات السائلة فتشكل القطرات التي تتساقط على وجه القشرة الأرضية في صورة أمطار[1].

أما إذا ازداد انخفاض درجات الحرارة فإن هذا يعمل على تجميد تلك القطرات في صورة بلورات مائية جامدة متماسكة مع بعضها البعض، ونتيجة لكثافتها الأقل من الحالة السائلة وما لها من سطوح مستعرضة تراها تهبط ببطء على سطح الأرض لوجود مقاومة الهواء، والكثافة الأقل[2].

لقد جاءت نصوص متعددة تبين كيفية تشكل ظاهرة التساقط من مطر وبرد، وعدت العوامل الأساسية التي تؤدي إلى حدوث الظاهرة بكل أبعادها، قال تعالى:" وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاء ثَجَّاجًا"(14النبأ)، هذا النص لقد أشار إلى أن المطر (الماء السائل) يعصر من السحب اعتصارا، وقد جاء عن المفسرين أن الرياح تعتصر السحب كأنها تحتلبها حلبا من محتواها المائي، وهذا واضح من تدليل الظاهرة؛ حيث تقوم التيارات الباردة بتكثيف الهواء المشبع بالرطوبة مما يجعل وكأنه يعتصر ليخرج محتواه الذي كان منتشرا فيه فيتكاثف هذا البخار في صورة ماء سائل، وقوله ثجاجا، أي متتابعا قطرة تلو القطرة، حتى كأنه يسيل بتواصل[3].

أما عن قضية تشبع طبقات الهواء بالرطوبة فقد تعددت فيه النصوص، مثال قوله تعالى:" أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ"(43 النور). وقال تعالى:« اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ

---

[1] محمد يوسف حسن، وآخرون. أساسيات علم الجيولوجية.ص:120-121 ؛ويوسف عبد المجيد فايد. الغلاف الجوي . ص:56؛و-Monique sicard. L'étatment cycle de l'eau. éd:1987.Femand Nathan. France. pp :44--45.

[2] - Monique sicard. Op. cit. pp:46-49.

[3] – ابن كثير .تفسر القران.7-108 و109؛ وابن أبي الدنيا المطر والرعد والبرق والريح.تحقيق: طارق محمد سكنوع الغمودي. دار ابن الجوزي . ط1 (1997م). ص:100.

عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ"(48 الروم). أي أن الله هو الذي يسلط تيارات هوائية على المسطحات المائية فتشبع وتكون سحبا يبسطها الله على مستوى معين في الجو، ثم يعيد عملية التكثيف للماء فتصبح ودقا؛ أي قطرات كبيرة من بين هذه الكتلة الهوائية المشبعة بالرطوبة[1].

ويزجى أي يدفع بتحريك أو تجميع الكتل الهوائية المشبعة بالرطوبة فيركب الله منها كتلة سحاب بعضها فوق بعض، ثم يسوقها الله إلى أماكن ليعيد عملية التكثيف، وهي عكس التشرب بالرطوبة، ولذا قال الودق وكأنه يُجمع بالضغط، ثم يصبح له حجم قطرات المطر التي تساقط على وجه الأرض من جديد[2]، وهكذا يكون قانون الدورة المائية بين تشبع الهواء بها، ثم تكثيفها في صورة سحب وتساقط، ثم تعود إلى مصدرها وخزانها العظيم الذي هو المسطحات المائية المكيفة بنسب من الأملاح لتعمل بتوازن مع قوة التبخير وقوة الامتصاص لها[3]؛ بحيث تقوم كمية الملح في مياه المحيطات والبحار بشد الماء إليها وتقلل من سرعة التبخر، ولذا نبهت في هذا الأمر نصوص أهمها قوله تعالى:" وَأَنزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ"(18 المؤمنون)، وقوله تعالى:" وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ"(22 الحجر)، هنا النصوص دلت على تنظيم الدورة المائية وفق قانون يختزل أمورا كثيرة تعيق نشاط الإنسان، ومن أهمها لم يجعل الله كلفة ومشقة تخزين الماء العذب الصالح للاستعمالات اليومية اللازم للنشاط الحيوي للإنسان وغيره من الكائنات الحية على كاهل البشر؛ وحتى نظام التوازن البيئي جعله الخالق في مقادير الاحجام والأوزان وحركة التيارات الهوائية، والمائية، فضمنه سبحانه في عملية دورة المياه الطبيعية التي تغني عن التخزين والتحديد في الوقت نفسه[4].

وهذا من أهم مظاهر العناية في خلقه بواسطة ضبط هذه الظاهرة بقانون لا يتبدل ولا يوجد فيه عنت، أو معاناة وضيق؛ بل جعل هذا القانون يسير وفق ترتيبات تجعله من الجانب النفسي مبهجا، ومنشطا للحبور النفسي بمظاهر عمليات سريان هذا القانون ابتداء من منظره إلى أثره الحسي في المحيط بتغير وجه التربة بنمو النباتات وجريان الجداول والعيون.

---

[1] –منصور حسب النبي . الكون. ص:208.

[2] – عبد العليم عبد الرحمن خطر الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن . ص:20، والإنسان في الكون من القرآن والعلم ص:250-257.

[3] – منصورحسب النبي. الكون. ص:204-205.

[4] –المرجع السابق. ص:205-207.

3- ظاهرة الرياح:

تعد ظاهرة الرياح أهم الظواهر الجوية التي تحدث على سطح الأرض وفي طبقات الجو وهبوب الرياح؛ وهو عبارة عن تحرك كتلة هوائية في صورة تيار لإعادة التوازن بين منطقتين مختلفتين في الضغط الجوي، وتنسب الريح إلى الجهة التي تهب منها، فإذا كانت تهب من المشرق تسمى ريح شرقية أي أنها آتية من الشرق[1]، وسبب هبوب الرياح هو دفع الكتل الهوائية نتيجة للتدفق من المنطقة ذات الضغط المرتفع إلى المناطق ذات الضغط المنخفض؛ أي عبارة عن إعادة توازن في كثافة الهواء بين المناطق، وتتأثر حركة الرياح بواسطة حركة الأرض حول نفسها ولذلك توجد مسارات للتيارات الهوائية، أو الرياح في مسارات ليست خطا مستقيما[2].

كما تعمل التضاريس على إعاقة سرعة الرياح، وتغيير اتجاهها وتخفيض سرعتها، بحيث نلاحظ سرعة الريح تتضاعف إذا ما ارتفعنا عن سطح الأرض أكثر من 8 أمتار.

تؤدي حركة الرياح إلى نشوء الكثير من الظواهر الأخرى على سطح القشرة الأرضية وعلى المسطحات المائية، حيث تحت الصخور بواسطة الحبيبات التي تحملها أثناء هبوبها مما يؤدي إلى تكون أو تشكل بعض التضاريس، وخاصة في المناطق الجافة الصحراوية.

وهناك ارتباط لبعض الرياح بالمواسم السنوية؛ حيث تختلف اتجاهات الرياح وشدتها وأثارها على البيئة.

ولنعلم إن طبقة تربوسفير Troposphere تحتوي على أربعة أخماس كمية الهواء في الغلاف الجوي، والطبقة التي تعلوها المسماة بالتربوبوز tropopose رياحها شديدة تصل سرعتها إلى أكثر من 200 كلم /ساعة، وتصل أحيانا إلى 500 كلم /ساعة ولها تاثير على مناطق الضغط في الطبقة المواجهة لسطح القشرة الأرضية[3].

ومن أهم أثار الرياح هي تغير درجات الحرارة للوسط الذي تنتقل إليه، وتحميل الجو بالعوالق كالغبار والبخار والكائنات الحية الدقيقة، ولقاح النباتات والبذور، وهباب الدخان، وهذه العوالق تسبب انعكاس الأشعة وامتصاصها جزئيا، فهذا يؤثر على درجات الحرارة المنبثقة من الشمس ويعطي للسماء لونها الأزرق[4].

---

[1] - يوسف عبد المجيد فايد .الغلاف الجوي. ص:26-27.

[2] - المرجع نفسه؛ وحسن سيد أحمد أبو العنين . كوكب الأرض. ص:363.

[3] - أديث راسكين. العالم من حولنا. ترجمة: أحمد أبو العباس.دار فرانكلين. القاهرة. ط2(1965م).ص:149-154.

[4] - المرجع السابق. ص:162-164.

وإثارة الطبقات والكتل الهوائية يؤدي إلى ارتفاع الحرارة وانخفاضها؛ مما يولد حركات تؤدي إلى نشوء العواصف، والدوامات، والأعاصير، والعواصف الرعدية، التي تتكون من التيارات الصاعدة والنازلة التي تعمل على احتكاك القطرات المائية المحملة والعوالق فيجعل لها شحنات كهربائية عالية الفوارق؛ مما يحدث الانفراغ الكهربائي الذي يستفرغ الشحنات الموجبة في السالبة فتظهر ظاهرة البرق والرعد، مع أن الهواء في أصله عازل لا ينقل الكهرباء إلا أن شدة الحركة تولد احتكاكا قويا يؤدي إلى شحن العوالق، وخاصة الماء، وإلى تأين الهواء؛ ولذلك يرى خط البرق يتبع حدود السحابة التي تحمل شحنات مخالفة للمجاورة لها، ويؤدي الانفراغ الكهربي إلى تركيب بعض المركبات وعلى رأسها الماء وحمض النتريك بواسطة ضم ذرات من النتروجين إلى جزيئات ماء، وعند تراجع الهواء لملء محل التفريغ تلتطم سطوحه محدثة أصواتا هي الرعد[1]، فعند تساقط الأمطار من الغيوم الرعدة تكون محملة بحمض النتريك، الذي يعمل على تخصيب التربة بتوفير النتروجين في صورة أيونات، أي شوارد تستطيع التفاعل مع مركباتها العضوية، سواء كانت تلك المركبات العضوية مواد ميتة مثل طبقات معادن الطين، أم الكائنات الحية الدقيقة من فطريات وطحالب وبكتيريا وديدان، فإنه يمكنها التعامل معه مباشرة. ولذلك لهذا العنصر دورة في الطبيعة يتحكم فيها الجو وله دور في تركيب التربة العضوي والحيوية[2].

كما للرياح دور أخر مهم في تهوية التربة؛ حيث تؤدي حركته إلى سحب الهواء داخل التجاويف وإبداله بهواء جديد، مما يساعد على تنفس كثير من الكائنات تحت سطح التربة، وجذور النباتات. لدينا تركيب الهواء تحت سطح التربة بمقارنته مع تركيبة الهواء الجوي.

	الهواء الجوي	الهواء تحت التربة
الأكسجين	21.6	%20
النتروجين	78.03	%78.6
الأرجون	0.95	%0.9
غاز الفحم	0.003	%0.5

[1] - أديث راسكين. المرجع السابق.ص:168-169، و Lincoln.Bernett. op. cit. pp:64-70.

[2] - فورث.هـ.د.،وتورك.ل.م.أساسيات علم التربة.ترجمة :صالح محمود دميرجي،وعبد الله نجم العاني.بغداد.ط(1978م).ص:137-143؛وفواد الكردي.كيمياء الأراضي وخصوبتها.دار خالد ابن الوليد.ط2(1977م).ص:423-435.

نلاحظ هنا زيادة غاز الفحم إلى نسبة عالية 0.5% ومن ثم الحاجة للتهوية ضرورية وعند زيادة عمق التربة فأن هذه النسبة ترتفع إلى 0.8%، وإذا وصل العمق 12م فإنها تصبح 2% هذا في التربة الرملية النفوذة للهواء، أما إذا كانت التربة طينية تصبح النسبة 6.2%، وما دام للتركيب الغازي لهذه العناصر داخل التربة أهمية حيوية؛ فإنه في حاجة إلى تجديد لحفظ النسب المعتدلة مع نشاطات الكائنات الحية[1].

ولقد تنبه العلماء القدماء إلى دور الرياح في نشوء الأمواج وتشكيلها، وقد حددت أحوال البحار وسطوح المياه من جراء حالات الأحوال الجوية، فكلما زادت سرعة الرياح تزداد آثارها على تكوين أمواج البحار، وحديثا تطورت الكشوف العلمية ووضحت عمليات تكوين الأمواج العالية والطويلة بسبب سرعة الرياح والتطامها بسطوح المياه[2].

ولفعل الأمواج دور فعال في تهوية مياه البحر؛ أي تعمل على إذابة الأكسجين في الماء وتحريكه لتوصيل نطاف النباتات والحيوانات البحرية، حتى يتم تلقيحها وتستمر دورات حياتها. وللرياح دور مهم في تغير المناخات الإقليمية، كما أنها هي العامل لأساس لنقل أنواع الجراثيم من بيئة لأخرى لتلقيحها وتطعيمها بنوع من هذه الكائنات الدقيقة، فإنها عامل مهم لنقل أنواع الترب: كالرمال من منطقة إلى منطقة، أو نقله عبر العواصف من قطر صحراوي إلى قطر آخر طيني فتعمل على ترميله بكميات مهمة في تحسين المستوى النوعي: من حيث زيادة تهوية التربة، وزيادة نفاذيتها جزئيا، وفي المحيطات تعمل على نشوء التيارات المائية الكبيرة المهمة في دورات حياة كثير من الأحياء البحرية، ولها أهمية في جيومورفولوجية البحار والمحيطات[3].

ذكر القرآن ظاهرة الرياح في نصوص عديدة وتحت أسماء مختلفة، وعند تتبع هذه الرياح نجدها هي أصل جميع الظواهر التي تحدث في الغلافين الجوي والمائي، وأنها تعد طاقة متحركة لها أثار في تشكيل القشرة الأرضية من ناحية المنطقة السطحية الخارجية، قال تعالى:" وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ"(فاطر) .

---

[1] – عبد المنعم بلبع. خصوبة الأراضي والتسميد.دار المطبوعات الجديدة. ط(1973م). ص:95-98.

[2] – حسن سيد أحمد أبو العينين.جغرافية البحار والمحيطات . ص: 238-239.

[3] – المرجع السابق .ص:242-248.

هنا النص القرآني وضح كيفية أنه لو لم يكن الريح وما أُتي من خصائص وصفات لما كان هناك سحاب، ولا مطر ولا ظاهرة نبات، ولا ظاهرة جريان مياه على سطح الأرض، واستعمال لفظ تثير أي تظهر بحركة؛ أي كأنه كان ساكنا مركزا في محل واحد، أو على حالة واحدة فجاءت الرياح فأثارته، أو نشرته داخل حيز غير حيزه الأصلي، والمعنى هنا عكس العصر أو الإعصار الذي مفاده اللم والضغط والانكماش، فهي تحمل معنى التحميل والتمديد داخل حاملة، وهذا أبلغ دلالة على قدرة الرياح في تبخر الماء وتحويله من السيولة للغازية ليسهل حمله وفي نفس الوقت يكون نقيا متخلصا من العناصر الثقيلة الذائبة فيه، أو العالقة به فهي صورة حمل بعد تنقية، ثم تحمله الرياح في صورته التي يمكنه أن يتجدد بها في موضع آخر من قشرة الأرض [1].

جاء ذكر ذلك أن الله سبحانه وتعالى سخر الرياح وجعلها هي السبب في امتصاص الماء من الخزانات الكبرى (المحيطات والبحار) بطريقة يصعد إليها نقيا طاهرا من جميع الشوائب التي تكون قد علقت به في محله أو أثناء طريقة إلى تلك الخزانات، حيث يتشرب الهواء الرطوبة في أبسط صورها، ثم يجمعها جزيئا جزيئا؛ حتى تصبح طبقات فتحركها الرياح إلى مواقع على سطح قشرة الأرض فتعيدها إلى حالتها السائلة فتحدث ظاهرة تساقط المطر والثلج والبرد من ماء نقي صاف طاهر بل طهور لغيره[2]، قال تعالى:" وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا(48 الفرقان).

الظواهر كلها مترابطة ببعضها الواحدة سبب للأخرى، أي كل ظاهرة لها عمل في البيئة يؤدي على ظهور سبب آخر، قد يكون شرطا في تفعيله، والأرض تحمل بمكوناتها صفات تؤهلها إلى التفاعل مع آثار الظواهر لإنتاج ظاهرة أخرى: كقوله تعالى:" وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا"(13-14 النبأ)، الجمع بين النصوص السابقة وهذا النص الأخير يوضح بجلاء الربط بين آثار الشمس بواسطة طاقاتها المختلفة من ضوء وحرارة...الخ على الترابط بين الظواهر وتفاعلاتها، فالحرارة هي الأصل المحركة والمحدد للهواء والمحول للماء من السيولة إلى الغازية والضوء هو العامل الأساس لتفعيل النباتات في إتمام الدورة وهكذا[3].

---

[1] – منصور حسب النبي. الكون والاعجاز العلمي في القران. ص: 203.

[2] – ابن كثير تفسير القران.94/5.

[3] – منصور حسب النبي. المرجع السابق. ص:204-205 ؛ والرازي . التفسير الكبير.256/27-260.

وقال تعالى:" وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ(22 الحجر) جاء ذكر الرياح بصيغة الجمع، وكذلك صفة التلقيح وذلك لعدم التخصيص، والمراد منه هو تعميم الصفة وتعدد الموصوف الذي هو الرياح؛ أي أن لكل تلقيح ريح خاص به، أو يوجد بينهما مشاركة في بعض المجالات دون الأخرى، فهي تلقح السحب بالرطوبة، أو بحبيبات الغبار التي تصبح نواة تكثف الماء حولها، أو أنها تخفض درجات الحرارة في السحب فتعمل على تكوين بلورات ثلجية تجذب إليها جزيئات الماء مشكلة حبات المطر التي يثقل وزنها فتهوي تجاه الأرض. وكذلك أنها تؤدي وظيفة التلقيح الذي يحدث بين نطاف النباتات في البر والبحر، وحديثا تم كشف أنها تلقح بعض المواطن بلقاح الكائنات الحية الدقيقة؛ مثل جراثيم الفطريات والبكتيريا والطحالب، مما يعمل على استكمال دور الطبيعة في إيجاد البيئة المناسبة[1].

قال تعالى:" وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا. فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا. فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا. إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (1-5الذاريات)، لفظ الذاريات يعني الرياح؛ لأنها تولد طاقة تحمل ما تذروه، وهو ذر وتشتيت حبيبات التراب، ويقصد بها كل ما له صفة التذرية، أي إصدار الذر والذرات الشيء الذي له قدرة يمتلكها في توليد أشياء أخرى. ونص الوحي عن بعض ما تصدره الرياح وهو ما تحمله من الرطوبة. ثم تتحول لسحب، ثم لغيوم تدري المطر والثلج والبرد.

كذلك ما تذروه الرياح من توليد لطاقات تحرك بها السفن الجاريات بيسر، أي تدفعها، وهنا جاء التعبير عام بقوله : فالجاريات يسرا.دون تحديد ما هو الذي يجري ولا تحديد لموقعه الذي يجري فيه، فهو شامل لجميع المتحركات التي كان أو يكون سيرها يسيرا[2].

ونحن في زماننا نعلم أن علم الحركيات الآلية كله يعتمد على الضغط الغازي بتحويل الوقود إلى قوة ضاغطة بواسطة التفاعلات، أو التحولات التي تنتج غازات ذات حجم أكبر بعدة مرات من حجمها قبل التفاعل، تستغل هذه الظاهرة على أن تكون دافعة، أو مدورة، أو حاملة لجزء المراد تحريكه. فمنها محركات السيارات والطائرات والصواريخ...الخ. كل الآلات تعتمد على قوة الرياح. وقد أشارت نصوص الوحي للقوة التدميرية للرياح قال تعالى:" وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ الرِّيحَ الْعَقِيمَ. مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ(41-42الذاريات)،و قوله:" وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ"(6 الحاقة)، في هذه النصوص بيّن الله سبحانه أن للريح قوة مدمرة تالفة لكل شيء سلطت عليه دون استثناء فلفظ صرصر تفيد صفة الريح

---

[1] - ابن كثير . تفسير القران. 4/6-7؛ وعبد العليم عبد الرحمان خضر.الظواهر الجغرافية بين العلم والقران.ص:21-24.

[2] - البيضاوي .المرجع السابق.ص:690 ؛و الرازي. التفسير الكبير.28/196،195.

المدمرة فمعناها الصر البرد الشديد، أو أن لها صوتا من شدة نسفها للأشياء فتحدث قرقعة لها دوي هائل، وهو الآخر جزء من قولها التدميرية؛ حيث تعمل طاقة الأمواج الصوتية إلى تحطيم كل الأشياء التي تصدمها، وقوله العقيم صفة مبالغة فاعل؛ اي أنها عكس وضد للوافح، أي الذي يبيد الحياة، اي يعقم الوسط من الاحياء[1].

لقد نبه الوحي إلى أن أعظم مصادر الطاقة هي الرياح، وأنها يمكن أن تحمل السوحهين المتضادين في الطاقة. إما حسب الاستعمال وذلك تبعا للمحل الذي تستخدم فيه. أو إما لصفة مثل أنها سبب لرفع الحرارة وأنها سبب لخفضها. فلاشك أن القوة الشاغلة فيها قد تستخدم لإنجاز العمل، أو لتحطيم الأشياء المقومة. وجميع محال ورود الرياح في القرآن بصيغة الجمع دلت على استثمارها في المنافع، وأنها حادث مستخدمة في التدمير بصيغة المفرد. ودلت أن الوحد الخير متعددة وواسعة وشاملة حتى في مجالها التدميري. اي حينما تستخدم بقضاء على شيء صار فهي ذلك خير؛ أما دلالتها بالإفراد في عمل التدمير لأنه عمل واحد لا تعدد فيه. ومنحصل القول أن ظاهرة الرياح في الأرض تحكمها قوانين قائمة على عوامل طبيعية ومادة اساسية وهي الصورة الغازية لتمر كبات والعناصر المادية. وأن هذه الظاهرة هي الأساس الفعال في جميع الظواهر الأخرى الموجودة في الأرض.

وبذلك تنظم حركيات وآليات التفاعل بين مركبات البيئة التي خلقها الله سبحانه وتعالى وأعدها للإنسان؛ بحيث تكون جميع المركبات متوازنة بقدر. اي بنسبة دقيقة تؤدي وظيفتها دون زيادة مثقلة، او تقليل مخل بدء من حجم الكرة الأرضية ووزنها. وحركتها حول نفسها وفي مسارها حول الشمس. وبعدها عنها وتشكيلة بطنها وسطحها، وتوزع مواد قشرتها بنسب دقيقة من يابسة إلى ماء إلى جو وأن هذه المركبات ادوار متكاملة فيما بينها وبين حركات الارض وبعدها عن الشمس بدقة متناهية. وكذا الظواهر الموجودة في أعنفة الأرض فإنها تعد البيئة الطبيعية الصاحة لنشوء الحياة واستمرارها على الدوام تحت قانون محكم في الكميات والكيفيات، مع حفظ التوازن التلقائي؛ الذي يعدل الغلو ويرجع التفريط في شتى جوانب وحالات وظروف وعوامل التفاعلات وارتباطها بعلل لا تتأخر عنها معلولاتها.

وهذه البيئة التي هي الأرض من المحتمل الأكبر عدم تكرارها في محيطها من الكواكب ولذا كان إعدادها فريدا لا مثال له فسبحان الخالق من غير مثال سابق.

---

[1] - الرازي. التفسير الكبير.27/112-113 ؛والبيضاوي.المرجع السابق. ص:693-755.

الفصل الرابع

خلق الكائنات الحية والإنسان

يتكون الفصل الرابع من مبحثين في كل منهما مطلبان:

المبحث الأول: خلق الكائنات الحية

المطلب الأول: خلق الأحياء الغيبية

المطلب الثاني: خلق الكائنات المحسة(النبات والحيوان)

المبحث الثاني: خلق الإنسان

المطلب الأول: خلق آدم عليه السلام.

المطلب الثاني: تخليق بني آدم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بعد تناول المخلوقات المادية الأساسية للبيئة وإعدادها بواسطة الظواهر الطبيعية، والنواميس التي تسير تفاعلاتها، وتجعلها وسطا صالحا يتحمل وجود الكائنات الحية المركبة من العناصر المادية البيئية وأرواح و طاقات زائدة عن خصائص المادة تجعلها تتميز بظاهرة الحياة عن وسطها الذي تتخذه مأوى تستقر فيه، وتكون في الوقت نفسه جزء منه، أو عنصرا فيه تأخذ منه حاجاتها وتمده بمتطلبات لغيرها، وقد قسم هذا الفصل إلى مبحثين؛ الاول خاص بخلق الكائنات الحية والثاني خاص بخلق الإنسان.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول

خلق الكائنات الحية

هي الكائنات التي تتركب أجسامها من العناصر المادية المتوفرة في المحيط، إلا أنها تمتاز عن الكائنات المادية الصرفة بوجود طاقة ذاتية تنجز أفعالا وسلوكا تلقائيا، وبذلك فهي تمثل ظاهرة الحياة، التي تعد من أعظم الأدلة وأوضحها على آثار صفات الله بأنه خالق. وقد سخرت هذه المخلوقات للإنسان وجعلت من ضمن عناصر بيئته التي يعيش فيها، وهذه المخلوقات على صنفين منها المخلوقات الغيبية الخارجة عن الإحساس والإدراك (كالملائكة والجن...) ومنها المحس كالنباتات والحيوان. ومن ثم قسم المبحث لمطلبين لكل صنف مطلب.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول

خلق الكائنات الغيبية(الملائكة والجن)

هي الكائنات الحية الغيبية العاقلة التي لا يعرف منها إلا ما بلغ الوحي به، لدينا صنفين هما الملائكة والجن، الصنف الأول له حياة خاصة محددة بوظيفة معينة، وهذه المخلوقات خارج الحس البشري لها نظام خاص بها وهي في حد ذاتها مصنفة حسب أدوارها، أما الجن فهم صنف من الكائنات العاقلة الحية المكلفة بتطبيق الشرائع التي جاء بها الرسل عليهم السلام المعروفون بالنص القرآني.وهم من المخلوقات التي لا يمكن رؤيتهم أو الإحساس بهم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا- الملائكة:

جاء في نصوص القران ذكر الملائكة بصيغ المفرد والمثنى والجمع، تكررت صيغة المفرد 13مرة، ومرتين بصيغة المثنى، و73مرة بصيغة الجمع، وأصل لفظ الملك في اللغة جاء من أصل لفظ ألك: بمعنى أرسل ولاك الشيء أي مضغه، وكذلك الرسالة يألكها ناقلها، كما يألك الجواد اللجام، مفهوم الملك هو الرسول المخصص بحمل رسالة وتبليغها، وجمعت على مفاعل: ملائك، أو ملائكة.[1]

بيّن النص القراني وظيفة الملائكة في قوله:" الْحَمْدُ للَّه فاطِرِ السَّماواتِ والأَرْضِ جاعِلِ الْمَلائكةِ رُسُلا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاث وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قديرٌ(افاطر)، من مفاهيم النص؛ أن الملائكة خلق من المخلوقات الخاصة، أي كل واحد أو مجموعة لها وظيفة، أو دور تقوم به، وذلك في لفظ جاعل الملائكة رسلا، سواء كانت الرسالة وساطة في نقل خبر، أم في نقل أمر أو حتى توقيع فعل.

من حكمة الله وإرداته أن جعل هذه الخلائق لا يقدر على معرفتها، وفي الخبر أن للملائكة أجنحة متعددة وهي وسائل للحركة في اتجاهات مختلفة، ما دام أنهم من عالم الغيب تكون تلك الأجنحة قدرات، أو طاقات متاحة لكل نوع منهم تؤهله لوظيفة ودور خاص به[2].

هذه المخلوقات في عالم غائب عنا، جاء الأمر في الوحي بالإيمان بها وحوبا، والإيمان بوجودها وبدورها دون تحديد ماهيتها فهي شيء نفسي عقلي، وليس حسيا: أي أن الإحساس بهم عن طريق أي حاسة نسبة للإنسان العادي الطبيعي غير ممكن، أما بالنسبة للرسل فذلك شأن آخر ولقد ذهب الفلاسفة إلى القول: أن الملائكة هم العقول المجردة والنفوس الفلكية شأن الملائكة في الكون كالنفس في الجسد فهي تدير تصرفاته، ولها قوة طبيعية وحيوانية ونفسانية بحسب كل عضو في جسد الإنسان، لكن لم يثبت أن أدرك شخص النفس إدراكا حسيا طبيعانيا، و لم يقدر أحد على نكرانها لعلمه علما داخليا فطريا بأن له هو نفس مغايرة للجسد المادي، فكذلك بالنسبة للملائكة فهم مخلوقات مسخرة لتسيير الكون نفسيا وطبيعيا، وقد قال تعالى:" يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَانُ وَقَالَ صَوَابًا"(38 النبأ).

---

[1] - ابن منظور.المرجع السابق.392/10-496،394؛ والفيروز آبادي.المرجع السابق.293/3.

[2] - البيضاوي.المرجع السابق.ص:574؛وابن كثير. تفسير القرآن.341/5-342.

وقوله تعالى:" وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ..."(75الزمر). وقوله تعالى:" وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ"(17 الحاقة)، وهكذا العالم مقسم للأفلاك لكل فلك روح تسييره، وتشرف على تفاعلاته وعلاقاته بين أجزائه وبين غيره فالبحار لها ملك والجبال لها ملك والحيوانات لها ملك..الخ[1].

1-الأصل الذي خلقت منه الملائكة:

لم يرد نص يفصل كيفية خلق الملائكة ولا الأصل الذي خلقت منه، لكن ورد حديث عن الرسول (ﷺ) في صحيح مسلم:" خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم"[2]، وروى أبو الشيخ في العظمة عن عكرمة:" خلق إبليس من نار، وخلق الملائكة من نور العزة"[3]، وقال:"خلق الله عز وجل الملائكة صمدا ليس لهم أجواف"[4].

ويبقى النور غير معلوم لنا، في عالم غيب خارج عن نطاق القوانين الطبيعية التي تحكم عالمنا بعناصره وظواهره، ومن ذلك لا يمكن تحديد وجودهم، لأنهم خلقوا لأداء مهام في هذه المخلوقات، ومن ثم لا يمكن لنا أن نجعل أو نحدد لهم بداية حسب النصوص، التي أعلنت أن حملة العرش ثمانية من الملائكة، دليل على أنهم قبل السماوات والأرض، وما دام ذلك كائن فهم قبل آدم، أي قبل وجود الإنسان أمر محقق، وكذلك قوله تعالى:" وإذْ قال رَبُّك لِلْملائكة إنّي جَاعلٌ في الأرْضِ خَليفة"(30البقرة)، وأمرهم بالسجود له عند تسويته ونضجه لما يصبح إنسانا كاملا قادرا على تحمل الكلفة الموجهة إليه؛ ألا وهي الاستخلاف، وأما عن عددهم لا يُعْلم، لأن الله قال في محكم آياته "وما يعلم جنود ربك إلا هو"(31المدثر).

وجاءت أحاديث عن الرسول (ﷺ):" ما في السماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم فذلك"[5] قوله تعالى:" وَمَا مِنَّا إِلا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ. وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ. وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ"(164-166 الصافات)، وجاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم عدة مرات أنه يقول في معنى هذا الحديث في يوم من الأيام قال لجلسائه أتسمعون ما اسمع قالوا:وما تسمع يا

---

[1] - التفتازاني.شرح المقاصد .تحقيق:عبد الرحمان عميرة.دار أمير قم.ط1(1370هـ).3/366-367.

[2] - أخرجه مسلم في صحيحه.كتاب الزهد.باب:في أحاديث متفرقة.برقم:2996. 4/2994.

[3] - أبو الشيخ. العظمة.رقم:6/313.ص:118.

[4] - المرجع السابق.رقم:9/316.ص:118.

[5] - أبو الشيخ . المرجع السابق. برقم:14/510. ص:180.

رسول الله قال أطت السماء وحق لها أن تئط ليس منها موضع قدم إلا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد ثم قرأ:"وإنا لنحن المسبحون"[1].

أفادت هذه الأحاديث أن لكل ملك ذات مستقلة عن غيره؛ أي أنه وحدة قائمة بذاتها ،وأن هذه الذات تشغل حيزا من المكان في السماء والأرض، لكن شغلها هذا الحيز لا على طبيعة المخلوقات المحسة التي تملأ مكانا قدر حجمها يحدد ذاتها وما ينتمي إليها، وما هو متميزا عنها؛ أما الملائكة قد يكون على هيئة أخرى وصفات مغايرة للمحسات.

لقد روى أبو الشيخ في العظمة: أن الرسول (ﷺ) وصف رؤيته لجبريل عليه السلام فقال: "رأيت جبريل منهبط قد ملأ الخافقين عليه ثياب سندس معلق بها اللؤلؤ والياقوت"[2].

ومن خلال الأحاديث أن كل ملك يخلق مباشرة دون توليد من شيء آخر، ولذا جاء في الصحيح أن الرسول (ﷺ) ذكر هيئة جبريل عليه السلام التي خلق عليها مرتين، وهذا يفيد أن للملائكة القدرة على أخذ أشكال متعددة غير الشكل الأصلي لها. عن مرزوق قال: ثم كنت متكئا... ثم عائشة فقالت: يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية قلت: ما هن قالت من زعم أن محمد (ﷺ) رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية قال وكنت متكئا فجلست فقلت يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجلين ألم يقل الله عز وجل ولقد راه بالأفق المبين ولقد رآه نزلة أخرى فقالت أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله (ﷺ) فقال إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها هاتين المرتين رأيته منهبط من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض فقالت أو لم تسمع أن الله يقول لا تدركه الأبصار..."[3] دل هذا الحديث أن للملك حجما عظيما وشكلا مميزا له دون غيره؛ أي أنهم متميزون، بمعنى أي لكل منهم شخصيته ووظيفته التي أنيط بها، ولذلك تميز بخصائص وبصفات تؤهله للقيام بتلك الوظيفة، ومن ثم استلزم أن يكون له ذات مستقلة تحمل هذه المؤهلات، وتدير أفعالا محددة ومتميزة، وفي إتقان الوظيفة وإدارتها على أحسن وجه لها، مع عدم وجود الخطأ فيها دل على أن هذه المخلوقات عاقلة؛ أي لها تمييز بين الفساد والصلاح، والخير والشر، ولذلك استطاعت أن تقوم بدورها المخول إليها في محله وزمانه ومقداره. فهذا الفعل لا يقوم به إلا من كان له عقل يوجه سلوكه وتصرفاته، ويتطلب ذلك وجود نفس نقية من جميع الشوائب والمؤثرات التي

---

[1] - أخرجه أبو الشيخ في العظمة. رقم :511/15. ص:180.

[2] -أخرجه أبو الشيخ في العظمة . رقم : 345/6. ص:126.

[3] -أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب لإيمان باب: ذكر سدرة المنتهى. رقم: 177. 159/1.

توجه إرادة الانبعاث في الفعل، وهكذا يمكننا القول بأن الملائكة مطهرين؛ أي نفوسهم صافية من الغرائز والحاجة لتشبيع مواقع فيها، فهم مفطرون على طاعة الله، لا يحيدون عنها، وليس ذلك صرفة؛ بل طهرا من المشوشات والنزعات، والدوافع الذاتية، ولا يكون ذلك كذلك إلا فوت تلك الأرواح والنفس الزكية من التأثر بعوامل المحيط. أصبح من اللازم أن تكون لهؤلاء طبيعة تخالف العالم الطبيعي الخاضع لجملة من القوانين التي هي في حد ذاتها تتطلب راعيا يرعى توجيهها ويجسم توالجها، فكانت ذوات الملائكة هي المؤهلة خلقيا لأداء هذا الدور العظيم.

لقد جاءت نصوص الوحي موضحة ذلك لأصحاب العقول، أول ما أشارت إليه أن الملائكة معدون لدور مهم وعظيم في تسيير الكائنات المادية، بأن نحى الله عنهم صفة الذكورة والأنوثة لعدم الحاجة إليها، ولمنافاتها ومنافرتها للحقيقة اللازمة لدور الملك، لأنه لا يحتاج إلى التفرقة بين أفراد هذا الخلق؛ لأنه لا دور ولا وظيفة للذكورة والأنوثة، والله تولى خلقهم مباشرة دون طريقة ولا واسطة، وقال تعالى في ذلك: "وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَانِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ" (19 الزخرف)، وقال:" فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ. أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ. وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ.اصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ "(149-152 الصافات).

" وبالجملة هو عالم عظيم الفسحة غير منتهاه يحذو العالم الحسي في دوام حركة أفلاكه المثالية وقبول عناصره ومركباته وآثار حركات أفلاكه، اشرقات العالم العقلي، وهذا ما قال الأقدمون أن في الوجود عالما مقداريا غير العالم الحسي، ولا تتناهى عجائبه ولا تحصى مدته"[1]

وهكذا بين الوحي علاقة العقل بتصور عالم خارجي عن الحس والإحساس ومن خلال الدور المتقن الذي تقوم به الملائكة بكل دقة وعدم فساد منها استوجب أن يكون لهذه المخلوقات مناظر حسنة سارة، لأنها أرقى وأقرب للكمال، وقد جاء في القرآن ذكر ذلك قال تعالى:" فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ" (31يوسف)، فهذا التمثيل بالملك لأوصاف الكمال المعهودة عقلا له على أنه في غاية الجمال في منظره، وله صفات الكمال من المثل العليا والأخلاق الراقية التي قد لا يصل إليها الكثير، وهي العفة التي تعبر عن الإخلاص للسيد صاحب نعمته، ولمولاة الله، وهكذا جاء تمثيل يوسف عليه السلام بالملك المكرم[2].

---

[1] – التفتازاني. المرجع السابق. ص:372.

[2] – البيضاوي.المرجع السابق. ص:313-314.

وكذلك قوله تعالى:" عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى. ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى"(5-6 النجم). ذو مرة معناها ذو قوة شديدة، وعن بن عباس ذو مرة معناها ذو منظر حسن وقال قتادة: ذو خلق طويل ولا منافرة بين القوة والحُسن؛ حيث أن القوة هي في حد ذاتها حسنا، وزيد مع القوة والشدة حسن المنظر ليكون في درجات الكمال أوفى وأعلى، والمقصود به الملك جبريل عليه السلام، حيث لم يره الرسول (ﷺ) على هيئته التي خلق عليها إلا مرتين؛ مرة سأله أن يراه في صورته فسد الأفق والثانية ليلة الإسراء الوارد ذكرها في صورة النجم[1].

من كمال صفات الملائكة بما مكنهم الخالق سبحانه فيه، وهو أن أعطاهم قدرة التشكل بالمخلوقات الأخرى، وهذا ثابت في القرآن الكريم، والحديث الشريف، وقد قال تعالى:" وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا. فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا"(17 مريم).

هذا النص يحمل تمثل جبريل عليه السلام لمريم إنسانا بشرا سويا؛ أي على أحسن منظر وأجمل هيئة، وقولها :" قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَانِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا"(18مريم) إشارة منها إلى تذكيره بالتقوى، أي أن الله الذي حسن خَلْقه؛ فعليه أن يحسن هو خُلُقه فرد عليها عليه السلام: "قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا"(19مريم)" جاء خطاب الملك حدا لمَ ذهب إليه بال مريم، أنه ملك ليس من صفاته الميل للإناث؛ لأنه لا يتميز بذكورة ولا أنوثة وتمثله بالبشر حتى يبلغها بأمر الله، والله أعلم لم اختارها هذه الطريقة لأنه خلقها. ولم تهيئ لتحمل لقاء الملك على صورته وهيئته، فأمره الله أن يتمثل في صورة بشر[2].

جاء في الحديث الشريف: روى مسلم عن ابن عمر بن الخطاب قال:"بينما نحن عند رسول الله ص ذات يوم إذا طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ص فأسند ركبته إلى ركبتيه..ثم انطلق فلبث مليا ثم قال لي يا عمر أتدري من السائل قلت الله ورسوله أعلم قال فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم""[3]. الحديث بيّن أن تمثل الملك بالإنسان في أي صورة أرادها الله أو أمره بها، ولا يمكن أن يجري عليه ما يجري على الإنسان حين ما كان على صورة البشر فلم يصبه تعب ولم يظهر عليه ما يغير الحال، لأنه ليس موصوف بأوصاف الإنسان؛ أي لا يجوع ولا يعطش

---

[1] – ابن كثير. تفسير القران. 6/215-216 ؛ واحمد بن سهل البلخي. البدء والتاريخ .ص:94-95.

[2] – المرجع السابق . 4/182-183.

[3] – أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب: الإيمان.باب الإيمان ما هو. 1/29.

ولا يعرى، ولا يتأثر بالحر والقر، ومن هذا الحديث يمكننا القول أن الملائكة ليسوا في حاجة لطعام، أو شراب، أو ما يقوّم أجساد الأحياء الطبيعية التي تحيا بها، وجاءت نصوص في القرآن تؤيد ذلك كقوله تعالى"فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ. فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ. فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ"(26-28 الذاريات). وقال تعالى:" فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ"(70 هود).

من هذا النص يمكن أن نخرج أمرين الأول صفات الملائكة أنهم يتمثلون بصور البشر، وأنهم لا يأكلون، ليس لهم حاجة إلى طعام، والثاني أنهم متخصصون في وظيفة معينة وهي التبليغ لإبراهيم بالخير وأداء الوظيفة المكلفون بها التي هي إنزال العذاب والعقاب بمن عصى وكفر وناصب الأنبياء الشقاق، والعداوة وهكذا حدث فعلا أن قوم لوط أهلكهم الله بمعاصيهم أن أرسل إليهم ملائكة أذاقوهم العقاب المكتوب عليهم[1].

حددت هذه الآيات لنا صفات الملائكة: أنهم لا يتعبون ولا يمرضون ولا ينامون، والثانية أن لهم تخصصات: بعبارة أخرى أنهم أصناف صنف تخصص في التبليغ، وآخر بالرحمة، والآخر بالعذاب: ولكن من أفراد الصنف الواحد مواصفات ومؤهلات جعل تسييره لتلك الوظيفة المتخصص فيها لائقة، وسارية على أحسن وجه ممكن لها لا حيف فيها ولا حيود عن المجال المحدد بشدة محددة وهيئة معينة[2]، وهذه من أكبر مظاهر العناية بالخلق. أن جعل الملائكة لها دور في إدارة وتسيير ومراعاة التوافق بين القوانين الإلهية وأوصاف العناصر المتفاعلة بتلك القوانين. وتلك التخصصات أصبح من المعلوم أن الملائكة أفراد لكل منهم خواص تخصه دون غيره. ومن ثم جاء لهم أسماء خاصة لكل فرد، ونص القرآن عن ذلك بقوله تعالى:" مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ"(98 البقرة). وقال تعالى:" قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ"(11 السجدة). هناك تخصيص لأفراد من الملائكة بأنفسهم بأسماء خاصة مميزة لكل واحد منهم عن الآخر، وغالبا أن هذه الأسماء من صفات ووظائف الملك، مثل ملك الموت المكلف بقبض الأنفس عند وفاتها. ولقد

---

[1] - الرازي. التفسير الكبير.29/214-218؛ وأحمد ابن سهل البلخي.البدء والتاريخ.ص:97.

[2] - الرازي. التفسير الكبير.27/128-130.

دلت بعض النصوص الأخرى على تسمية الملائكة باسم نوع له وظيفة كالزبانيـــة والكـــرام البررة[1].

من خلال دلالات هذه النصوص تبين أن الملائكة خلق من خلق الله، فهم جزء من الكون لهم فيه دور ووظيفة، إلا أنهم أعدوا إعدادا خاصا لائقا بحالاتهم وأدوارهم مجهزون بطاقات تختلف من نوع إلى نوع، أو فرد منهم إلى فرد آخر، لهم أسماء شخصية، أو طائفية تخص نوعا حسب وظيفتهم ونوعهم، وأنهم مفطرون على طاعة الخالق وتسبيحه وتعظيمه، ولهم عقول مميزة فهم مطيعون لله عن وعي منهم عليهم السلام.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] - ابن كثير تفسير القرآن. 118/7.

ثانيا– الجن :

هم خلق من المخلوقات الغيبية التي لا ندركها بحواسنا، وهم نوع من المكلفين بتطبيق شريعة الله لهم عقل ونوازع، وميولات، ورغبات يهدفون لتحقيقها.

في اللغة معنى لفظ الجن مشتق من لفظ جنن أي ستر، وكل ما هو مستور يسمى جنا وسمي هذا النوع من المخلوقات بالجن لاستتارهم عن الإنسان واختفائهم عن الأبصار، ويراد بالجن ولد الجان نوع من العالم لا يرون، ويجمع لفظ جن جنة وجنان، وقد تطلق لفظة جن على كل ما ستر وغاب عن الإحساس به، وواحدها من أفراد نوع المخلوقات الجنية هو جني وتعني كذلك نوع من الحيات له عينان سوداوان ولونه جسده أبيض مشوب بصفرة لا يؤذي الناس في البيوت نهي عن قتلها لها اهتزاز و تذبذب ومفردها جان وجمعها جوان. [1]

لقد جاء ذكر الجن في القرآن الكريم بلفظ الجن على صيغة المفرد 22 مرة وعلى صيغة جان 7مرات وعلى صيغة الجمع جنة:10 مرات وبصيغة مجنون 11 مرة، ولما ذكرهم القرآن بهذا العدد من المرات وبصيغ متعددة دل ذلك على أن لهم أهمية كبيرة في حياة الإنسان الطبيعية والفكرية، وماداموا مخلوقات مستورة عن الإنسان في عالم غيب، فلا يمكننا أن نتعرف على ماهيتهم، إلا بما أعلمنا به الوحي في القرآن والسنة، ولقد جاء في القرآن الكريم أنهم خلق من صنف يخالف طبيعة الإنسان، وأن مادمتهم الأصلية هي النار على خلاف الإنسان الذي مادته الأصلية تراب الأرض.

قال تعالى:" والْجانَّ خلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السَّمُومِ"(27الحجر)، وقال:" وخلَقَ الْجانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ"(15الرحمان)، يلاحظ أنه لم يأتي تفصيل في خلق الجان، ولم يذكر خلقهم إلا قليل، وجاء مقرونا بخلق الإنسان، كما تضمن النص الأول؛ أن الجان خلق قبل خلق الإنسان. ذهب التفتازاني إلى أن: "الجن أرواح مجردة لها تصرفات في العنصريات، والشيطان هو القوة المتخيلة في الإنسان"[2].

لفظ مارج تعني المختلط، كما تعني الخالص غير المشوب وهو الأصح ويفهم من ذلك أن هذه المخلوقات كائنات ذات طاقة، يبقى السؤال دائما مطروحا؛ هل هذه الطاقة النارية صنع

---

[1] -ابن منظور.المرجع السابق. 13/93-98 ؛والفيروز آبادي.المرجع السابق. 4/210-211؛ والزمخشري. أساس البلاغة. ص:66.

[2] – التفتازاني.المرجع السابق. 3/366.

منها لهم أجسام تحمل أنفسا وأرواحا، أم هم ذات لا جسد لها؟ لقد قال بعض الباحثين المتقدمين أن النار خلق منها جسم أبي الجن، وبعد ذلك أصبح تخليقهم عن طريق التوالد من التناسل الحاصل أثناء جنس الجن، فهنا سيكون لهم أجساد تحمل ذواتهم لها نفس وروح، وعقل، وعواطف، ونوازع [1].

هذه الأمور راجعة إلى قدرة الخالق سبحانه وتعالى، ومادام لهم تأثير في الماديات وتجرى عليهم سنن الكون من موت وتوالد، فهم كغيرهم من المخلوقات الأرضية ويبقى سترهم أهو طبيعة ملازمة لوجودهم لا يتحكمون فيها، أم هو فعل تابع لإرادتهم؟

الغالب أن من طبيعة ذات الجن أن لا يظهر ولا تدركه حواس الإنسان وقد جاء قوله تعالى:" يابني آدم لا يفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطانُ كما أخْرج أبوَيْكُمْ مِنَ الْجنَّةِ ينزِعُ عنْهُما لِباسهُما لِيُرِيهُما سوْآتِهِما إِنَّهُ يَراكُمْ هُوَ وقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ"(27 الأعراف).

لقد أورد المفسرون أن الجن ذو طبيعة خفية لا يراهم الإنسان، ولكن لهم قدرة التشكل بالجسمانيات، وإذا رأى شخص جنيا في صورة إنسان، أو حيوان دل ذلك على أن ذات الشيطان أو الجن وراء تلك الصورة، أو ذلك الشكل، وليس التشكل ماهية للجن، وهم خلق قريب من خلق الملائكة فهم لا يراهم الإنسان الذي يدرك المجسمات المادية العادية، لأنهم مخلقون من نار، وهذا بتصريح كبيرهم إبليس في قوله تعالى: "قال ما منعك ألا تسْجُد إِذْ أمرْتُك قال أنا خيْرٌ منْهُ خلقْتني مِنْ نارٍ وخلقْتَهُ مِنْ طِينٍ"(12 الأعراف)، "ولقد حصل لإبليس العلم بكونه مخلوقا من نار بإخبار من الملائكة الذين شهدوا خلقه، أو بإخبار من الله تعالى. "والنار من الحرارة البالغة لشدتها..وأما النور الذي خلق منه الملك فهو أخلص من الشعاع الذي يبين من نار مجردا عن ما في النار من الأخلاط الجثمانية"[2].

ما دام الجن خلقت من النار فلذلك فهم لا تدركهم الحواس العادية، وهذا بتقرير من القرآن؛ ولكن رغم ذلك فهم أضعف من البشر، ودليل ذلك على أنهم يتعبون أي يحصل لهم الفساد والتعب والألم، ومن ثم يتطلب أن يطلبوا الراحة فهؤلاء لابد أن ينتابهم النوم واليقظة، وذلك من قوله تعالى:" فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتْ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ" (14 سبأ)،

---

[1] – الرازي. التفسيرالكبير. 29/98-99.

[2] محمد الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير .8/41-42-80.

أوردت الرواية كيفية موت سليمان عليه السلام ليبين أن هؤلاء الخلق لا علم لهم إلا بما بلغهم عن طريق الأخبار، أو أدركوه بذواتهم، وهذا النص إشارة إلى أنهم يبصرون أي لهم حاسة الإبصار وذلك من مفهوم النصين، وهذا يجعلهم مثل الإنسان في حواسهم؛ إلا أنهم يختلفون عنه في بنيتهم الجسمية، وبقاؤهم في العذاب المهين، أو الإرهاق من حراء العمل الذي سخرهم فيه وله سليمان عليه السلام وفرارهم وكرههم للعذاب والمشقة دليل على أنهم يخلدون للراحة ويسعون لها. ولقد جاء في التفاسير أن سليمان عليه السلام مكث سنة متوكئا على عصاه، ولبثت الجان في الأعمال الشاقة طيلة هذه المدة ولم يعلموا بموت سليمان، وقد جاء عن ابن عباس : "مدة طيلة نحو من سنة فلما أكلتها دابة الأرض وهي الأرضة ضعفت وسقطت إلى الأرض وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة وتبين الجن والإنس أيضا أن الجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك"(1)، هنا النص بين عدة معلومات أولها؛ أن الجن أضعف من الإنسان وأقل منه مرتبة شرفية، وذلك أن الله سلط عليهم سليمان عليه السلام، ومهما أتوا من قوة فإنما هي تابعة لبنية ذواتهم؛ أي من طبيعتها، وليست كسبية على خلاف الإنسان الذي بمقدوره تسخير القوى من الظواهر الطبيعية الجبارة الهائلة، ومن ثم فهذه المخلوقات كغيرها من القوى الطبيعية التي يمكن تسخيرها في استثمار موارد الطبيعة، وأعطى الخالق لنا متالا جسده في سليمان عليه السلام، وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه:" فمكثوا يدينون له من بعد موته حولا كاملا"(2)، والأمر الثاني: هو أن الجن لا تقدر على رؤية الملائكة وخاصة ملك الموت فلو كانوا يستطيعون لرأوه داخلا على سليمان وخارجا ومعه روحه، وتأخرهم بالعلم بموته عليه السلام لدليل على ذلك، وكذلك أن الجن مخالفون لطبيعة وصفات الروح، لأنهم لو كانوا كذلك لعلموا من نظرهم ورؤيتهم للروح، وبذلك فهم ذات لها بنية تحل بها روح، ومن ثم يمكننا القول أن الجن خلقهم مخالف لهيئة الملائكة، وكونهم مستورين عنا عائد ذلك أن أرواحهم كأرواحنا؛ أما بنيات ذواتهم فهي نوع من المادة في صورة خارج القوانين الفيزيائية التي تحكم عالمنا. ومن ثم فهم قد لا يؤثرون على طبائع الأشياء بما يلفت انتباهنا فلو وضعنا أشياء فنراها مستقرة في مكانها وحجمها، ولا يحدث لها تحور؛ إلا إذا لامسها إنس أو حيوان، وهذا جائز.

---

(1) -ابن كثير. تفسير القران.322/5.

(2) -المرجع السابق. 323/5.

وأما ما يخص هل تحتاج دوابهم إلى طعام وشراب لتقويم حياتهم؟ لقد جاء في الصحيح أن الرسول (ﷺ) أخبر بذلك: "قال علقمة أنا سألت ابن مسعود فقلت هل شهد أحد منكم مع رسول الله (ﷺ) ليلة الجن قال لا ولكنا كنا مع رسول الله (ﷺ) ذات ليلة فقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب فقلنا استطير أو أغتيل قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء قال فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال : أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم فقال رسول الله (ﷺ) فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم "[1].

الحديث صحيح تضمن أن للجن طعام وأن لهم دواب لها تركيبة تشبه تركيبتهم، الإشكال في حاجتهم لدواب، وأن طعامهم من ذوات الحيوانات التي تعيش في بيئة الإنسان، ولم يأتينا تفصيل أكثر مما أشار إليه الحديث.

لعل لفظه زاد الواردة في روايات أخرى[2] هي التي تبين لنا بعض الأوجه الغامضة؛ لأن الزاد يشمل الطعام الذي هو التزويد بالطاقة والتمدد باستساغته عند أكله، أما الزاد فهو ما يؤخذ للتزويد سواء للطعام أم لغيره، وكل ما يمكن قوله أننا نلاحظ العظام لا تتأثر بسهولة بل تبقى مدة من الدهر، لا ينقص منها إلا كميات قليلة نتيجة حتها عن طريق الكائنات الدقيقة، أو التحلل الطبيعي بالتفاعل عن طريق الأكسدة والإرجاع، ومن ثم يترجح الرأي بالقول أن تزود هذه المخلوقات المخالفة للميكروبات يتم بواسطة امتصاصها لنوع من الطاقات الكامنة في العظام كالشحنات الكهربائية، أو بعض الشوارد، فهذا لا يغير من كمية مادة العظم...الخ، والله أعلم، والشأن نفسه نسبة لدوابهم.

هذا بيان أن الجن لهم هيئة تخالف هيئة الملائكة. إلا أنهم اقرب من حيث كمل رؤية أو سماع الملائكة مما عليه الإنس وقد قال تعالى: "وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا. وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا"(8-9 الجن).

كذلك لوجود إبليس لعنه الله مع الملائكة لقوله تعالى:" فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ. إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ. قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قَالَ لَمْ أَكُنْ

---

[1] – أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الصلاة. باب الجهر بالقراءة في الصبح. برقم: 449. 35/2؛ وقال الترميذي فيه هذا حديث حسن صحيح. السنن . كتاب تفسير القرآن. باب من سورة الأحقاف. رقم: 3257. 382/5.

[2] – ابن حبان في صحيحه. برقم: 1432. 381/4.

لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ" (30-33الحجر) وقال تعالى :" وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنْ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلا" (50 الكهف). هنا النص القرآني يفيد أن إبليس من الجن سواء كان أبوهم، أو واحد منهم المهم أنه كان يجالس الملائكة، أي كان موجودا في الجنة، ويسمع خطاب الملائكة ويفهمه، وهو باق وموجود إلى يوم القيامة، وهذا دليل على أن الجن لها القدرة على أن تسمع الملائكة وتحمل كلامهم، كما يمكنهم أن يفهموا كلام البشر ويتكلمون به، وهذا ما جعلهم يسترقون السمع والسرقة هنا اختطاف إشارات أو رموز من الملأ الأعلى من الملائكة. وهذا الأمر لا يحدث إلا أن الله مكنهم منه لفتنة الناس وفتنتهم هم في حد ذاتهم، وذلك توصلوا إليه إما عن طريق التقدم المعرفي العلمي عندهم بحيث يمتلكون تكنولوجية متقدمة جدا عن الإنسان، أو أنهم من طبائع ذواتهم لهم القدرة على التحرك والطيران والغوص[1]، وهذا هو الراجح لما ورد في قوله تعالى:" وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنْ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ. يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ"(12-13سبأ)

وقال تعالى:" وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ. وَمِنْ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ" (81-82الأنبياء). كذلك يمكن بيان أن هذه المخلوقات التي لها قدرات طبيعية تفوق قدرات الإنسان في كون أن لها ذوات قد لا يضرها الغوص، أو الصعود في الطبقات الجوية العليا؛ لأنه قد يجوز أنها ليست في حاجة لأكسجين، أو أي نوع من أنواع التنفس، وكذلك أن أجسادها لا تتأثر باختلافات الضغوط إلى درجات محددة، يمكن أن تكون لها عينان أحدُّ مما هي عند الإنسان، أما من جانب موقعهم فهذا مؤكد من جانبين بالنص وهو شهادتهم برميهم بالشهب، والثاني أنهم مكلفون بتحمل كلفة الشرع، وهذا يجعلنا أن نستدل كذلك على أنهم يتكاثرون، وذلك من الأحكام الشرعية التي جاء بها القرآن الخاصة بالزواج والطلاق والميراث والنفقة...الخ[2].

وأخيرا أن هذه المخلوقات ثبت كذلك أن لها القدرة على التمثل، وأن الإنسان يمكنه إدراكها والكلام معها؛ جاء في السنة:" عن أبي هريرة (ﷺ) قال: وكلني رسول الله (ﷺ)

---

(1) – سيد قطب. في ظلال القرآن.6/28-37.

(2) – أحمد بن سهل البلخمي. البدء والتاريخ. 1/142.

بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت والله لأرفعنك إلى رسول الله (ﷺ) قال إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة قال فخليت عنه فأصبحت فقال النبي (ﷺ) يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة قلت يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال أما أنه قد كذبك وسيعود...فرصته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله (ﷺ) وهذا آخر ثلاث مرات إنك تزعم لا تعود ثم تعود قال دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت ما هو قال: إذا أويت إلى فراشك فأقرأ آية الكرسي...فإنك لن يزال عليك من حفظ ولا يقربنك شيطان...فقال النبي (ﷺ) أما أنه قد صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة قال لا قال ذاك شيطان"[1].

فهذا الحديث صحيح ونصه صريح أن أبا هريرة (رضي الله عنه) قبض على الشيطان وكلمه وهو في صورة إنسان معنى هذا أنه يصح فهم التمثل ويجوز حجزهم في محل أو حيز مغلق، وذلك معنى قوله تعالى:" والشّياطين كُلّ بنّاء وغوّاص. وآخرين مُقرّنين في الأصْفاد"(37 -38 ص) والشيطان هو العاصي والعاتي. والشيطنة هي الخبث والنكرة فيقال شياطين الإنس، ولكن شاع استخدامها لشياطين الجن، حتى أصبحت مرادفة لاسم النوع (الجن)[2].

ومنه يمكن القول أن الجن هم جزء من عناصر الطبيعة، وإنما أمدهم الله بطاقات تختلف عن طاقات الإنسان، لكن مع ذلك جعل الله للإنسان قدرة قاهرة لهذا النوع، وقد يكون هذا سبب تسترهم حتى لا يدمرهم الإنسان، ولقد روى المفسرون حوادث حدثت للصحابة رضوان الله عليهم. قال القرطبي في تفسيره: "وروى عن عمر أنه صارع جنيا فصرعه عمر رضي الله عنه فقال إنكم تمتنعون منا بآية الكرسي قلت هذا صحيح"[3].

لقد ذهب بعض الباحثين إلى المغالاة في المادية إلى القول: أن الشياطين والجن ما هم إلا الأحياء الدقيقة من بكتيريا وفطريات وطحالب وفيروسات...الخ؟ هذه كائنات حية لا ترى بالعين المجردة، لكن الآن لا تعد هذه المخلوقات من الغيبيات، كما استدل هؤلاء بأحاديث شريفة التي تنهى عن الأوساخ على أنها أذى من الشيطان. وكذلك النهي عن الشرب من ثلمة

---

(1)- أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب الوكالة. باب: إذا وكل رجلا...رقم: (2187). 3/213-214.

(2) -أحمد بن سهل البلخي. البدء والتاريخ. 1/142.

(3) القرطبي. تفسير القرآن. 3/269.

القدح فقالوا لأنها مسكن للمكروبات، وعدم ترك الإناء مكشوفا بلا غطاء حتى لا يتلوث بالجراثيم[1]، لكن هذا الرأي يخالف مفهوم نصوص سورة الجن.

هذه النصوص تبين لنا صحة الاعتقاد لتوكيد وجود هذه الخلائق الغيبية التي لا نعرف عنها إلا القليل، وإنها تؤثر في المحيط بآثار محددة تحت قوانين ونواميس إلهية، ولا يمكنها تجاوز ما أنيطت به من وظائف وأدوار سواء كانت لغيرها، أم لنفسها والإيمان والاعتقاد بوجودها كما وصفت يعد من القواعد لإيمانية في الإسلام.

حيث لا يجوز الحيود عن ذلك سواء في الأسماء الواردة لأشخاص من هذا العالم سواء كانت ملائكة أو جنا، والاعتقاد الأساس فيها أنها مخلوقات لله لا تعلم الغيب ولا طاقة لها في فعل إلا بإذنه سبحانه وتعالى، وهي موجودة معنا من ضمن عناصر المحيط. وبين المخلوقات المحسة سواء كانت جمادا أم نباتا أم حيوانا، والعوالم الخية المحسة من تلك التي تتفاعل معها في البيئة وهي جزء من بيئتنا.

[1] – محمد منير أدلبي.أبناء آدم من الجن والشياطين.دار الأهالي.دمشق.ط(1993م).ص:113-119.

المطلب الثاني

خلق الكائنات الحية المحسة (النباتات والحيوانات)

هي تلك الكائنات التي تتوفر على صفات محددة تجعلها تمثل ظاهرة الحياة، وقد جمعت هذه الصفات من جمْع ولَـــمّ الصفات المتوفرة في الكائنات الموجودة في المحيط الذي يعيش فيه الإنسان، ثم عممت تلك الأوصاف على كل كائن وجدت فيه، وأن هذه الصفات تعد من نشاطات الكائن الحي وتفاعلاته مع عناصر محيطه، وهي أن يكون الكائن موصوفا بالنمو؛ حيث يزداد حجمه مع مرور الزمن الذي يستغرقه خلال حيزه في بيئته، وأن يكون قادرا على التكاثر، أي أن يمتلك المقدرة على زيادة أعداد أفراد مجتمعة؛ بحيث يكون الأفراد الجدد هم القدرة على مواصلة نفس النشاطات التي كانت موجودة عند الآباء، وأن تكون هذه الأنشطة السابقة مبنية على أنشطة أخرى، وهي التغذية؛ بحيث يستطيع الكائن أن يحصل على مركبات ذاته من عناصر بيئته بطريقة معينة بعد تشكيلها في صورة صحيحة تقوّم جسده، وكذلك أن يكون هذا الكائن له القدرة على استخلاص الطاقة الكامنة في العناصر المغذية ليعيد بها بناء ذاته (جسده)، ومن بين هذه العمليات؛ عملية التنفس التي يقدر الكائن الحي بها تحصيل بعض العناصر المهمة له في عمليات الأكسدة والإرجاع، والتخلص من نواتج الأكسدة وهذه العملية مستمرة الفعالية على مدى وصية حياة الكائن فهي تكاد أن تكون نوعا من التغذية، وكذلك تمتاز هذه الكائنات بتلقائية التفاعل؛ أي تمتلك القدرة في فعل أيّ عملية حيوية تلقائيا؛ بحيث تقوم بعملية التنفس، أو التغذية أو النمو من تلقاء نفسها سواء كان لها أعضاء متخصصة لأداء كل وظيفة على حدة، أم أن الكائن كله مجملا لا يمكن تقسيمه إلى أعضاء، وهذه التفاعلات التلقائية هي المميز للكائن الحي عن غيره من الجمادات، ولقد صنفت الكائنات الحية إلى صنفين أساسيين: نباتات وهي ذاتية التغذية والحيوانات وهي متعدية التغذية.

أولا– الكائنات الحية النباتية:

النبات هو الكائن الأساس المقوم لصلاحية البيئة له ولغيره من الكائنات الحية الأخرى، وذلك لقدرة هذه الكائنات الحية من تحصيل مركباتها من عناصر البيئة الميتة، أي أنها ذاتية التغذية لها القدرة في تجميع العناصر الأولية المادية وإجراء تفاعلات لتركيب مركبات عضوية صالحة لبناء جسم النبات، وتعضيه، لكن التساؤل عن مبدأ الحياة أي كيفية انبثاق أول هذه

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الكائنات وطريقة توفير شروط الظروف والعوامل الملائمة لنشاطاتها الحيوية يبقى دائما مجهولا لا يعلمه إنسان؟ [1].

لكن الإشكال يبقى دائما قائم كيف انبثقت أول خلية، أو أول وحدة أولية أساسية تحمل ظاهرة الحياة وخاصة الحياة النباتية؟

ولقد وضع الباحثون الطبيعيون فرضيات لتفسير نشوء أول كائن حي وطريقة انبثاقه من وسط كله عبارة عن عناصر جامدة لا حياة فيها كقولهم: "إن هذه الظاهرة [ظاهرة الحياة] يحتمل أن تكون نتجت بفعل الطاقة الواردة من الشمس في صورها الإشعاعية فوق الأشعة البنفسجية حتى اصطدمت بمياه المحيطات فأكسبت بعض الجزيئات المادية خواص عضوية، فجمعت مركبا كيماويا معقدا مشكلا أساسا من ذرات الكربون والنتروجين مع بعض ذرات المعادن كالبود والفسفور، وكذلك من العنصرين المهمين الهيدروجين والأكسجين، ثم عنصر السيليسيوم والكبريت. وعن طرق الصدفة المحضة دخلت هذه المركبات الأساسية المعقدة في سلسلة من التفاعلات، استطاعت أن تعطي نواة الكائن الحي على وجه كوكبنا وتواصلت بلا انقطاع [2].

فهذا هو المنطلق الأساس الذي وضعه الباحثون ثم نسجوا عليه فرضيات ونظريات تسلسل بقية الكائنات بمختلف أنواعها وأجناسها.

بينما يذهب بعض الباحثين إلى افتراض أن الحياة ظاهرة ظهرت في كواكب أخرى، ثم هاجرت إلى الأرض بعدة طرق مختلفة، ولقد أورد السيد روبرت طوكي هذا التساؤل في كتابة الحياة في الكواكب الأخرى وجاء بفرضيات منها الذي كان أصله معتقدات وأساطير ديانات قديمة كالهندوسية والشنتو، وغيرها [3].

وعلى كل حال أن البداية جاءت غامضة، ثم تفرعت ظاهرة الحياة في أشكال متعددة الأحياء، وهذه الافتراضات التي تدرس نشوء ظاهرة الحياة في الكائنات الحية كلها تنطلق من مواصفات لكائنات حية قائمة لها نشاطات حيوية معروفة ومعتادة، تحكمها قوانين حيوية منضبطة ومتوافقة مع عناصر متعددة من الكائنات الحية وغير الحية في المحيط وعند إمعان النظر

---

(1) – Max de Ceccatty. La vie de la cellule à L`homme. seul (1978) France. Pp: 9

(2) – جون كارل. أصول الحياة .ترجمة: خليل الخر. المنشورات العربية. د.ط.ت.ص:35-43 ؛ وجوزيف جارلان Lincoln Barnette. op.cit ؛و 3 :ص (1964). ضحلوقات كوكبنا الأرضي. ترجمة: عبد المنعم سلام.دار نهضة مصر. pp:73 .

(3) Robert. Tocquet. La vie sur Planètes. (1963). ed: du siut. pp:7-17-

في هذه الفرضيات نجد أنها تصنيفية أي تقسم الكائنات الحية وفق توفر عناصر أو مركبات فيها، وعلى أساس مظهر تشريحي مورفولوجي، وهذا الأمر بالنسبة لأول كائن حي مفروغ منه، لأنه أصبح من ضمن الكائنات الموصوفة بالحياة.حتى يستطيع أن يمتلك التكيف الطبيعي الاعتيادي لحياة ونشاطات الكائنات المختلفة مع بعضها البعض[1]، وتفاعلات المركبات سواء تحليلا أم تركيبا، من وإلى العناصر الأولية. إذا فهي لا تمثل تفسيرا لظاهرة نشوء الحياة، وكيفية تركيب أول كائن حي حمل جميع صفات الكائن الحي الذي له التلقائية في الانبعاث لإصدار الأفعال والسلوكيات التي تعرفه أنه يمارس ظاهرة الحياة[2].

وكنما قدمته هذه الافتراضات هو تقريب وترتيب نمط معين من التسلسل في اكتساب الوظائف والأدوار، والتفاعلات لمجموعة من الأحياء وحسب موقعها التاريخي خلال مرحلة الأحقاب الزمنية التي مرت بها الأرض، وهذا المنطلق أساسه عدم التسليم بوجود إله له القدرة المطلقة وأوصاف الكمال كلها، أن يجري هذه الظاهرة كما أجرى ظاهرة الوجود أصلا على الموجودات بعد أن كانت عدما، أما ما وراء ذلك فما هو إلا تحولات وضعها الخالق وفق قوانين تسير الحياة على وجه الكوكب .

فهم يذهبون إلى القول: أن أول الكائنات الحية ظهورا هي وحيدات الخلية لما فيها من بساطة التركيب، وإذا ما نظرنا إلى الكائنات المركبة والمعقدة وجدناها مركبة من وحدات أساسية متكررة في جميع الكائنات الحية، وهي الخلية، ومن ثم تبادر لهم أن الأحياء المركبة التي لها ذات متشكلة من خلية واحدة تعد هي أساس الأحياء، وهي منطلقهم باعتبارها أصغر مركب نموذجي تتمثل فيه صور الحياة. وجميع نشاطاتها التي تحفظ وجودها، مع ملاحظة أن هناك تسلسلا في الموجودات الحية: منها ما هو وحيد الوحدة الأساسية أي الخلية، ومنها ما هو متعدد بسيط؛ أي ليس معقدا، ثم يوجد من هو أكبر وأعظم تعقيدا وزيادة في الحجم إلى أن يصل بهم الحساب إلى أرقى المخلوقات الذي تطورت وظائف أعضائه، وأصبحت متخصصة في أداء مهمة تكمل أدوار ووظائف الأعضاء الأخرى [3].

وهذا أكسبها قدرة على البقاء وجعلها قابلة للتكيف مع ظروف وعوامل الطبيعة المتغيرة نسبيا، أو جلب حاجاتها من العناصر المتغذية، أو السعي إليها لبلوغ محالها والتعرف عليها

---

(1) -شوقي أبو خليل الانسان. دار الفكر.دمشق. ط6(1993).ص:207. Max de Ceccatty. Op. cit. pp:9-10.

(2)- أرنست ماير. هذا هو علم البيولوجيا. ترجمة: عفيفي محمود عفيفي. عالم المعرفة.جانفي 2002 الكويت.ص:33-36.

(3) جوزيف جارلان. المرجع السابق. ص:4 ؛ وأرنست ماير. المرجع نفسه.

وكذلك تجنب العوامل والعناصر الضارة له التي غير صالحة، إما لعدم قدرته على الاستفادة منها في بناء جسده، أو العجز عن تحليلها إلى عناصرها الأولية ليعيدها في نسق متوافق مع بنيته المادية[1].

كما نلاحظ أن محيط المياه البحرية وسطا مساعدا على أكثر العمليات الحيوية ومختصرا للزمن والجهد والمكان في إجراء تلك التفاعلات للكائنات الأولية التي لم تتركب بعد، وتظهر لها أعضاء تعينها على أداء العديد من الأعمال والأفعال، وقد ساعدت مياه البحار على سهولة تأقلم تلك الكائنات مع الأجواء المستجدة لمواصلة أنشطة الحياة [2].

إذا علمنا أن البيئة التي تحي وتعيش فيها الكائنات الحية لابد أن توجد وتعد قبل وجود الكائن الحي الذي يعيش فيها، حيث قال الله تعالى في ذلك : " أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رفع سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا.أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا" (27-31 النازعات). فهذا دليل على أن الكائنات الحية آخر المخلوقات خلقا من الناحية الزمنية.

وقوله تعالى :" وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ"(30 الأنبياء). اختلف الباحثون في مفهوم هذا النص فمنهم من شط واتبع قول الطبيعيين فقال: أن مصدر الحياة هو الماء حيث انطلقت منه أول خلية حية، ثم تطورت بمرور الأزمان تحت اختلاف الظروف البيئية المتوالية إلى أن أعطت هذا العدد الهائل من أنواع الكائنات الحية الدنيا والراقية[3].

من المفسرين من ذهب إلى أن المقصد من الآية هو: أن الله جعل الماء مادة أساسية في تركيب أجسام الكائنات الحية، وفي تركيب البيئة وهذا ليس بالضرورة يتطلب للتطور كي تتعدد الكائنات [4]. وهذا الرأي الأخير يدعمه مفهوم الآيات التي تنص على أن الحياة على الأرض تقوم على الماء الذي منه تحي النباتات...الخ.

قال الله تعالى:" أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا. ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا. فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا. وَعِنَبًا وَقَضْبًا. وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (25 -29 عبس).

---

(1) أريست ماير.المرجع السابق.ص:5.

(2) – المرجع نفسه ؛ وجول كارل. المرجع السابق. ص :41.

(3) - عبد العليم عبد الرحمان خضر. الإنسان في الكون بين القرآن والعلم. ص: 20 و Alebert, A.V. Ruffié. de la Biologie à la cultur , Printed. France. Ed:1983.pp:15-16.

(4) –الرازي. التفسير الكبير .49/31.

نستنتج من الآية وجميع النصوص المماثلة لها أن الله لما أعد البيئة أولا؛ جعلها صالحة لحياة النباتات، وهي أول المخلوقات ظهورا على وجه الأرض، وجعلها الكائنات الحية التي تستطيع أن تستغل العناصر الطبيعية البسيطة وتستعمل الطاقة الضوئية الشمسية في تركيب أجسامها وإنتاج ثمارها، فصار النبات شرطا ضروريا في حياة الحيوانات. ويبقى الخلاف قائما في كيفية نشوء النباتات، وتضاربت في ذلك النظريات العلمية في تحديد نشوء أصول وفروع الأجناس والأنواع.

وهذا خلاف ما جاء في القرآن قال تعالى:" سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ"(36 يس) يبين لنا هذا النص أن الله خلق الأجناس والأنواع منفردة كلا على حدة من الأرض، وجعلها جنسين ذكرا وأنثى[1].

ثم قال تعالى:" الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى "(53طه).

النص أجمل مفهوم خلق أصناف وأنواع النباتات المختلفة في لفظ أخرجنا، حيث تفيد إخراج هذه الأنواع شتى التي هي جمع شتيت، إما بخلقها من العدم، أو بتخريجها أي خلقها من غيرها. مثل ما خلق جسد الإنسان من طين، و الجان من نار...الخ؟ هي إذا مخلوقات خرجه في ذوات محددة الصفات والأدوار، والوظائف، وهذا التخريج لا يعني أنها تطورت، عن طريق التكيف، أو التأثر بالظروف الطبيعية وعوامنها؛ بل قد يكون هذا التخريج تم بتخليق من أي شيء. عنى أن الخالق هو الذي أعطى كل شيء خلقه: أي مقوماته ومركباته وتفاعلاته التي جعله ينتج أجساما خاصة ومركبات نوعية، بحيث لو أجريناه أي تجربة لتكرار ظاهرة فإننا لا نقدر على توليد كثير من المركبات، إلا عن طريق الكائن الحي، وداخل ذاته فهذا أعظم دليل على القدرة الحكيمة التي تجعل ذلك ولا تحيد[2].

فمثلا إنتاج بعض المواد السامة للأحياء من نباتات أو أحياء دقيقة من المعجز أن تنتج لها مضادا، ولو بتحريض النباتات التي تنتجها مع أنها هي لا تؤثر فيها، كما تؤثر في غيرها وعلى الأقل إلى حد الساعة مازال الإنسان متوقفا أمام هذه القضية المهمة التي تفتك بحياة الإنسان والحيوانات والاقتصاد، فعجز الإنسان مؤقتا دليل على أن الذي خلق أولا لم يكن عاجزا،

---

(1) الزمخشري. الكشاف. 286/3 ؛ وابن كثير. تفسير القرآن. 613/5.

(2) البيضاوي.المرجع السابق. ص: 418.

وتصريف هذه المنتجات بقوانين محكمة دلّ على علم بغيب مضى، أو لم يأت بعد، ولهذا يكون تخريج هذه النباتات تم وحدث عن طريق واحد وهو خلق الله له.

يلاحظ تميز النباتات بذاتها وبحركيات وآليات تفاعلاتها، بحيث تركب غذائها من العناصر الطبيعية مباشرة من المحيط، من التربة والهواء والطاقة الشمسية، تركب المركبات المختلفة المهمة لبناء أجسامها، أو أنها تصلح غذاء لغيرها من الأحياء الأخرى، ولها القدرة في إعادة دورات العناصر التي تستغلها الأحياء الأخرى منها في بيئتها، وعند موت هذه الأخيرة تقوم النباتات بإعادة امتصاص تلك العناصر، ثم إعادة بناء مركبات في أجسامها أولا، ثم تستغل النباتات غذاء لأحياء المحيط.

ثانيا– الكائنات الحية الحيوانية:

هي الكائنات الحية المحسة التي تمتاز بأنها ذاتية التحرك، وأنها متعدية على غيرها من الكائنات الأخرى سواء كانت نباتا، أم من الكائنات الدقيقة، وهناك دورات تنظم التوازن بين أجناس الحيوانات والنبات بقوانين طبيعية منضبطة؛ ولكن السؤال المطروح دوما متى وكيف ومما انبثقت هذه الكائنات الحية الحيوانية؟ والجواب عن هذا السؤال هو البحث في خلق هذه الكائنات أي دراسة نشوئها انطلاقا من نصوص الوحي، ومن مسرح الحياة لتحديد أصنافها الأولى وتلاحق الأصناف الأخرى.

1– مشكلة انبثاق الحياة:

كانت أعظم مشكلة تحفز همة البحث وتزيد من شوق الإنسان في حب الإطلاع والتعرف على تسلسل يقبله عقله ويتحمله النهج الإنساني– انتقال الأجسام المادية الميتة إلى حية، فهذه المسألة تجد أمامها هوة واسعة تفصل المركبات المادية من كونها عناصر مادية جامدة إلى كونها عناصر حية تحمل مظاهر الحياة، فكان هذا اهم أعظم دافع للباحثين والمفكرين إلى وضع تصورات يحاولون أن يسكنوا بها روعة التطلع للبحث عن معرفة أصل الحياة، فكان هيجل خلال أواخر القرن (19) أحد التحوليين المناضلين الذين يؤمنون بتسلسل الأحياء إلى درجة جعلته يبتكر ذهنيا حلقات وسيطة ناقصة من أصناف الأحياء في الطبيعة آنذاك، بحيث يكون الكائن في هذه الحلقة المتوسطة التي تجعل الفرق بين العناصر المادية الطبيعية والعناصر الحاملة لظاهرة الحياة تكاد تكون مفقودة؛ أي يكون هناك كائن حي بسيط التركيب يحتل هذه

المرحلة الوسيطة الرابطة بين عناصر البيئة فقال: هو الكائن المونيرا القليلة التميز إلى حد يمكن من وضعها بسهولة في أصل كل حياة حيوانية كانت أم نباتية[1].

وجدت الكائنات الدقيقة، وبقي الإشكال قائما في كيفية ظهور ظاهرة الحياة في العناصر المادية الطبيعية أمر غير واضح الاستدلال به على أنه هو المسلك الواقعي الصحيح لنشوء ظاهرة الحياة، ولقد حاول كورنيرغ سنة (1958) جمع المركبات الأساسية للمواد الوراثية من مركب ARN ،ADN وتضاعف كل جزيء إلى جزيئين، ومع ذلك فإن مصدر هذه المركبات في أصلها تكونت داخل كائنات حية سابقة الوجود في الطبيعة، لكنه أخذ هذه المركبات من فيروس (Q 174 فاج)[2].

إن جمع هذه الدراسات التي بحثت في مصدر الحياة وأصلها الأول، أي الوجه الذي حدثت به، في صورة قانون محكم يضبط تشكل المركبات، ويخرج فيها ظاهرة الحياة حتى يقدر الإنسان على التصرف في هذا القانون، بحيث يستطيع تكرار تجربة ظاهرة حدوث الحياة فإن هذا الأمر يبقى غير ممكن التوصل إليه.

ولقد قام الباحثان: ستنلي مر وهارولد يوري: Stanley Miller, et Haroid. Urey بناء جهاز تتجمع فيه المركبات الأساسية؛ أي العناصر الطبيعية من الكربون Carbon والهيدروجين Hydrogen، ونتروجين Nitrogen ؛ والأكسجين Oxygen وإحداث شرارة كهربائية تحدث في المزيج الغازي الممزوج ببخار الماء، وبعد تجميع النواتج التي تركبت فوجد أن نسبة من الأحماض الأصلية الأمنية هي التي تركبت بينما بقي جزء آخر من الأحماض الأساسية لم يتركب[3]، فهذا يبعد القول أن الأشعة فوق البنفسجية القادمة من الشمس والشرارات الكهربائية الحادثة عن عمليات الانفراغ الكهرباني من عمليات البرق لا يمكنها تصنيع جميع الجذور الأساسية لتركيب الكائن الحي من الجانب المادي فقط، ناهيك أن تصبح حاملة لظاهرة الحياة.

لقد انقسم الباحثون إلى طوائف في هذا المجال فمنهم من يرى أن الهوة بين المادة الجامدة والحياة لا يمكن عبورها بسهولة، أي أن ظاهرة الحياة ليست قانونا يتحكم في آليات تفاعل

---

(1) – جول كارل . المرجع السابق. ص:49.

(2) –جول كارل.المرجع السابق. ص:54–56؛ وارنست ماير. المرجع السابق. ص:37.

(3) – Richard. Dikerson. L'evolution chimique et l'origine de la vie.Pour la sciences . Ed: hérissey (1980).France. pp:17-35.

عادية؛ بل ظاهرة الحياة تجعل للكائن الحي قوانين مختلفة تماما عن المادة الميتة، لكنهم قالوا مادام أن ظاهرة الحياة حدثت فهذا يجعلها غير مستحيلة ونتيجة لهذا قالوا بالصدفة الموفقة [1].

لكن يجب أن تتوفر لهذه المصادفة القدرة على كل شيء يهم تشكيل الكائن الحي وينظم نشاطه الحيوي وفق عمل متوازن بين التركيب والتحليل، "ولقد انتقد ليكونت دي نوي اللجوء إلى المصادفة نقدا لاذعا ولكن يبين استحالة حدوث كائن حي بل حدوث جزيء نووي بروتيني بسيط بهذه الطريقة"[2].

وعندما نمعن النظر في الكائن الحي نجد انه مركب من مادة، ومن قدرة داخل المادة تنظم حركيات وآليات المركبات. وتوجه تفاعلاتها، وهذا التنظيم هو ما يقوي نشاط النمو والتكاثر وحفظ النوع، فهنا تظهر عنه دائمة الوجود، وها قدرات تحقق ظاهرة الحياة في الكائنات، وهذه العلة هي الله الموصوف بصفات الكمال التي ندرك آثارها في نظام ودقة التقدير والتحكم في فعاليات الأحياء لمختلف أنواعها"[3].

غير أن عملية الخلق وانبثاق ظاهرة الحياة في أوائل الكائنات الحيه يبقى عالقة بين نظريتين في تصورنا بالتساؤل هل انبثقت الحياة فجأة من العدم ؟ أو أنها حدثت عبر تسلسل من التفاعلات التي استغرقت زمنا طويلا واستهلكت حلقات متواصلة من التحليل والتركيب، وأخذت صورا ومراحل انتقالية إلى أن أصبحت كما هي عليه الآن ؟، هنا التساؤل يترك الباحثين يتخذون مذاهب شتى ومسالك مختلفة في تفسير هذه الظاهرة، ولكل منهم نظرة خاصة تباها حسب قدراته العقلية، وحسب ما اجتمع لديه من معلومات ومعارف علمية يعتمد عليها في التدليل على تحقيق غايته من وراء البحث.

إلا أننا نلاحظ أغلب البحوث المطروحة تنوح بتحقيق قناعات سابقة لبحث، وكأن البحث استخدم للتدليل عن اتجاه، أو قناعة موجودة قبلا، وليس بدلا للجهد للتنقيب والتوصل إلى الصورة الصحيحة أو القريبة من الصحة، بحيث تكشف لنا عن إمكانية استيعاب الإنسان لكيفية انبثاق الحياة، ثم تنوع الأحياء التي تمثل الحياة بصور مختلفة ومتنوعة، في الأجناس وفي أطوار الكائن الواحد خلال مراحل حياته.

---

(1) –حول كارل.المرجع السابق.ص:58 ؛وفرانسيس كريك.طبيعة الحياة.ترجمة:أحمد مستجير.عالم المعرفة.عدد:ماي1988.الكويت.ص:83-101.

(2)– حول كارل. المرجع السابق.ص:60-61.

(3) المرجع السابق.ص:67 ؛ وأرنست ماير.هذا هو علم البيولوجيا.ص:36-40.

للمحيط أثر كبير في توجيه البحوث، وتركيب المعرفة لدى الإنسان، وهذا أمر لا يمكن تحييده لأن مصدر المعرفة في هذا الشأن هو البيئة، والإنسان عنصر فيها يتفاعل مع بقية عناصرها ويخضع لقوانينها، فملاحظاته كلها نابعة من حركيات وآليات التفاعل الحاصل بين عناصر البيئة، وهي الحل الذي يحمل جميع الظواهر الطبيعية بما فيها ظاهرة الحياة، وقد تأثر بهذا جميع الباحثين الذين انطلقوا في البحث على أساس عدم الاعتماد أو الاعتراف بوجود مصدر خارجي يعتمد على معارفه ومعلوماته، وتوجيهاته ألا وهو الوحي.

عندما تتبعنا نشوء فكرة بروز الحياة والأحياء، تبين أن للمحيط أثر كبير في بناء معرفة طائفة كبيرة من الباحثين، وتمريا توارثوا مبدأها، والتحديد في هذا المجال لم يكن جذريا وإنما طور مفهوم العناصر التي يتركب منها جسد الكائن الحي، أما عملية الانبثاق بقيت على نسقها الذي ورثوه، ولنا في ذلك مثال مذهب أرسطو في نشأت الحياة ثم باجتماع العناصر الكيماوية المادية المعروفة آنذاك وهي امتزاج العناصر الأربعة الماء والتراب والهواء ثم النار؛ لكن في صورة حرارة تأتي من الشمس تبعث على الاختمار الذي يؤدي إلى ظهور كائنات حية، ومحل هذه التفاعلات أو بوتقتها هو أماكن الطمي التي توجد عند حواف ومناطق مصبات الأنهار، ثم يأتي بعد قرون توما الأكويني يكمل توصيل الفكرة أو هذه المعرفة بربطها بعلة (الله)؛ فيذهب إلى أن الشمس هي الممون لنا بالطاقة، وهي تتلقى قدراتها من ملائكة وكلهم الله بها يسوسونها، وهكذا حمل توما فكرة أرسطو نسقا يجعلها صحيحة نابعة عن علة أولى وهي الله، بالارتقاء بها من علة إلى علة حتى يصل إلى الله العلة الأولى الجوهرية، وقد سماها الباحث مالبرانس العلة الوحيدة [1] قد أرفق كل من أرسطو وتوما وجود النفس التي تحل في جسد الكائن الحي بعد بنائه وتكوينه وبتصور بسيط أن الأحياء تنشأ عندما تتركب أجسامها المادية وتصبح صالحة حينها تزرع فيها بذرة الحياة وهي النفس، ثم تنمو وتطور إلى كائن حي كامل وهذه الصورة مأخوذة من الواقع بتقليد عملية زرع البذور النباتية، أو نطاف الحيوانات. لكن هذه البذور والنطاف هي في حد ذاتها كائنات حية تتمتع بجميع نشاطات الأحياء، وتقوم بأدوار ووظائف تثبت أنها تمثل ظاهرة الحياة.

لقد ذهب جل الباحثين إلى ظاهرة الحياة لم تنبثق فجأة، بل حدثت خلال سلاسل من التفاعلات والظواهر واستغرقت زمنا وحقبا تاريخية طويلة، وذلك تعبير منهم عن معتقدات

---

[1]- جول كارل . المرجع السابق. ص: 71-72.

راسخة وجهت فكرهم؛ لأنه حتى في حالة ما إن حدث ما قالوا به فيبقى ظهور الكائن الذي نسميه حيا ويكون محلا لظاهرة الحياة بداية مفاجئة، وبذلك تصبح الخطوات السابقة له ما هي إلا جزء من تحضير البيئة له، أو وجود محيط ملائم يستطيع التكيف مع ظروفه ويبقى التساؤل بلا جواب.

ما ذهب هؤلاء إلى هذا التحليل إلا هروبا من الإلزام بالاعتراف بالله، وقدرته وكماله ومن المعلوم أن أغلب الباحثين كانوا آريين، أي هم تراث عقدي يعتمد على التعدد وليس به شبهة التوحيد، ومن ثم فهم يناصرون كل عقيدة تنفي وجود الله سبحانه وتعالى.

وقالوا أن البيئة هي التي وضأت نفسها حتى تصبح مهيأة لتقبل الكائنات الحية واستهلكت بذلك زمنا طويلا، وإن من النشاط البيئي اختراع قانون التصور والتكيف الذي سير وجود وتنوع الأحياء [1].

لكن نصوص الوحي لدى المسلمين قررت بإحكام أن نشوء ظاهرة الحياة، ووجود الأحياء تم عن طريق الإنبثاق فجأة، في قوله تعالى: " قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ .وَرَسُولا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ" (47-50 آل عمران) وقال تعالى:"... وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي..." (110 المائدة). النص القرآني جاء حتى يوضح أهم عملية وأخطر قضية تضاربت فيها آراء الناس، وأن جميع الانحرافات، والكفر بالله كله تأسس على توجيهات هذه القضية؛ لأنه بواسطتها يتحدد الخالق المستحق للطاعة والتعبد، فجاء تعبير الله للعباد عن قدرته بخلق عيسى عليه السلام بطريقة مخالفة للمعتاد دون وجود الأب، ولم يخلقه دون أم مع قدرته على ذلك؛ لأنه لو خلق عيسى دون أم ولا أب لقالوا عليه أنه ليس بشرا. وبعد ذلك جعل على يد عيسى عليه السلام إحياء الموتى وهم كائنات حية فقدت الحياة؛ أي تحولت وأصبحت غير حية فعودة ظاهرة الحياة لأجساد مادية جامدة ليس بأسهل من خلقها من قبل.

---

[1]- جوزيف حارلان . المرجع السابق. ص:4-15 ؛وعبد الرحمان غنيم.مذكرة البحث عن آدم.دار الجيل.دمشق.ط1(1992).ص:47-49.

ثم بين لهم خلق الأحياء غير الإنسان؛ أنها تتم فجأة، وذلك بعد أن أمر الخالق رسوله عيسى (عليه السلام) بتخليق أي تصنيع وتفصيل قطعة من الطين أمام الملأ بحيث لا يشك شاك أنها لم تكن كائنا حيا، ثم ينفخ فيها بعد إقراره أمامهم أن الله أمره بالنفخ فيها، فإذا هي تتحول خلال زمن وجيز لا يقدر ضبطه من ناحية التناهي في القصر بالمباشرة بعد النفخ دون انقطاع تصبح طائرا له جميع صفات الطائر الحي، وله جمع الخصائص من كونه أصبح قائما يتحرك ويطير بأجهزة حية جاهزة لم تخضع لما خضعت له بقية الطيور من مروره بمراحل يتم فيها بناء هذه الأجهزة بترتيب معهود، بل استطاع أن يوظف تلك الأجهزة دون الحاجة إلى عملية ترويض كالطيران والتصويت، وهذا بيان أن الله جعل هذه القطعة من الطين تتحول إلى طائر وهو الكائن الحي الأكثر تطورا في نظر الناس، أي أنه في تصنيف البشر هو آخر رتب الكائنات الحية في سلسلة التطور، وهذا رد على أن الترتيب الذي يبدأ من خلية بسيطة واحدة، ثم تمر بمراحل وأطوار وبعدها تعطى الفروع المتطورة والمختلفة؛ لكن الخالق جعل الحياة تنبثق فجأة في صورة آخر طور يعتقده أصحاب العقائد المنحرفة[1].

ومن خلال تصريح نصوص الوحي يتبين أن الخالق أخرج الأحياء إخراجا دون سوابق لأنه ليس في حاجة إلى ذلك، بل خروج كل فرد من بين الأحياء فهو عبارة عن انبثاق لظاهرة الحياة فجأة، بأمر الخالق: «كن» فكان. وما هذه العمليات التي يتم التكاثر بها للأنواع سواء كانت الطرق الجنسية أي التكاثر عن طريق التزاوج بين الذكران والإناث، أو عن طريق التكاثر الخضري وهو انفصال جزء من الكائن الحي ليصبح وفق قانون محكم كائنا جديدا فهو من أوامر الخالق، الذي لا لحكمه ضرورة ولا تلزمه حتمية؛ بل جعل الله فيها عبرا للإنسان وسخرها له واستخلفه فيها، وهذا كله يعد جزء من إعداد البيئة، وإبراز صفة العناية من الخالق للخلق.

لقد أعطانا الخالق أمثلة على أن ظاهرة الحياة انبثقت فجأة وهذا يستلزم وجود فاعل لها موصوف بصفات الكمال التي توجب على المخلوق العاقل التعبد له، والخضوع والانصياع قال تعالى:" وَإِلَى ثَمُود أَخَاهُمْ صَالِحا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّه مَا لَكُمْ مِنْ إِلَه غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"(73 الأعراف) لقد تكرر ذكر هذه الآية (الناقة) في القرآن سبع مرات، وذلك للتذكير

---

[1] البيضاوي .المرجع السابق. ص: 74 ، 166.

وجاء المفسرون بروايات تفيد أن صالحا عليه السلام لما دعا قومه إلى الإيمان بالله الخالق وترك عبادة الأوثان، طلبوا منه آية، وهم الذين تحدّوه على أن يدعو الله ربه أن يخرج لهم ناقة من صخرة، في طلبهم إخراج ناقة؛ لعلم أن الإبل كائن حي متطور يمتلك خصائص لا توجد لدى غيره من الكائنات الحية الأخرى، فاختاروا أعظم مخلوق، وذلك تعبيرا عن أنه لا يقدر على هذا التحدي، وإن فعل فهو رسول من الخالق حقا، فجاء كلام صالح في القرآن كله يبيّن أن الله لما خرج هذه الناقة من الصخرة فهي كائن حي واقعي وليست خيالا وذلك على ذلك أنها تأكل وتشرب وترعى كغيرها من الإبل وتلد، ويلحقها الأذى، أي يمكن أن تقتل وتموت ويؤكل لحمها كغيرها[1]، وهذا بيان أن الخالق يخرج الأحيا بواسطة انبثاقها من العدم المحض إلى الوجود المحس قال تعالى:"تمسوها بسوء" وقال تعالى:" وَيَاقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (64، 65 هود)، وقال تعالى:" وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (59 الاسراء) .
وقال تعالى:" قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ. وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ. فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ. فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ "(155 157 الشعراء) .
وقال تعالى: « إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ. وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ. فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ. فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ" (27 28 القمر) .

هذا النصوص أوضحت أنها ناقة حقيقية تأكل وتشرب. وخص لها الله يوما؛ أو قسمة في شرب الماء من بئرهم، ويوما لهم، ونهاهم عن مخالفة هذه القسمة. ونبههم أنه يلحقها الأذى وتموت كما أخرجت للحياة، وحدث هذا فعلا.[2]

هذا تقرير لنا نحن اللاحقين بعد زمن من حدوث هذه المعجزة دليل على أنها حادثة كل كائن حي على مدى الزمن، ومثال خروج هذه الناقة من صخرة حدث بحيث لا يمكن إدراك طريقة هذا التحول؛ لأن الإنسان لا يمتلك القدرة المؤهلة لتتوصل إلى الإحساس بذلك، إلا بعد تمام خلق الكائن الحي؛ لأن هذه العملية غيبية من صفات الخالق المتعال عن الحس والتصور.

---

(1) ابن كثير . تفسير القران. 3/118-119؛ والبضاوي.المرجع السابق. ص:317.

(2) البيضاوي . المرجع السابق .ص: 494، 703.

كما أشار الوحي إلى خلق الأنواع الحيوانية بنفس الطريقة التي أحدث بها معجزة صالح عليه السلام فقال تعالى:" والأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ. وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ. وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلا بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ. وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ"(5-8 النحل).

وقال تعالى:" وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ. ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ"(142-144 الأنعام). هنا النص قرر عملية خلق الأنعام كونها عنصرا بيئيا ضروريا لحياة الإنسان.

من المعقول أن تكون البيئة وهي الموطن الذي يعد لمن يستوطنه سابقا للمستوطن، وهو الإنسان، ومن ثم يمكننا القول أن الله سبحانه وتعالى خلق السماوات والأرض، وجعلهما محلا لكائنات حية، وترتيب هذه الكائنات يكون وفق القاعدة المعقولة في كون الكائن المسخر لغيره يكون سابقا والمستفيد المستهلك لاحقا. وذلك لتحصيل ما يسد متطلباته الجسمية والنفسية. جاء في القرآن أن الملائكة مسخرين للإنسان، حيث كلفوا وأمروا بحفظه وحفظ سلوكياته. وكذلك الجن ورد فيهم نص صريح يقرر أن خلقهم تم قبل خلق الإنسان في قوله تعالى:" وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ. وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ"(26-27 الحجر).

ومنه يتقرر أن خلق الكائنات الحية نباتية وحيوانية قد تم خلق كل فرد من الأحياء على حدة وانبثق للوجود حيا فجأة، أي تحول جسده المركب من مركبات وعناصر المادة الجامدة إلى جسم حي له وظائف حيوية دون أي تسلسل، وذلك أن الخالق لا يؤثر في أمره شيء، وأن تلك المقدمات والتسلسلات من التفاعل لا تنفك عن تحولها الأول إلى ظاهرة للحياة تتوفر على نشاطات حيوية من انطلاق منضبط بلحظة تفرق بين حالتين أو مرحلتين، تحدد تجاوز أو ظهور ظاهرة جديدة على هذا المركب المادي الجامد، ومن ثم يكون ظهور الحياة فجأة، ولما كان كذلك فلا حاجة إلى تطوير كائن بدائي إلى معقد، لأنه من مظاهر القدرة الفائقة ومظهر التطور الراقي هو التقليل واختزال عدة نشاطات بأجهزة صغيرة وقليلة، فتكون الأحياء الدقيقة هي الأكثر تطورا من غيرها.

وهذه النتيجة يبقى السؤال القادم عن خلق الإنسان وظهوره على وجه الكوكب لا مناص لاحقا؛ لأن جميع ما على الأرض وما فيها من مادة وظواهر وكائنات حية فما هي إلا عناصر في بيئة معدة لأداء وظيفة هذا المخلوق المتميز بقدرات نفسية وعقلية عن غيره.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني

خلق الإنسان

لقد أهتم الوحي بقضية خلق الإنسان لأهميتها الكبرى في الجانب العقدي والشرعي الموجه أساسا له، وذلك ليستحضر أول نعمة من الله بها عليه، ثم يعرف قيمته وتفضيله وتبجيله عن أغلب الخلق، بدء من الاعتناء بذكر عملية خلقه وأصل المادة التي تشكل بنية ذاته، وما تحمله هذه الذات من آيات تُظهر حسن التقويم في التركيب المتناسق بجماله ودقة أداء دور كل عضو فيه؛ بحيث لا يحتمل له هيأة أحسن ولا أوفق في الانسجام مع القوانين التي تتحكم في التفاعلات بينه وبين عناصر بيئته، وجعل الخالق في ذلك أحكاما شرعية تكليفية منذ أول مرحلة في تخليق الإنسان حين كان جنينا فحماه بتكاليف موجهة لأبويه، وضمن له بها حقوقه، كما تواصل تلك الأحكام مهمتها في فرض رعايته على حساب الوالدين والجماعة، حتى يبلغ مرحلة يصبح هو فيها مخاطب بالتكليف. ولبيان هاتين العمليتين لقد قسمت المبحث مطلبين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول

خلق آدم (أول إنسان)

أولا- تعريف الإنسان: هو المخلوق الحي العاقل المحس الذي يعيش على وجه القشرة الأرضية يقوم بجميع الوظائف الحيوية، وورد له في اللغة عدة أسماء منها الإنس والبشر.

وإنسان نوع وجمعه ناس ويسمى إنسانا استدلالا بقول ابن عباس τ أنه: إنما يسمى إنسانا لأنه عهد إليه فنسي[1].

لقد ورد ذكر الإنسان في القرآن بلفظ إنسان 65 مرة وبلفظ آدم **25** مرة، والإنس **19** مرة، وبلفظ النفس **295** مرة، وبلفظ الناس **241** مرة وبلفظ بشر **37** مرة، وتنوع هذه الألفاظ تدلل على نوع الإنسان بجميع جوانبه التي خلق عليها بدء من جسده المادي وبنفسه، وإحساسه وروحه وأخلاقه، وتعبده لله، وكذلك استخلافه في الأرض، والقوى التي منحه إياها الخالق وأفضليته على بقية الخلائق وذلك أن الله سبحانه سخرها له[2].

يُعرّف بحث خلق الإنسان وجودَه الذي ينفي عدمه ويثبت ظهوره جسميا ومعنويا، وبذلك يستدل على أن هذا الكائن حادث في العالم، وخروجه إليه، أو نشوء كيانه، وطريقة تشكله في الطبيعة من جانب صورة أول إنسان في شكل جسده، وما مصدره الذي صدر عنه، وهل كان وجوده كاملا في جميع جوانبه؛ أو تلاحقت أوصاف بعد الوجود الأول؟. فكل هذه الأسئلة جاء حلها في القرآن الكريم، وجاء معها الجواب الشامل، الذي تناول قضية خلق الإنسان من أول فرد وكيفية صدوره من مادته الأصلية، وبعد ذلك جاء تفصيل عن نشأة، وتخليق أفراد أو فروع الفرد الأول بطريقة واضحة جلية متوافقة مع الحقيقة الواقعية[3].

---

(1) – الدميري:كمال الدين محمد بن موسى الدميري. .حياة الحيوان. دار التحرير. القاهرة.ط(1965). 72/1.

(2) – صالح موسى درادكه. الإنسان في القرآن الكريم. دار الهجرة. ط 1(1978).ص:9-10؛ وإخوان الصفاء. الرسائل.دار بيروت.ط(1983). 372/2.

(3) – عبد المجيد عمر النجار. مبدأ الإنسان. دار الزيتونة للنشر. المغرب. ط1(1996). ص:23-26 .

ثانيا– البنية الجسدية للإنسان:

إن تركيب الإنسان متميز عن غيره من الكائنات الحية الغيبية والمحسة بوجود جانب غيبي في ذاته له أثر كبير في توجيه سلوكياته وضبط علاقاته، بحيث لو كان هناك أي مؤثرات فإنها تؤثر فيه على وجهين حسي ومعنوي؛ أي وجود علاقة بين البنية الغيبية والمادية، وخصوصا التفاعلات الوظيفية الكيماوية والحركيات الخارجية، وتأثيره في غيره من المخلوقات الأخرى؛ أي امتيازه بإرادة مستقلة وحرية، عكس خلاف الحيوانات والنباتات التي حركياتها وتفاعلاتها الداخلية والخارجية خاضعة لقوانين ضابطة محكمة وفق كميات، ونوعيات من المادة (المركبات)، وآثار العوامل الطبيعية البيئية (الحرارة والرطوبة والضغط ودرجات الحموضة، والملوحة، والتركيز)[1] إلا أن لها بعض التأثيرات على الإنسان؛ لكن إلى حد معين، وليس بإطلاق، أي أنه يمكنه التحكم في جوانب منها، دون جوانب أخرى.

كما توجد شراكة بين تركيبة الإنسان المادية وبعض الكائنات الموجودة معه في محيطه، بل توجد أوجه شبه في الشكل الظاهري، والبنية المادية الداخلية، كما توجد مغايرات أخرى من الجانب المادي والجانب المعنوي (النفس)، وعلى هذا الأساس فإننا نلحظ تركيبة الإنسان مشكلة من عنصرين أساسين، وهما العنصر الجسدي ومقوماته المادية، والعنصر النفسي والروحي المخالف لغيره الخاص به[2].

أما البنية الجسديه للإنسان تتركب من العناصر الماديه الموجودة في محيط الإنسان المادي الطبيعي، والحيوي المشكل من الكائنات الحية الدقيقة، والمعقدة من نباتات وحيوانات، وما يشكله جسم الإنسان من مركبات خاصة به كالهرمونات، والإنزيمات ويتركب الجسم المادي للإنسان من النسب الآتية :

ماء	% 68
بروتين	% 15
رماد	%5
مواد نشوية	% 0,5
دهون	%13

---

(1)– أمير عبد العزيز . الإنسان في الإسلام. دار الفرقان. ط2(1986).ص: 11-14.

(2) –صالح دراد كه. المرجع السابق. ص:18.

أما كميات الأملاح فحوالي 20 غرام والسكر حوالي 220 غرام، ومن الحديد 60 غرام[1] وهذا الجسد المركب الميت من عناصر مادية أرضية محضة فإنه يشبه المحل أو المسكن للنفس والروح المميز لجنس الإنسان عن غيره من الكائنات، ولذا كان مجيء هذا المخلوق متأخرا لاجتماع الخصائل المادية والمعنوية فيه، وأخذه متطلبات بنيته الجسدية من محيط البيئة التي هيأها له الخالق وسطا ملائما يعيش فيه ويحتمي به، واختص بخصائل علوية ألا وهي صفات النفس والروح السامية التي تظهر آثارها في المثل العليا، والأخلاق النبيلة القاهرة لدوافع المادة، ونوازع النفس، والداعية لتغليب تشييع مواقعها الفعالة والمتفاعلة مع عناصر البيئة سلبا وإيجابا.

قد تميز الإنسان بصفات متعددة عن الحيوانات الأخرى؛ وذلك من الناحيتين التشريحية والنفسية، فقد تميز بانتصاب قامته، وضخامة فحفه (الجمجمة)، ووزن دماغه، وتفرده بالنطق، وبالبشرة العارية من الأشعار والأوبار، والرأس المكسوة بالشعر[2].

هناك عدد محدود من كتير من المفكرين المسلمين المحدثين والقدماء فسروا ظهور وخلق الإنسان على أساس أنه وحدة من مجموع الكائنات الحية الحيوانية، تتحت وتميزت عن باقي الوحدات، بسبب قانون التطور الذي يحكم جميع الكائنات الحية، فجاء نوع الإنسان في أرقاها، إذ يأتي هؤلاء بنصوص القرآن ويعطونها صبغة؛ حيث يصبح مفهوم ألفاظها ودلالتها مطابقا لمفهوم تلك النظريات، ومنهم من عن الانسياق وراء تلك الفرضيات لم يكن بالأمر المستحدث بل أغلب الفرضيات التي قال بها الباحثون الغربيون لقد سبقهم بها باحثون إسلاميون؛ مثل ابن مسكويه، وابن خلدون...الخ؟ ولقد جاء البعض من المحدثين يقرر صحة التدليل على أن مفهوم القرآن مطابق للفرضيات، مثال محمد جمال الدين أفندي ومحمد يوسف حسن في كتابهما «قصة السموات والأرض» يقدمان حلا لبعض الإشكاليات التي حدثت في فرضيات التطور والارتقاء، ويجمعان معلومات عن الحلقة المفقودة في نظرية داروين، ويرسمان شجرة تبين نسب الإنسان والحداره من الرأسيات العليا، ويوثقان أنه يوجد بعض أنواع من البشر انقرضت، ويعرضان الأدوات، والأسلحة التي كان يستخدمها هؤلاء البشر المنقرضون، ويوصلان هذه الأنواع بالإنسان الحديث[3]، الذي ظهر منذ 75 مليون سنة، ثم كان متميزا ومخالفا عن غيره من

---

(1)- أمير عبد العزيز . المرجع السابق. ص:13-14.

(2) -محفوظ علي عزام . نظريات التطور عند مفكري الإسلام. دار الهداية. ط2 (1986م). ص:62.

(3) – محمد جمال الدين أفندي، ومحمد يوسف حسن. قصة السماوات والأرض.دار الشعب القاهرة.ط4.ص:100-105.

الحيوانات الأخرى: " فقد كان الصراع من أجل البقاء بين هذه المجموعة يعتمد أول ما يعتمد على المرونة والمكر والحيلة، بعكس الثديات الأخرى الأرضية...هكذا متعلقا بتحرر يديه. فحرية اليد أغنت عن الحاجة على شفاه ممدودة أو أسنان معقوفة...مما أدى إلى تطور عاطفة البنوة ورسوخها وازدياد الروابط العائلية، وطول مدة التلقين والتعليم....وهكذا نشأ الإنسان بعد أن أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا "[1]، ثم يذهبان إلى شرح فرضية التطور على أساس أنها حقيقة ثابتة فجاءوا بأدلة مثل بقاء أثار بعض الأعضاء كما سماها على أنها كانت محل عضو زال أو استبدل بغيره، مثل صيوان الأذن عند الإنسان ومقارنته بصيوان التدييات، وطريقة الحمل ووضع الجنين والرضاعة، على أن صوّرا فرضية التطور في شكل معادلة، كأنها قطعية: اختلاف الصفات + الانتخاب الطبيعي = التطور (تكامل تكيف الكائن بتعاقب الأجيال). [2]

ثم يستدلان على توافقهما مع نصوص الوحي بإيراد قوله تعالى:" سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ"(53 فصلت)، قد نسبا هذه الآراء إلى مفاهيم نصوص الوحي؛ بل قررا أنها هي مراد الخطاب بقولهما: "هنا، وعند هذه المرحلة حيث يبدو تعدد الطرق...نجد أن الفلسفة والدين يتفقان. فإن فكرة الألوهة هي التي تفسر هذا الكون وتعطيه معنى ومغزى نعم أنه الله الذي وضع قصة السماوات والأرض"[3].

وبهذه الآراء نخلص إلى أن التطور هو التسلسل مع التحور، فالأقرباء يحملون صفات متشابهة لأنهم ينحدرون من أصل واحد والاختلاف بين أفراد الأقارب ما هو إلا اشتقاق لصفات من أصل؛ لكن هذه التعريفات والأقاويل والاستدلالات لا تعني أن الإنسان أصله قرد أو حيوان [4].

لقد أثرت الظروف الجغرافية وعلم الوظائف للأعضاء، والتشريح المقارن، وعلم الحفريات والمستحثات على فكر الباحثين؛ بحيث أصبحت أدلة تدلل على قناعة بوجود التطور

---

(1) -المرجع السابق. ص:105-106.

(2) -المرجع السابق. ص:106-111.

(3) -المرجع السابق. ص :111-117.

(4) -ادوارد و .دودسن. التطور عملياته ونتائجه.ترجمة:أمين رشيد حمدي،ورمسيس لطفي. عالم الكتب.ط(1969).ص:5.

على أساس أنه قانون طبيعي ينظم ظاهرة الحياة وتوزيع الأحياء بيئيا في العصر الواحد، ويوزعها وجودا وتفاعلا مع الظروف البيئية تاريخيا، لذلك جاءت الأحافير وكأنها مصنفة ومرتبة كل نوع مقدمة لما يلحقه تاريخيا، وما يجاوره في بيئته أثناء حقبة واحدة[1].

ومن الموافقات؛ الوحي لما صاغ خبر خلق الكائنات لم ينبه إلى تلك التفاعلات التي يظن الناس أنها هي الأسباب المولودة للكائنات، بل نبه أن الفاعل للخلق هو الله، وجاءت عملية الفعل من الله بالخلق بفعل أمر:كن فيكون مباشرة دون مقدمات، وما الأسباب التي يراها ويحس بها الإنسان، إلا آليات تخص المخلوقات في الترتيب والنظام.

لقد نصت آيات بيّنات في خلق آدم على أنه هو الإنسان الأول الذي يحمل جميع صفات الإنسان من الحواس والعقل والقدرة على الانبعاث في الأفعال بحرية، وله قوة يتحكم بها في غرائزه ونوازعه.

ثالثا- خلق آدم في القرآن:

ورد ذكر الإنسان في القرآن بألفاظ مختلفة **682** مرة، وجاءت آيات عديدة تبين مكانته ووظيفته. قال تعالى: " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (30 البقرة). من خطاب القرآن الكريم يظهر لنا أن الله لم يخبر الملائكة بخلق الإنسان دون إخبارهم بخلق غيره إلا لمكانة هذا المخلوق عنده[2]، قال تعالى: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا" (70 الإسراء).

وتنقسم عملية خلق الإنسان إلى مراتب:

1- خلق هيأة الإنسان لا على صورة أو مثال سابق: وهذا لا تفسير له إلا بقدرة الله الخالقة الخارقة[3].المقصود بها شكل الذات وتناسق الأعضاء فيها بنمط تراعى فيه جميع الجوانب الجمالية واختصار عدد الأعضاء مع عدم الإخلال بالوظائف والأدوار لكل واحد منها، وفي الوقت نفسه لا تكون مرهقة في تحملها ولا معيقة لراحة أو حركة، أو فعل غريزي، أو عقلي.

---

1 - المرجع السابق : ص 25-43.

2 - ابن كثير .بداية خلق الكون. تحقيق:عادل أبو المعاطي.دار البشير.ط(1993).ص:190-192.

3 - سيد قطب. في ظلال القرآن. ص: 52/1؛ وابن كثير. تفسير القرآن. ص: 116/1؛ والقرطبي. الجامع لأحكام القرآن. ص: 249/1.

هذه البنية المتكاملة في الأدوار والمحتفظة بجمالها دليل على عظمة مبدعها، وفضل حاملها وكبر مسئوليته تجاه بيئته وخالقه.

2- خلق جسد آدم من طين الأرض: قال تعالى: " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ.فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ"(28-29 الحجر).

تكررت هذه الآية عدة مرات في القرآن الكريم، فالله تعالى بين هنا أنه خلق جسد الإنسان من طين الأرض، ثم ميزه بأن نفخ فيه من روحه والروح "ذات مجردة عن المادة وأنها جسم نوراني علوي حي يغاير هذا الجسم المادي"[1]. ولقد كفانا الله مشقة البحث في حقيقة الروح فقال: " ويسألونك عنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إلا قليلا "(85 الإسراء).

أما الصلصال فمعناه الطين اليابس الذي له صوت ولم يشوى على النار وعندما يشوى يصبح فخارا أو خزفا[2]. وقيل إذا أنتن الطين صار صلصالا. والحمأ هو الطين المتحمر الأسود. والمسنون هو الطين المتشكل أو المصبوب في قالب، ومعنى قوله تعالى: **"من صلصال من حمأ مسنون"** أن الخالق شكل جسم الإنسان من الحمأ وعندما يبس صار كالتمثال المفرغ الذي يدوي عند قرعه[3].

وبعد تسوية جسد آدم نفخ الله فيه الروح. إن عملية النفخ صفة من صفات الخالق لا ندركها، والمفهوم العام أن الله بث الحياة في هذا الجسد فصار حيا يمتلك ما أودع الله فيه من ملكات وغرائز، وهو لا يختلف عن بنيه في مواصفاتهم وله لغة يتكلم بها وذلك بصريح القرآن **"وعلم آدم الأسماء كلها"** ثم قال تعالى: **"وخلق منها زوجها"**(النساء). أو خلق حواء من آدم.

لقد أخرج أبو حاتم عن الضحاك قال: "خلق حواء من آدم من ضلع الخلف وهو أسفل الأضلاع"[4]. في حين نجد بعض المسلمين المتأثرين بالفرضيات العلمية الحديثة يعتقدون أن آدم لم يخلق مباشرة من الطين؛ إنما هو حلقة في سلسلة التطور للحياة إذ كان الطين الموجود على

---

(1)-السيد سابق. العقائد الإسلامية. دار الفكر العربي. ط (1978-).ص: 224.

(2) -ابن منظور. لسان العرب. 11/380-384.

(3)-إسماعيل حقي البرسوي. روح البيان. دار التراث العربي. بيروت.ص: 14/453؛ والقرطبي. المرجع السابق.10/24

(4) -السيوطي. الدر المنثور. 2/116.

شاطئ البحار منشأ الحياة المتمثلة في البكتيريا والطحالب، ومنها تطورت الكائنات الأكثر تعقيدا، وهكذا تنقل الإنسان في الطين من عالم إلى عالم، ومن خلق إلى خلق، حتى جاءت آخر حلقة في التطور في شجرة الحياة، فكانت هي الإنسان ذلك قوله تعالى: "**فإذا سويته ونفخت فيه من روحي**" معنى التسوية هنا هو: انتقال مراحل التطور حتى تصل إلى البشر السوي، وبذلك فإن آدم لم يصدر من الطين مباشرة بل ظل دهورا طويلة في بوتقة الزمن حتى نضج[1]. وهذا يعارض نصوصا كثيرة في القرآن، وإنه لمزلق وقع فيه الكثير من التُّبع للفرضيات والنظريات كما حدث للفلاسفة من قبل.

3-**خلق نسل آدم:** بعد أن خلق الله آدم من تراب وسواه بشرا حيا بقيت عملية التخليق من التراب خاصة بآدم: أما أبناؤه فكانت عملية تخليق أجسامهم مخالفة، ويتمثل هذا في قوله تعالى:" ثُمَّ جعلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ. ثُمَّ سوّاهُ ونَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ والأبْصارَ والأفْئِدَةَ قَلِيلا ما تَشْكُرُونَ"(8-9 السجدة.) تدل الآية على أن الله خلق آدم من تراب ثم سواه. ثم نفخ فيه الحياة التي تتمثل في السمع والبصر والفؤاد...إلخ.

فصفة التسوية تبقى سارية المفعول على جسم الإنسان سواء من طين أم من لحم، وكذلك نفخ الحياة وبثها في الجسم. لكن الاختلاف وقع في بني آدم حيث أصبح بناء أجسامهم من اللحم لا من الطين. وتتم عن طريق نمو الجنين وتطوره إلى أن يصبح جسما سويا حيا[2].

رابعا- خلق آدم في الفكر البشري:

ولقد تأثر كثير من الباحثين الإسلاميين بأقوال بعض الباحثين المنتمين إلى المدرسة العلمية أو ما يسمونه بالبحث العلمي المجرد من الأفكار المسبقة، فجاءوا بفرضيات قابلة للتصويب. وأخر هؤلاء في هذا المسار. مما دعا هؤلاء لترتيب أصناف الكائنات الحية الموجودة على أساس التركيب العضوي لأجسام هذه المخلوقات، وتوفر حفريات ضمن طبقات الأرض هو المسوغ للحكم بأن الأقدم والأبسط في التركيب هو الأسبق، وأنه هو أصل اللاحق في الظهور، ثم بنوا على هذا التصور حكما علميا وتواضعوا عليه، وأصبح هو المسوغ العلمي والعقلي، أي هو أساس القناعة في ترتيب المخلوقات زمنيا وتعضيا، لكن عند البحث والإمعان

---

(1)- عبد الكريم الخطيب. قصتا آدم ويوسف. ص: 26،27؛ ويسري عبد الرزاق. الجواهري. السلالات البشرية. ص: 59-114.

(2)- ابن كثير. تفسير القرآن. 406/5، 159؛ والقرطبي. الجامع لأحكام القرآن. 91/14، 50/13.

نجد الكثير من الباحثين أنصب بحثهم ليس تحريا للحقيقة، إنما كان جمعا لأدلة تثبت صحة الافتراض وتؤسس القناعة به بغض النظر أهو عين الحقيقة أم كان غيرها.

1-نظرة بعض المفكرين الإسلاميين:

انصاع بعض الباحثين المسلمين وأخذوا سياق الفكر المادي، وراحوا يفسرون آيات القرآن على منوال قواعد الباحثين الآريين، ومثال هؤلاء عبد الكريم الخطيب في كتابه التفسير القرآني للقرآن، فيقول:"آدام أرضي المولد والنشأة والموطن وأنه طينة الأرض منشأ، وفي الأرض يتقلب، وفي شئونها يتصرف[1]. وفي هذا يقول تعالى: " مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وفيها نُعِيدُكُمْ ومِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرَى "(55 طه)".

ثم يواصل أن البحث الذي يقدمه هو مسعى لتنقية التفاسير من الإسرائيليات التي مصدرها معتقدات الشعوب القديمة وأساطير الديانات الوثنية فيقول:"ونريد هنا أن نقف قليلا مع قصة الخلق –خلق آدم – كما تحدث عنها القرآن، لا على ما جاءت به التفاسير من إسرائيليات وأساطير عن خلق آدم. فألقت بذلك ظلالا على آيات الله، وأخرجت منها مفهوما لخلق آدم، يبعد كثيرا عما صرح به منطوق الآيات ومفهومها، ويتصادم أيضا مع حقائق العلم الحديث فيما كشف عنه علم الحياة وأصل الأنواع، بل ويصادر العقل الإسلامي الذي يفهم القرآن على ضوء هذه التفاسير، فلا نجد له سبيلا إلى النظر والبحث على أصل الإنسان، ومكانه في سلسلة التطور"[2].

وذلك باستناده إلى الآيات، كقوله تعالى تعالى:" ولَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حمإٍ مسْنُونٍ "(26 الحجر) وقوله تعالى:" ولَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ" (12 المؤمنون) وقوله تعالى:" مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا. وقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا...وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا" (13-14-17نوح)، هنا قررت النصوص أن أصل المادة التي تم خلق جسد الإنسان منها هي الطين، لكن السؤال الناجم من هذا المفهوم هو كيف حدث هذا التخليق أو التخريج للإنسان من طبيعة المادة الطينية وتحويلها إلى جسد حي له تفاعلات حيوية ونشاطا يثبت انه كائن حي ؟

---

(1) ـ عبد الكريم الخطيب. التفسير القرآني للقرآن. دار الفكر .د.ط.ت. ص: 59/1.

(2)ـ المرجع نفسه.

يذهب في تفسيره لهذه النصوص: أن هذا التحول (الخلق) من المادة الطينية الأصل الأول لأجسام أو جسد الإنسان؛ تمت عن طريق التحويرات، أو التقلبات في أطوار عديدة، ثم ختمت هذه التقلبات والتطورات بظهور الإنسان كمرحلة أخيرة نهائية.

يذهب عبد الكريم الخطيب إلى تخريج المفاهيم من نصوص الوحي: "فالتراب هو المادة الأولى في خلق الإنسان، يلبس التراب طورا آخر هو الطين، ويتنقل الطين إلى طور جديد هو الصلصال ثم الصلصال إلى حمأ مسنون...حتى يكون إنسانا: والحمأ المسنون هو الطين بعد أن يتخمر ويتعفن وبين طور الطين والحمأ المسنون طور آخر هو الصلصال الذي يتحول فيه الطين إلى مادة من الزبد تشبه الفخار...وإن التخمر والتعفن الذي أصاب الطين جعله (الحمأ المسنون) هو بشائر الحياة إذا هو البكتريا التي تولدت منها خمائر الحياة وظهرت منها حرثومتها الأولى وذلك ما أشار إليه النص القرآني: " مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا...وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا (13-17نوح)...الخ"

مقررات العلم الحديث تقول: "إن الحياة ظهرت على هذه الأرض أول ما ظهرت على شواطئ البحار، حين يتكون الطين فالزبد فالحمأ المسنون فالصلصال فالنبات فالحيوان فالإنسان...هذه الأطوار قد سارت عبر ملايين السنين حتى أثمرت شجرتها الأولى أكمل وأكرم ثمرة هي الإنسان"[1].

بل يذهب إلى إقرار نظريات التطور:" فمثلا نظرية داروين في أصل الأنواع وفي النشوء والارتقاء هذه النظرية كانت ولا تزال عند كثير ممن أخطأوا فهم الآيات القرآنية في خلق آدم عن هذه النقول الخرافية وهذه المقولات الأسطورية التي جمعها المفسرون والقصاص من كل ساقطة ولاقطة"[2].

ثم يواصل في عرض عدم تناقض ما جاء به داروين أنه من نواتج العقل والتجربة أي أنها علم دقيق، ويرد على العلماء من أهل الأديان أنهم هاجموا وماحوا ضد معرفة قائمة على تجربة وعقل ثم توقع الرد عليه بقوله تعالى:"وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ. فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا

---

(1) -عبد الكريم الخطيب. التفسير القرآني للقرآن. ص:61.

(2) -المرجع السابق.ص:64-65.

كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ"(35-36البقرة).

وقوله تعالى:" وَيَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنْ الظَّالِمِينَ... قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ" (19-24 الأعراف)، فإذا قلنا له أين هذه الجنة وما هو هذا الهبوط الموجه إلى الأرض الذي يدل على أن الجنة موقع ومحل صالح لحياة آدم ولا عناء فيه ولا تعب، ولكن لما عصى آدم الرجل الأول في العالم خرج من الجنة، ووجه بالهبوط إلى الأرض؟

لقد رد عبد الكريم الخطيب بقول الفيلسوف محمد إقبال:"وهكذا نرى أن قصة هبوط آدم كما جاءت في القرآن لا صلة لها بظهور الإنسان الأول على هذا الكوكب، وإنما أريد بها بالأحرى بيان ارتقاء الإنسان، من بدائية الشهوة الغريزية إلى الشعور بأن له نفسا حرة قادرة على الشك والعصيان...وليس يعني الهبوط أي فساد أخلاقي بل هو انتقال الإنسان من الشعور البسيط إلى ظهور أول بارقة من بوارق الشعور بالنفس هو نوع من اليقظة في حلم الطبيعة. أحدثتها خفقة من الشعور بأن للإنسان صلة علّيه شخصية بوجوده...وهو أن آدم لم يجئ من الطين مباشرة إنما كان ذلك بعد سلسلة طويلة من التطورات. وبعد عمليات معقدة من التصفية والانتخاب استمرت ملايين السنين حتى انتهت بظهور الإنسان على تلك الصورة التي علا بها جميع أبناء سلالاته..." [1].

هكذا انتهى السيد عبد الكريم الخطيب إلى تفسير الآيات القرآنية دون أن يبين ماهية الجنة التي أُخرج منها أبونا آدم، وما هو هذا الخروج، وأين حدث أهو مكاني أم زماني؟

أما تأويل محمد إقبال جاء بعيدا يحمل معاني لا يمكن تحميلها للنص القرآني العربي.

ولقد قال بعض العلماء المسلمين القدماء بأقوال تفيد القول بالنظريات وفرضيات التطور، وهناك ما يفهم من كلامه القول بالتطور مثل ابن مسكويه في كتابه تهذيب الأخلاق في بـــاب الأجسام الطبيعية: "إن الأجسام الطبيعية كلها تشترك في الحد الذي يعمها ثم تتفاضل...فإذا بلغ إلى أن يقبل صورة النبات صار بزيادة هذه أفضل من الجماد ذلك أن بعضه يفـــارق الجمـــاد مفارقة يسيرة كالمرجان وأشباهه، ثم يتدرج فيها فيحصل له من هذه الزيادة شيء فبعضه ينبت

---

[1]- عبد الكريم الخطيب. التفسير القرآني للقرآن. 1/63-68.

من غير زرع ولا بذر ولا يحفظ نوعه بالثمر والبزر...ثم تزداد هذه الفضيلة في النبات ويفضل بعضه على بعض بنظام وترتيب حتى تظهر فيه قوة الإثمار...ولا يزال يشرف ويفضل بعضه على بعض حتى يبلغ إلى أفقه ويصير في أفق الحيوان وهي كرام الشجر كالزيتون والرمان والكرم...إلى أن تصير في أفق الحيوان فلا تحمل زيادة، وذلك أنها قبلت زيادة يسيرة صارت حيوانا وخرجت عن أفق النبات...وقد روى في الخبر ما هو كالإشارة أو كالرمز إلى هذا المعنى وهو قوله (ﷺ): «أكرموا عماتكم النخل فإنها خلقت من بقية طينة آدم»... هذه الأحوال تتزايد في الحيوان حتى يقرب من أفق الإنسان...وهذه غاية أفق الحيوان التي أن تجاوزها وقبل زيادة يسيرة خرج بها عن أفقه وصار في أفق الإنسان الذي يقبل العقل والتمييز والنطق...كأواخر الترك من بلاد يأجوج ومأجوج وأواخر الزنج وأشباههم من الأمم التي لا تميز عن القرود إلا بمرتبة يسيرة»[1].

2-نظريات التطور:

لقد تملص المفكرون الأوربيون من الفكر اللاهوتي المسيحي ونفوا كل أطروحاته بعد المعاناة التي لحقت الباحثين من جراء كشوفهم العلمية التي جاءت مناقضة لكثير من الأساطير التي كانت الديانة المسيحية تنوء بها. لقد دفع هذا الأمر هؤلاء إلى معارضة كل مصدر معرفي لا يعتمد على العقل البشري وتجاربه في الطبيعة فكان نصيب قضية خلق الإنسان الإلغاء؛ ووضع الإنسان موضع الدراسة والبحث كغيره من العناصر الطبيعية، تصح فيه الافتراضات والنظريات الخاضعة للتصويب والتحديد.

أ- لامارك:

يرى أن الطبيعة هي التي تفرض على الكائن الحي أن يغير من هيئته ليتكيف مع الظروف المستجدة، ومن ثم فإنه إذا أهمل عضوا و لم يستخدمه فإنه سيضمحل ولا يظهر في الأجيال القادمة، وكذلك إذا استخدم عضوا أكثر من غيره فإنه ينمو ويتكيف مع عمله ويتوارث ذلك في الأبناء[2]. مثل آكل النمل الأدرد كان أسلافه يملكون أسناناً ولساناً قصيراً، ولما اقتصر على

---

(1) - ابن مسكويه: أبو علي أحمد بن محمد. تهذيب الأخلاق. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1(1985).ص:55-59.

(2)- صادق شحاتة عمارة. سر الحياة. مطبعة لجنة البيان العربي. القاهرة. ط (1375هـ 1956م).ص: 72، وموريس

أكل النمل بالارتشاف ولم يستخدم أسنانه، وركز على لسانه أدى هذا إلى اضمحلال الأسنان وطول اللسان.

أراد لامارك وأتباعه تطبيق هذا على الإنسان لأنه عندهم في عداد الحيوانات. ولم يميز لامارك بين الصفات المميزة للجنس والنوع، والمكتسبة عن طريق التكيف مع البيئة، هذه الأخيرة قابلة للاكتساب والفقدان دون التأثير على هيئة الكائن الحي؛ مثل عدم الإثمار في بعض النباتات لما تغير لها البيئة فتصبح غير مثمرة، وهذا لا يؤثر على أوصافها الجنسية أو النوعية؛ لأنه إذا ما أعيدت إلى البيئة الملائمة أثمرت. أما أن تغير نوعيتها فهذا من المستحيل لأنه لا يتحدث إلا عن طريق الطفرة ومن خصائص الطفرة أنها تعود إلى الأصل أو تنقرض.

ب- داروين:

عرض داروين نظريته بشكل يختلف عن لا مارك فهو يرى "أن كل الأحياء التي نراها الآن إنما هي سلالات لأحياء أخرى سبقتها في الوجود وعاشت قبلها من أقدم العصور الجيولوجية...وقد نشأت الحياة في بدء الخلقية على صورة بسيطة أو تمثلت في بضعة مخلوقات أولية دنيئة يرجح أنها كانت قوية الشبه بالحيوانات الأولية"[1].

وهذا التطور يراه داروين يتم عن طريق الانتقاء الطبيعي: أي أن أفراد النوع الواحد متفاوتون في المواصفات فالبيئة تسحق كل من لا يتحملها وهكذا عبر العصور تجددت الأحياء، وهذا قانون بيولوجي إذ يؤدي التفاوت في القدرات بين أفراد النوع الواحد إلى الصراع على المأوى والمصادر الغذائية إلى فناء كل الأفراد الأقل كفاءة ويستمر وجود الأكثر تأهيلا وهم فيما بينهم تفاوت يؤدي إلى كسب الخلف تلك المواصفات وهكذا تكون بدايات التمايز بين الأفراد؛ حتى تصبح سلالات ذات صفات متباينة.[2].

كما أنه قعد لقانون لامارك القائل الإسقاط بالإهمال والاكتساب بالاستعمال في قوله:"إذ أني أشك فيما إذا كانت الأنواع في الطبيعة تعاني أية تغيرات مفاجئة البتة. إني اعتقد أن عدم الاستعمال

=بوكاي. ما أصل الإنسان. ترجمة: مكتب التربية العربي لدول الخليج. ط12(1985م). ص: 40، 43.

(1) صادق شحاتة عمارة. سر الحياة. ص: 46، 47.

(2)-تشارلز داروين.أصل الأنواع.دار موفم للنشر.الجزائر.ط(1991).1/113-193؛وموريس بوكاي. ما أصل الإنسان. ص: 44،46 ؛ومحمد أحمد باشميل.المرجع السابق.ص:43-44 ؛و: Nestourkh. M. L'origine de l'homme. Ed: Mir.1983. pp:18.

كان العامل الأساسي، وأنه أدى في الأجيال المتعاقبة إلى الاختزال التدريجي للأعضاء المختلفة حتى صارت أثرية- كما في حالة الأعين في الحيوانات التي تقطن الكهوف المظلمة..." [1].

ولما وصل داروين إلى الإنسان وأراد ربطه بغيره من الحيوانات وجد بعدا شاسعاً في الترتيب. جاء ظهور الإنسان كائنا عاقلا متميزا بدون مقدمات تربطه بغيره من الكائنات فسمَّى داروين ذلك بالحلقة المفقودة.

جاء بعده من يقول بوجود تلك الحلقة في حفائر (جاوة، ورودبسيا)، ولكن لم يتمكن هؤلاء الباحثون من تصنيف الجماجم المكشوفة أنها للإنسان ولا للقردة فسموها بالقرد البشري[2]. فإن علل داروين وأتباعه لهذه التغيرات بأنها تحدث عن طريق تأثير العوامل الطبيعية الخاصة فتحدث طفرات في النوع فينغير إلى نوع آخر.

إن أبسط مشكلة يتلقونها هي تعميم الظرف الذي يحدث الطفرة على بقاع الأرض وهذا مستحيل لأن الأرض مناخها متغير ومتمايز إلى مناطق وأقاليم متباينة، وقد نجد نوعا واحدا من الكائنات قادرا على التعايش في مناطق واسعة ووجوده قديم جدا فلماذا لم ينقرض ويخل محله جيل مختلف عنه؟.

كما أن هناك ردود كثيرة من قبل علماء الأحياء على صلاحية تطور بعض الفئات من غيرها، يذهب الباحث ليكوست دينوي إلى القول: "أن أصل الحيوانات الفقرية والتي من وجهة نظرنا أهم مجموعة في عالم الحيوان لم يتمكن من تفسيره حتى الآن تفسيرا كاملا "[3].

ويذهب في مقال آخر:"إن جميع أنماط الزواحف التي تعود إلى الرتب الثلاث ظهرت فجأة ومن المستحيل ربطها بأي سلف أرضي. ونفس الشيء ينطبق على السلاحف" [4].

لقد قامت دراسات كيماوية حيوية أثبتت أن إمكانية تحول بعض المركبات الكيماوية داخل أجسام كائنات حية، حتى تصبح متوائمة مع مركبات أخرى في أجسام كائنات أخرى حية؛ وجد أن الجزيء الواحد كي يحدث له تغير في موضع لموقع فعال يستغرق أكثر من900 مليون سنة ؛أي ما يقارب مليار سنة؛ ومن ذلك لو افترضنا تطور خلية بكامل محتوياتها

---

(1)- تشارلز داروين.المرجع السابق.427/2.

(2) - صادق شحاتة. نفس المرجع السابق. ص: 50، 51.

(3) - محمد علي يوسف.مصرع الداروينية.دار الشروق.بيروت.ط1(1983م).ص:52.

(4) — المرجع نفسه.

الكيماوية إلى نمط جديد لخلية أخرى، أو حلقة حياة كائن آخر فإنه يستغرق من الزمن ما يفوق عمر الكون بمرات[1].

حتى ولو كانت الظروف الموجودة على وجه كوكب الأرض مساعدة لعمليات التطور فإن ذلك يستدعي ويتطلب زمنا يفوق 9 ملايير سنة، وبعد ذلك لا يعطي طرازا مميزا للأصل أي غير ثابت، بمعنى لا يمكن أن يصبح أصلا لغيره[2]، فالسؤال كيف حدث هذا التطور على افتراض صحته؟ والسؤال الأصلي كيفية انبثاق الخلية الأولى هل هي وحدة واحدة؟ أو هناك حادث أدى إلى ظهور عديد من الوحدات الحية الأولى؟ فيكون الإشكال الموضوع إذا جاءت الوحدات متشابهة فإن ذلك يتطلب توجيها أو قوة تفرض هذا النمط وفي حالة عدم وجود هذا الموجه فإنه من الضروري احتمال ظهور أنماط لأحياء أخرى، وهذا ينفيه الواقع الذي توجد بقايا كائناته الحية. ومن الثابت نلاحظ نمطا واحدا، مثلا لم يكشف علم الآثار والمستحثات -إلى حد الساعة- على وجود كائنات حية أساس تركيب أجسامها ليس عنصر الكربون والأكسجين والهيدروجين. لماذا لا يكون العنصر الأساسي هو الكبريت أو أي عنصر آخر؟ [3].

ولم يثبت علماء الهندسة الوراثية أي أمر من أقوال نظريات التطور. بل لا تزال البحوث يوما بعد يوم تجد أمامها قضايا داخل الخلايا سواء تفاعلات أم عملية تجديد عضو، أو علاقته بغيره لا تزال هذه القضايا مجهولة، وكلما يقال أنها ذات أصل غير معروف أو مجهول، فإذا كان إحصاء وتحديد تفاعلات وعمليات نعايشها في الواقع؛ بل تقع داخل أجسامنا نجهلها فكيف بنا أن نحدد بدقة متناهية عن نواتج لتفاعلات لم نعرف عن ظروفها الطبيعية ولا العوامل المتحكمة فيها أنها أصل أو فرع من غيرها؟.

كلما يمكن قوله أن ترتيب الكائنات وفق نسق يوحي أنها مرتبة زمنيا، ومرتبة من جانب التعاقب أو التوالي في التعضي سواء بزيادة في التعقيد أو زيادة في التبسيط، أدى ذلك إلى ترتيب في ذهن الإنسان أنها متعاقبة بأن الأول السابق أصلا للاحق [4].

لكن تأصل في تصور الباحثين الانطلاق بالتراجع إلى الوراء في البحث عن انبثاق الحياة.

---

(1) – Ernst. Mayr. La biologie de l'évolution. Ed: herman.1978. pp:14-17.

(2) – Ernst. Mayr .op. cit. pp:14-17.

(3) – طالب الجنائي. نظرية التطور الداروينية. ص:73-77.

(4) – فريق من العلماء. خلق لا تطور. عربه إحسان حقي .دار النفائس.ط4 (1986).ص:35-38.

والتفريع الذي يفرضونه عن أصل واحد هو ناجم عن تصور وجوب انسلال الأشياء الحية من أباء ضرورة، ولقد عالجت الأديان السماوية هذه الفكرة؛ أن هناك أحياء تتوالد دون أباء؛ ألا وهي الملائكة فهي كائنات حية غيبية، ولقد جاءت الأخبار بها لرفع تصور الإنسان إلى أن الخالق يخلق ثم يخضع ما خلق لقوانين محكمة تسير وجود الأحياء داخل البيئة[1]، وأهم قانون هو التناسل، ومن ثم لا يجدر أن نقول إلا أن آدم عليه السلام هو المخلوق الأول المصنوع على هيأته، وصورته من الخالق[2]، وهذا المخلوق الذي جاء الوحي بذكر طريقة خلقه، ورافق ذلك أن الخالق ما خلقه إلا لأداء وظيفة كلفه بها دون غيره وسخر له كل المخلوقات الأخرى.

قال الله تعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً..."(30 البقرة)، هنا جاءت الخلافة مقصودة في خلق الإنسان والسؤال عمن وفيمن ؟

لقد أورد المفسرون أقوالا عدة في هذا المجال، هناك من قال أن البشر خلائف عن من سبقهم في السكن في الأرض كالملائكة والجن، أو يقصد بها الخلافة عن الله، وهذه المفاهيم يمكن تخريج معانيها من دلالات النصوص، لكن مهما كانت فهي موجهة للإنسان بأوامر ونواه، وهنا تتوجه كل المعاني إلى أن الخلافة هي أداء الدور والوظيفة المكلف بها الإنسان؛ ألا وهي التعبد للخالق بطاعته ومراعاة أحكامه في النفس والجسد والأهل والوالد والمحيط[3].

ومن ذلك يكون الإنسان هو المكلف الذي له إرادة مستقلة وحرية التصرف في غيره من المخلوقات المحسة من عناصر طبيعية جامدة وأحياء، وأن تسخر له الكائنات الغيبية من قبل الخالق، وذلك ليتفرغ في توجيه تفاعلات العناصر البيئية التي من ضمنها سلوكياته هو، وهذا يجعل الكون كله وما يحوي مسخرا للإنسان ومصنوع لأجله[4].

بهذه النظرة يكون آدم هو أول وحدة حية انبثقت من العدم بقدرة الخالق ومنها تفرعت سلالته، ولقد فضل جنس الإنسان عن غيره بما حباه به الخالق؛ مما منحه من صفات دون غيره

---

(1) - المرجع السابق. ص: 41-48.

(2)- نبيه عبد الرحمان.الإنسان الروح والعقل والنفس.سلسلة دعوة الحق. سنة7عدد:70.محرم1408/أغسطس 1987.رابطة العالم الإسلامي .مكة.ص:34.

(3)- البهي الخولي. آدم فلسفة تقويم الإنسان وخلافته.دار التراث. القاهرة.ط3 (1974).ص:117-125.

(4)- نضال قسوم مكانة الإنسان في الكون. مجلة عالم الفكر. مج:27، عدد1 يوليو 1998 الكويت.ص:261-295ونبيه عبد الرحمان.المرجع السابق.ص:34.

كالنطق والعقل، وكلفه مقابل ذلك بحسن تسيير تلك الصفات، ومن دلائل الاستخلاف المحافظة على البيئة حتى لا يختل التوازن بين الكائنات، والعوامل المؤثرة في نشاطاتها الحيوية.

التي منها صيانة الكائنات وحفظ أنواعها لاستكمال كل جنس دوره في الطبيعة ولذا جاء ذكر تخليق الإنسان في الوحي، وذلك ليتعرف على آثار قدرة الخالق ورعايته للإنسان خاصة بدأ من بداية تكون أول خلية في بناء جسم الإنسان إلى غاية ولادته ونموه حتى يصبح إنسانا كاملا مكلفا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني

تخليق بني آدم

جعل الله لعملية الخلق الجديدة سببا وهو التزاوج بين جنسي الإنسان، إذ يتركب الجنين في بطن الأنثى عن طريق انتقال النطاف المذكرة إلى رحمها، وتلقح البويضة المؤنثة التي تعطي الجنين، الذي ينمو إلى جسم إنسان حي، قال تعالى:" وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ"(11فاطر). لقد قررت الآية أن الله خلق أصل الإنسان؛ آدم من تراب، ثم خلق أبناؤه من النطفة التي سماها القرآن ماء مهين[1].

ثم خلقه جنينا في بطن أمه ثم أخرجه طفلا ورعاه حتى اكتمل نموه، وصار رجلا، فهذه مراحل تخليق الإنسان من البداية إلى النهاية حتى يعود إلى التراب الذي خرج منه.

أولا– مراحل النطفة: قال تعالى: " هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا "(1 -2الإنسان). قال الزمخشري: " أي كان الإنسان شيئا منسيا غير مذكور نطفة في الأصلاب والمراد بالإنسان جنس بني آدم بدليل قوله إنا خلقنا الإنسان من نطفة"[2].

جعل الله نظام تكاثر الإنسان بهذه الطريقة لأنها تناسب بنيته الجسدية، والاجتماعية، ولم يجعلها كطريقة الطيور أو الأسماك؛ تتم بواسطة البيض، أو كطريقة بعض الديدان والأوليات التي تتكاثر بواسطة التبرعم. ضبط الله طريقة التزاوج بنظام تشريعي ليجعل الإنسان أنساباً بينها قرابة.

ثانيا– مرحلة الجنين: قال تعالى:" وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ" (12 -14 المؤمنون). لقد تقدم تخليق

---

(1)- الزمخشري. الكشاف. ص: 390/2، 167/4؛ وابن كثير. تفسير القرآن. ص: 257/4.

(2) – الزمخشري. المرجع نفسه.

الإنسان من طين، ثم من نطفة أي جعل عملية خلق الإنسان تتم بالنطفة التي تستقر في رحم الأنثى وتلقح البويضة التي ينتجها جهاز المرأة، ثم تسير هذه اللاقحة حتى تصل إلى مكان خاص بها في رحم المرأة وتعلق بجداره، وتلتصق به لتمتص منه ما تحتاجه أثناء تطورها، ولذلك سميت بالعلقة لتعلقها.

ثم تتطور هذه العلقة وتتحور إلى قطعة لحمية غير متمايزة تشبه المضغة، ولذلك سميت بالمضغة، وهي عبارة عن خيوط ليفية وسائل تظهر كقطعة اللحم الممضوغة قال تعالى: "يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ"(5 الحج).

ثم تتمايز تلك المضغة إلى العظام التي تشكل الهيكل العام للجسم، ثم تبنى عليها العضلات والأعصاب والأوعية الناقلة للدم والسوائل، وعند تمام بنية جسم الجنين يبث الخالق فيه الحياة، ثم يبدأ بالتطور ويستكمل بنيته الملائمة للبيئة الخارجية[1].

ثم يولد الإنسان طفلا صغيرا في حجمه وفكره ومداركه، وينمو وتتطور معه أحاسيسه حتى يصبح إنساناً كاملاً، جاء في الحديث الصحيح عن زيد بن وهب قال عبد الله ابن مسعود حدثنا رسول الله وهو الصادق المصدوق قال: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله منكا فيؤمر بأربع كلمات ويقال له أكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح"[2]. وقال تعالى: "وقد خلقكم أطوارا"(14 نوح). هذه الآية يفسرها[3] قوله تعالى:" هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"(67 غافر).

---

(1)-عبد العليم عبد الرحمان خضر. الإنسان في الكون بين القرآن والعلم.ص:7- 10؛ وجواد الحسيني علي الشاهرودي.الإنسان في مراحله الست.دار الزهراء.بيروت.ط4(1987م).ص:37-41.

(2)- أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب بدء الخلق. رقم 2969. ص: 142/4.

(3)- الزمخشري. الكشاف. 142/4؛ وموريس بوكاي. ما أصل الإنسان .ص: 198.

لقد بينت الآية الأطوار التي يمر بها الإنسان من بداية خلق آدم حتى مرحلة النطفة ثم أطـوار الجنين، ثم خروج الطفل إلى الدنيا، ثم تطوره حتى يصبح رجلاً، ثم يصل مرحلـة الشـيخوخة وهي طور أو مرحلة يصل إليها الإنسان وبعدها يزول.

كما يمكن أن نفهم من الأطوار الحالات التي مر بها الإنسان وتغيرت حالته فيها. فيمكن أن يكون هناك أقوام عاشوا كانت لهم بنية جسدية عظيمة، أو كانت لهم أعمار أطول من أعمارنا بأضعاف المرات وذلك بدليل قوله تعالى:" وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ"(14 العنكبوت). وهذا دليل قاطع على أن قـوم نوح كانت أعمارهم تفوق الألف سنة، وهذا يتطلب أن تكون لهم أجسام ذات خواص طبيعية وحيوية تلائم هذا العمر ليتمكن الإنسان من أداء وظائفه الحيوية.

لقد جاءت النصوص مبينة وشارحة لعملية تخليق الإنسان منذ البويضة والنطفة ومـروره بمراحل يتم في كل مرحلة بناء قسم من جسده إلى أن تكتمل جميع مكونات جسده. ثم يخـرج للبيئة الطبيعية المركبة من عناصر مخالفة لعناصر بيئته التي كان فيها خلال المرحلة الجنينية. وهذه المرحلة خلقت هندستها في آدم عليه السلام. ثم نشأت في خلفه وأصبحت هي الطبيعة والقانون الذي يخضع له كل ذرية آدم، جاء نص قرآني يثبت أن البنية الجسدية لأي إنسان هي عبارة عن صورة لجسد آدم أب البشر. قال تعالى:" إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ"(59 آل عمران).

جاء تشبيه عيسى بآدم بالكاف وتمثل وهذا يؤكد أنه لا يوجد فارق بين خلق جسـد آدم وجسد عيسى الذي أخرج للناس وعاش بينهم، أي أن خلق عيسى من غير أب وهي الطريقـة المعتادة لدى الناس، فهي أسهل تصورا نظرا لخروج عيسى من أم بشرية أما آدم خرج من تراب الأرض بلا أب ولا أم، وصار إنسانا يسعى في الطبيعة، لكن مجيء عيسى عليه السـلام بهـذه الطريقة. لكي يتحمل الناس هذا الخلق فهو أقرب لطبيعتهم.[1]

لقد فصل القرآن الكريم تخليق الإنسان بعد خلق آدام بأن جعل تخليقه يحدث ويتم بما يلائم حركيات وفعاليات نفسه وجسده والانسجام بين تركيبة جسد الإنسان وقوانين البيئة الأرضية

---

[1]- البيضاوي. المرجع السابق. ص:75.

وقال تعالى: «والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا» من جنسكم يتم التزاوج أي أن جعل الله سبحانه وتعالى الذكر والأنثى من طبيعة واحدة، وجعل العلاقة بينهما ترتبط بالنفس والاستقرار، ثم ينتج عن ذلك التزاوج الأبناء وهم الخلف، أو أفراد الجنس وجعل الخالق هذا الشأن سار على جل الكائنات الحية من نباتات وحيوانات، وذلك إعدادا للإنسان، أن يكون ابن بيئته لا وجود لمنافرة بينهما، وقال تعالى:" فَلْيَنظُرْ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ" (5-7الطارق)، أي جعل الخالق في جسد الإنسان جهازا خاصا يتصل بعدة أجهزة أخرى عن طريق الأوعية والأنابيب وتنتقل المواد المساعدة على إنتاج النطاف في الجهاز التكاثري أو التناسلي، وكذا بالنسبة للمرأة.[1]

وبواسطة الاتصال الجنسي بين الذكر والأنثى تتم عملية تلقيح بين النطاف المذكرة والبويضات المؤنثة فتحمل المرأة، بعد عملية التلقيح التي تحدث في مكان من عضو التناسل، ثم تنتقل إلى مكان حتى تصل محل الحمل، ولا يمكن لنا تصور ذلك إلا إذا عرفنا تراكيب الجهاز التناسلي للرجل والمرأة، ثم يسهل تتبع عملية نشوء الجنين بدء من التلقيح إلى غاية الولادة.

1- الجهاز التناسلي الذكري:

لم يرد في القرآن تفاصيل تركيبية تشريحية لأجهزة الإنسان، وكما جاء ذكره هو ما ينتجه الجهاز التناسلي من نطاف، وترك التركيب والبحث في التعضي للإنسان. فعند تتبع علم التشريح البيولوجي لجسم الإنسان، يلاحظ أنه يتكون من غدتين أساسيتين وهما الخصية اليمنى واليسرى، وكل غدة تشبه البيضة أبعادها حوالي 3,7 سم و2,5 سم يحيط بها غلاف جلدي مرن يسمى الصفن، وموقع هاتين الغدتين خارج الجسد وتتصلان به بواسطة أنابيب ناقلة وغلافها الجلدي، أما الغدة فإنها تتألف من عدد كبير من الأنابيب المنوية (tubes séminifères) يغلف هذه الأنابيب طبقة من الخلايا الطلائية المولدة للنطاف[2].

---

[1]-البيضاوي.المرجع السابق.ص:794؛وتاج الدين الحاوني.الإنسان.دار عمار.ط1(1993).1/55.

[2]- Ben Pansky. Embryologie humaine. Traduit par: Gary.F.H. éd: Marketing.1986.pp:4; et Jac.P et autres. Embryologie Humaine. éd: 1985.Maloine.S.A.Paris.pp:29-30; et Giroud. A et Lelièvre. A. Eléments d'embryologie. Paris. éd:Le francois.1969.pp:8; et Encyclopédie. La rousse. L'homme. éd: 1978.pp:66-67.

وأما كيفية تشكل النطاف فإنها تخضع لقانون عام حيوي لدى الكائنات الحية النباتية والحيوانية؛ وهو ظاهرة انقسام الخلايا المولدة انقساما خاصا يسمى بالانقسام المباشر[1]، لدى الإنسان كما سبق أن الخصية تحتوي على أنابيب مبطنة من الداخل بطبقة من الخلايا المولدة للنطاف وخلايا مولدة لافرازات غذائية لتلك النطاف تسمى هذه الخلايا سرتولي sertoli cell، وتتواضع هذه الأنابيب في نسيج بيني[2].

تتولد النطاف أصلا من خلايا أصلية قاعدية تدعى بالمناطف spermatogonies وهذه الخلايا توجد في الأنابيب منذ المرحلة الجنينية للرجل، وعند بلوغ الرجل سن النضج (13 16سنة) الجنسي تبدأ هذه الخلايا في توليد النطاف حتى الموت، وتستغرق مدة توليد أو تحول خلية قاعدية مدة 64 يوما كي تصبح نطافا جاهزة، حيث تنقسم هذه الخلية القاعدية عدة انقسامات، تبدأ أولا هذه الخلايا الناضجة بانقسام اختزالي يعطي خلتين كل واحدة منها تحتوي نصف المادة الكروماتينية (الوراثية)، ويكون لها حجم أقل من الأصلية والخليتان النطفيتان يحدث لكل منها انقسام عادي تعطى أربعة خلايا نطافية ذات حجم أقل من الخلية الأم، ثم تواصل كل خلية من الأربعة الناتجة نضجها إلى نطفة تمتاز بخصائص:

أ- طولها حوالي 65 مكرو مم، وشكلها: لها رأس وسوط (الذيل).

ب- العدد حوالي 100 مليون نطفة في 1 مليلتر.

ت- لها حوالي 80 % من الخلايا متحركة ومستعدة للهجرة.

ث- لها سرعة داخل الجهاز التناسلي تقريبا 1,5 سنتيمتر خلال الدقيقة.

ج- لها القدرة على البقاء حية في الرحم لمدة 3 أو 4 أيام[3].

وتزود المناطف السائل المنوي بهرمون ذكري هو التستوسترون = testostérone، وتكون المادة الكروماتينية أو الصبغية على نوعين نوع يسمى X والآخر يسمى Y، ثم تتجمع الأنابيب المنوية مشكلة الأوعية الصادرة التي تتصل بالبربخ الذي يخزن النطاف حتى تنضج، ثم ينبه القناة الناقلة

---

(1) – Sven. Horstduis. Experimental Embryology of Echinoderms. Éd: oxford press.1973.pp:4-5.

(2) – Ben Pansky. op. cit.pp:8.

(3) – Ibid.pp:8-13;et Jacques.P. et autres. Op.cit.pp:34-36. ؛ وخالص الحلي. الطب محراب الإيمان.مؤسسة الرسالة.ط(1981). 1/64-66.

التي تتصل بالحوصلة المنوية التي تصب في الحالب البولي التناسلي الممتد إلى الخارج عبر العسيب ومنه إلى خارج الجسم[1] والحويصلة المنوية وغدتا كوبر تمد النطاف بمواد غذائية وحافظة.

ولقد زودت النطفة بكل حاجاتها من مصادر الطاقة، وعضو للحركة وهو السوط ولها شكل يساعدها على الانزلاق والانسياب بسهولة داخل القنوات الناقلة لوصولها لخارج جسم الذكر، وكذلك بالنسبة لسيرها داخل قنوات الجهاز الأنثوي.

2- الجهاز التناسلي الأنثوي:

يتركب من المبيضان هما عضوا التناسل الأساسيان، يتركب كل مبيض من طبقتين خارجية تسمى القشرة وطبقة داخلية (النخاع)، وتتكون البويضات في الطبقة الخارجية داخل أجسام تدعى بالحويصلات، وعند نضج هذه الحويصلات تخرج بويضة كل 28 يوما من أحد المبيضين، عبر القمع المتصل بقناة ناقلة (قناة فالوب) التي تصب في الرحم. الذي يتركب من ألياف عضلية طولية ودائرية لها القدرة على التقلص.

هذه التقلصات تساعد على تحريك النطاف نحو قناتي فالوب، والرحم ينتهي بجهة المهبل بواسطة عنق الرحم، والمهبل ينتهي إلى الخارج بفتحة تناسلية خارجية[2].

وعند نضج المبيض وبلوغ المرأة سن البلوغ فإن المبيض يبدأ بإفراز البويضات وهي النطاف الأنثوية، التي تمر بانقسامات عادية وانقسام اختزالي يجعلها تحمل نصف المادة الوراثية، وعند بلوغها مرحلة النضج تنفجر الحويصلة التي تحمل البويضة، وتتحرر هذه الأخيرة وتسلك طريقها عبر القمع إلى قناة فالوب، ومنها إلى الرحم وأثناء هذه الفترة وخلال ذلك المسير إذا التقت البويضة بالنطفة فإنه يحدث لها تلقيح وتصبح لاقحة.[3]

ثالثا- مراحل الجنين في القرآن والعلم:

أول مرحلة من مراحل الجنين هي اللاقحة التي تنشأ عن عملية التلقيح للبويضة بواسطة النطفة، ويتم لقاؤهما في أعلى قناة فالوب، وبعدها تبدأ هذه اللاقحة في الانقسام وتواصل رحلتها اتجاه الرحم حتى تصل إلى جداره فتنغرس فيه مدة، ثم تأخذ تتطور عبر مراحل متتالية:

---

(1) Gerard. lucotte. Biologie animale et humain. Ed:Masson.Paris.1980.pp:79-83.

(2) Jacque.P. et autres. Op. Cit. pp:15-19; et G.lucotte. Op. Cit. pp:62-69 -

(3) Ibid. pp: 22-24; ET Ben Pansky. Op. Cit. pp:24-25; et G.lucote. Op. Cit. pp:100-101 -

من خلال التركيب العضوي للجهاز التناسلي للإنسان وإفرازاته الحيوية لمواد كيماوية هرمونية، وخلايا حية مولدة للبذرة الأساسية التي تكون المخلوق الجديد: الإنسان الابن، يلاحظ جميع خطوات ومراحل هذا البناء العضوي المادي والنفسي والروحي كان متوافقا تماما مع نصوص القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

لم يفصل الوحي في تركيب جسد الإنسان، واكتفى بالإشارات، وذلك أن هذا التركيب موجود في الطبيعة يمكن للإنسان التوصل على تفاصيله دون الحاجة إلى المعارف الخارجية عنه، ولذلك أتت هذه النصوص في صورة تذكير وتنبيه للإنسان على أن مراد الخطاب توجيه نظر المتدبر المتفكر أن يذكر نعم الخالق ولطفه به، وعنايته بخلقه أن جعل تكاثرهم وخروجهم للحياة الدنوية بواسطة تفاعلات عضوية تحدث داخل أجساد الناس يسيرها قانون حيوي عضوي؛ ليجعل العلاقة بين أفراد جنس الإنسان لها ترتيب سببي مخالف لما عليه عالم كائنات الملائكة وغيرهم من بعض الكائنات الموجودة في محيط الإنسان، وذلك ليستحضر الإنسان قدرة وعظمة الخالق في نفسه ويلمس آثارها في أبنائه. ويجعل فردا أبا وآخر أبنا وأخر أما وآخر زوجة...الخ.

1-المرحلة الأولى: جاء في القرآن الكريم ذكر النطفة بإطلاق ولم يقيد أنها نطفة الذكر أو الأنثى ووردت في النص بأسلوب التذكير بنعم الخالق، والدلالة على وحدانيته، وعظمته، ورعايته كقوله تعالى:" أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ. فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرارٍ مَكِينٍ. إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ. فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ."(20-23 المرسلات)، وقوله تعالى:" أَولَمْ يَرَ الإِنسانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ.وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ"(77- 79يس)؛ هنا الخطاب أراد شد الأنظار إلى البحث في كيفية تحويل هذا المخلوق البسيط المهين الذي يراه الإنسان تافها لا قيمة له، أنه من خلق الله الدال على وحدانيته وعظمته؛ لأنه هو الأس الذي تنطلق منه تطوير بنية الإنسان الجسدية وفق نسق وقانون محكم تعطى تلك النطفة سواء كانت أنثوية أم ذكرية – الجسد الكامل الجميل الكبير في حجمه ملايين المرات عما كان عليه وهو في صورة خلية واحدة [1].

---

(1) -محمد الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير.14/102-103؛والبيضاوي.المرجع السابق.ص:351؛ وعبد الرحمان ابن إبراهيم المطرودي. الانسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن والسنة.دار وهبة. القاهرة.ط(1990).ص:11؛وحسن حامد عطية خلق الإنسان بين العلم والقرآن. دار مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله . تونس .ط1 (1987).ص:49.

ولقد انسل هذا المخلوق صاحب المميزات؛ التي أهمها المنطلق من الطين، أي تراب الأرض، بحيث أن جسده ما هو إلا تركيبة من عناصر أرضية أساسها عنصر الكربون والأكسجين والهدروجين، وقد جاء في القرآن التذكير ببداية الخلق من تراب، ثم النطفة فالإعجاز فيهما قائم مثلما صدر الإنسان الأول من تراب؛ كذلك تصدير ذريته من النطفة التي هي عبارة عن خلية واحدة تحمل نصف المادة الوراثية تتولد من جسد له صفات أهمها عمره قد يكون في60 سنة ولكن هذه النطفة أكبر إعجاز ورد فيها أن الجسد المتخلق منها يبدأ عمره من الصفر؛ وهي إشارة إلى أن عملية تخليق الجنين من هذه الخلية الوحيدة ليس أقل إعجازا من تخريج الأصل من تراب، وخاصة أنها شيء محس تتعاملون معه بأدواتكم وفي مخابركم، لكن يبقى بث الحياة فيه من الأسرار الإلهية.قال تعالى:"نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ.أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ.أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ.نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ"(57-60 الواقعة).

قد اعتقد الكثير من الباحثين بآراء لا دليل عليها كقول مالبيجي Malpighi(1675):إن البويضة تحمل صورة مصغرة للجنين، وقول هارفي (harvey): إن الجنين تفرزه الرحم[1]، لكن القرآن ذكر خطوات نشوء الجنين بدء من النطفة وسماها بالماء المهين، قال تعالى: " أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ.أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ" (58-59 الواقعة)، فالخطاب هنا شامل لنطاف الرجل وبويضات المرأة قبل التلقيح وهذه المرحلة مهمة لأنها تحتاج النطفة إلى رعاية خاصة تمكنها من الاستقرار في مكان تواصل فيه نشاطها الحيوي، وبين الوحي ذلك في قوله تعالى:" :" أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ. فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ. فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ." (20-21 المرسلات)، هذا الماء المهين الذي لا مظهر للحياة الكاملة فيه؛ بل هو شبه مادة خام أولية حملها قرار مكين الذي هو الحويصلات المنوية في الرجل، والجريبات في المرأة، إلى وقت معلوم تخرج النطاف الذكرية من مكامنها، وكذلك النطاف الأنثوية، وتلتقي ويتم التلقيح في قناة فالوب، وعندها تصبح البويضة الأنثوية ملقحة داخل الجهاز التناسلي الأنثوي، وتواصل هذه اللاقحة طريقها نحو الرحم القرار المكين الأخير لها الذي ستتطور فيه خلال قدر معلوم، أي فترة محدودة يقدرها الخالق وهي من 6 أشهر إلى 9 أشهر، وأهمية هذه المرحلة تكمن فيها قيمة

---

(1)– عدنان الشريف.من علم الطب القرآني.دار العلم للملايين.بيروت.ط3(1997).ص:33.

لكل من نطفة الذكر والأنثى وتتحد فيها صلاحية كل منها في مواصلة الأطوار أو اللاحقة أو تصبح لاغية[1].

2- **المرحلة الثانية**: هي تطور اللاقحة: لوحظ أن عملية التلقيح تتم خلال فترة قد تصل إلى 4 أيام، وهي الزمن الذي تستطيع النطاف الذكرية الاستمرار فيه حية داخل جهاز الأنثى التناسلي، بينما عملية نفوذ النطفة الذكرية داخل البويضة يتم في فترة تتراوح إلى 12 ساعة بدء من خروج البويضة من الجريب بالمبيض[2].

تهاجر اللاقحة حتى تصل إلى جدار الرحم ولما تصل هناك تبدأ تفرز إنزيمات تمكنها من الإنغراز في جدار الرحم قال تعالى:" مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا.وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (13-14 نوح)؛ أي بدأكم بالنطفة، ثم لاقحة، ثم علقة، ثم مضغة....الخ؟ وجعل هذه الأطوار متلاحقة كل طور أو مرحلة ضرورية لما يليها؛ لأنه قد يحدث خلل في طور فإنه يمنع ظهور الطور الموالي له، وقد يجعل عملية التخليق تتوقف وتنتهي، لكن رعاية الخالق جعلت لكل طور أسبابا ومقومات تحفظ استمرار وجوده خلال قدر من الزمن يتم فيها التطور، ويحدث فيها نمو الكائنات إلى درجة معلومة تؤهله لاستقبال مرحلة جديدة وهكذا.

يحدث خلال هذه المرحلة عدة انقسامات متتالية ويصبح الزايجوت متعدد الخلايا.

3- **المرحلة الثالثة**: وهي مرحلة العلقة عندما تتعلق بجدار الرحم في اليوم السابع بدء من عملية التلقيح، وتستمر إلى غاية نهاية الأسبوع الثالث، وهذه المرحلة حرجة فإذا حدث أن تعلقت العلقة في موضع خارج جدار الرحم؛ كأن تتعلق بجدار القناة الناقلة فإنه سيحدث نزيف قاتل للأم، ويسمى حمل خارجي أو خارج الرحم (grossesse ectopique) وهذه المرحلة سماها القرآن الكريم بالعلقة لتعلق الجنين بجدار الرحم، ثم لا يلبث أن تبدأ تتكون المشيمة، وهي النسيج الذي يربط الجنين بجسم الأم ويمرر المواد الغذائية و الماء و الأكسجين للجنين، وتسمح للجنين بعمليات التبادل بين خلاياه والجهاز الدوري للأم، وهذه المشيمة تنشأ منها شعيرات ماصة مثل تعلق العلقة بجسد الحيوانات التي تتغذى على دمها[3]. قال تعالى:" خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ

---

(1)- المرجع السابق.ص:41؛ وابن كثير. تفسير القرآن.30/139-140.

(2)- Ben pansky.op. cit.pp:30; et Jacque.P. et autres.op. cit. pp:41-43.

(3)- السيد أحمد فرج.مقال في الإنسان والتوحيد.دار الوفاء.ط1(1993م).ص:95؛و Ben pansky.op. cit.pp:30.

عَلَقٍ" (2 العلق) أي من كتلة من الخلايا غير المتمايزة "دلالة على عجيب فطرته من علق جمعه لأن الإنسان في معنى الجمع"[1].

في نهاية هذه المرحلة وبعد مرور 3 أسابيع تبدأ خلايا العلقة تتمايز، أو تصنف في طبقات ثلاث خارجية (octoblaste) وهذه الخلايا هي أصول أعضاء الجهاز العصبي والجلد والمخاط.

وطبقة متوسطة (mésoblaste) تعطي الهيكل العظمي والجهاز الدوري والتناسلي ...الخ؟

طبقة داخلية(endoblaste) تعطي هذه الكتلة الخلوية جهاز الهضم ولواحقه كالكبد....إلخ، وخلال هذه المرحلة كذلك تبدأ التخصصات العامة لكل مجموعة من الخلايا وهي مرحلة يحتاج الجنين فيها إلى رعاية دقيقة حتى لا يقع توجه أو شرخ في أي مجموعة مما يجعل الإنسان معاق بزيادة عضو أو نقصانه[2]، ولذلك أجمع الله قوله:« خلق الإنسان من علق»

4- المرحلة الرابعة: بعد تمايز الخلايا في مرحلة العلقة تبدأ مرحلة مهمة وهي مرحلة المضغة ولقد قال الله تعالى:" ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ "(14 المؤمنون)، وقال تعالى:" يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5 الحج) تحدث تطورات خلال الفترة ما بعد الأسبوع وبداية الأسبوع الرابع حتى نهاية الأسبوع. يبدأ الجنين يظهر في شكل مضغة بحيث يكون أنبوبي الشكل يلتف حول المحور الرأسي الذنبي، ثم يبدأ تكون الحز العصبي و يبدأ يبرز موضع الرأس ونهاية العمود الفقري.[3]

خلال الأسبوع السادس تتميز الأطراف الخلفية، ونهايات المرافق في الأطراف الأمامية و الأيدي، وتظهر رسوم الأصابع على الأكف المدمجة، وهكذا تصبح هذه المضغة في وضعية لها

---

(1) –البيضاوي.المرجع السابق.ص:804.

(2)– عدنان الشريف.المرجع السابق.ص:51-53؛ Jacque.P.et autres.op. cit. pp: 50.

(3)– Jacque.P.et autres.op. cit. pp:82;et Ben Pansky.op. cit. pp:54-56.

أجزاء متميزة وأخرى لا تزال مدمجة[1]، وهذا ما نص عليه القرآن مضغة مخلقة وغير مخلقة؛ أي فيها مواضع تم تخليقها، أي تفصيلها وتمييزها إلى العضو الذي ستشكله، وأجزاء لا تزال غير مخلقة أي أنها لم تميز الأنسجة العضوية؛ أي مصورة و غير مصورة.[2]

وهذا التمايز قد يخص خلايا عضو دون عضو آخر، فهي مخلقة أي مفصلة وواضحة المعالم بين خلايا النسيج للعضو الواحد فيها، بينما غير مخلقة أي أنها لم تتمايز عن بعضها بحيث تترتب في مواضع مصنفة داخل العضو الواحد مثل خلايا الأظافر وغيرها في اليد والشعر..إلخ.

وكذلك تمايز الخلايا تحت التخصص مثل الخلايا الحمراء و البيضاء و الصفائح داخل نسيج الدم...إلخ فهنا مفهوم النص جاء شاملا لجميع المراحل التي يتشكل بها الجنين ويمر بها خلال هذه المرحلة.[3]

5- المرحلة الخامسة: تأتي هذه المرحلة بعد مرحلة التمايز وهنا يبدأ التمايز يمر بسرعة حيث تتشكل خلال الأيام الأخيرة من الأسبوع السادس العظام، وتظهر البنية الهيكلية وتبدأ العضلات تتشكل حول العظام، وبعد ذلك يظهر الأنبوب الهضمي، حيث يلاحظ تفصص الأصابع خلال الأسبوع الثامن، وكذلك الأذنان يتميز ظهورهما، وفي نهاية الأسبوع الثامن تظهر مقلة العين بوضوح، و يتوضح صوانا الأذنين، ويتوضح العمود الفقري؛ بحيث يكون حاملا للرأس في الأمام و الزنار الكتفي ثم القفص الصدري ثم المنطقة القطنية فالعجزية وينتهي بالعصعص.

وتكون أطوال الجنين خلال المراحل كالتالي:

خلال الأسبوع 5 يكون 5 ـــــ 8 مم.

وخلال الأسبوع 6 يكون 10 ـــ14 مم.

وخلال الأسبوع 7 يكون 17 ـ 22مم.

وخلال الأسبوع 8 يكون 28 ـــ30مم[4].

---

(1)- Ben Pansky.op. cit. pp:58; Giroud.A et Lelièvre.A. op.cit. pp:68-76; et Jacque.P.et autres.op. cit. pp 86.

(2)- البضاوي .المرجع السابق.ص:439.

(3)- عدنان الشريف.المرجع السابق.ص:55؛والسيد أحمد فرج.المرجع السابق.ص:94-96.

(4)- Ben Pansky. op. cit. pp:60.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لقد لخص هذا الأمر قوله تعالى: "ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ "(14 المؤمنون) ولقد أشار النص إلى تخصيص الجنين الإنساني؛ حيث لا يمكن تمييزه عن غيره من أجنة الثديات الأخرى إلا خلال هذه المرحلة التي تتمايز فيها المضغة إلى عظام، وتشكل العضلات، وبروز الأصابع، وظهور العينين، والأذنين، وشكل الرأس، وهنا تأتي المرحلة الحاسمة في قوله تعالى:« ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين». أي ميزناه عن غيره إذْ أخذ نشأة أخرى؛ وهي جعله إنسانا بحجم صغير[1]، قال تعالى « سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى.الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى» (1-2 الأعلى)، وقوله: « لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ» (4التين).

إن آليات التخليق للجنين بدء من اللاقحة إلى غاية البنية الكاملة كلها تعتمد على هجرة الخلايا وعمليات الانبعاج للوريقة الخلوية السطحية الأولية، وبهذه الآلية يتم تشكيل وبناء الأجهزة والأعضاء الجسدية بصورة أنبوبية؛ أي لها أبعاد ثلاثية محدودة بسطح متصل يحيط بفراغ، مثال بناء الأنبوب الهضمي، أو الرئتان، أو التجويف الصدري، وهذه التجاويف هي التي تسمح بحمل بعض الأنسجة المتممة لبنية العضو المتخصص.

وكذلك آلية الاضمحلال لبعض المجموعات الخلوية لتفريغ عضو، أو تكوين بعض التجاويف فيه لوظيفته مثل تكوين الفقرات وثقوبها.

الآلية الأخرى المهمة وهي آلية الانتظام، أو التوازن بتوزيع بعض المركبات على أعضاء، أو مزج بعض المركبات العضوية مثل نسبة السوائل لتعديل الضغط الخارجي بالداخلي لحفظ نمو معتدل ووقايته من الضغوط الخارجية[2].

بعد مرحلة المضغة المخلقة يواصل كل عضو في النمو حتى تكتمل بنيته؛ ومن حيث الأجزاء في العضو الواحد، أو تناسق الأعضاء في الجهاز الواحد. وتنتهي الوصلات تبين الأعضاء في تشكيل الجهاز استعدادا للقيام بالدور المنوط به، وتتم عملية البناء العام خلال الشهر الرابع[3].

تبقى إشكالية عظمى من الصعب الخوض فيها؛ متى تحل الروح الإنسانية داخل الجنين حيث يولد إنسانا له روح؟

---

(1)-عدنان الشريف.المرجع السابق.ص:197.

(2)-Ben Pansky. op. cit. pp:61.

(3)-Ibid.pp: 68-74.

لم يأت تفصيل ذلك في القرآن الكريم؛ لكن جاءت أحاديث صحاح عن الرسول (ﷺ) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :" حدثنا رسول الله (ﷺ) وهو الصادق المصدوق أن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما وأربعين ليلة ثم يكون علقة مثله، ثم يكون مضغة مثله ثم يبعث إليه الملك فيؤذن بأربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد ثم ينفخ فيه الروح فإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينه..."[1] ومن هذا الحديث "معلوم قطعا أن الروح ليست هي الله ولا صفة من صفاته وإنما هي مصنوع من مصنوعاته فوقوع الخلق عليها كوقوعه على الملائكة و الجن والإنس"[2].

لقد بين ابن القيم مفهوم الحديث: وهو أن الله سبحانه أرسل الملك وحده لينفخ فيه، فإذ نفخ كان ذلك سبب حدوث الروح، ولم يتضمن النص أن الملك أرسل ومعه روح ابن آدم، وهذا يفيد إنما جعل الله خلقها يحدث عند تفاعل الملك مع الجسد المعد لاستقبالها هذا يفيد أن الروح حادثة بعد خلق الجسد الذي تحل فيه[3].

وعند تلف الجسد تفارقه الروح، ولذلك جاء في الحديث تحديد أجله أي انتهاء صلاحية الجسد الذي تم تخليقه للقيام بجميع التفاعلات الحيوية الضرورية التي تقومه حيا، وتظهر فيه ظاهرة الحياة. لقد اختلف المتقدمون والمتأخرون في مفهوم الروح وتحديد ماهية وجودها، أهي جسم أم طاقة أم ماذا ؟ يبقى هذا السؤال عالقا على الدوام لأن الروح شيء من عالم الغيب الذي لا نملك ما يؤهلنا لإدراكه، نحن في حاجة إلى مصدر خارجي يعرفنا به لا يوجد لدينا إلا الوحي. لكن الوحي لخص جوابه في المسألة في قوله تعالى:" وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلا"(85الإسراء).

يكون خلق الجنين عندما يبدأ في الحركة والنشاط المميز له بأنه حي يدل ذلك على استقلاليته في الحياة عن أمه وأبيه اللذان أمدا جسمه بالمكونات الأساسية الضرورية له، وغالبا ما تكون هذه الظاهرة؛ أي ظاهرة الاستقلال بالحياة تبدأ من الشهر الرابع وتكتمل خلال الشهر السادس.

---

[1]-أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب:التوحيد. باب:ولقد سبقت كلمتنا...برقم:2252. 805/9؛و مسلم في صحيحه. كتاب:القدر. باب:كيفية خلق الآدمي.8/44-45.

[2]-ابن القيم .الروح .دار الكتب العربية.بيروت.د.ط.ت.ص:197.

[3]-ابن القيم. المرجع السابق.ص:234-235.

عند بلوغ الحمل 9 شهور فإن لأم تضع جنينها كاملا في بنيته الجسمية مستقلا عنها في نشاطه الحيوي، وبعد خروجه من الوسط الذي كان فيه إلى البيئة الجديدة يجد نفسه محملا بالمؤهلات لمواصلة النشاط الحيوي، وممارسة ظاهرة الحياة بكل استقلالية عن جسم أمه؛ ولـــذلك جـــاء القرآن مفصلا لمرحلة الجنين وصورها تصويرا دقيقا مطابقا للواقع والحقيقة، وقرنها بذكر تخريج جسد أول إنسان من تراب وربطها بتخريج الأجسام الفانية يوم الحشر من تراب. ليدلل على حقيقة الواقعة الحادثة في المستقبل أنها أكبر استيقانا من الحالة التي نعيش أحداثها ونراهـــا رأي العين ونطابق حالها مع النص القرآني، ولا يوجد وجه منافرة أو خُلف بين مفـــاهيم نصـــوص الوحي وبين الحياة الجنينية للجنين منذ النطفة إلى ولادته إنسانا كاملا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمـــــة

من خلال دراسة قضية الخلق في القرآن الكريم ومقارنتها بالنظريات العلمية الحديثة تبين أن هذه القضية محورية في الفكر الإنساني، وتعد النواة التي تحاك على نسقها ثقافة أي مجتمع، ومعتقدات أي تيار ومذهب في الفكر والفلسفة والأديان دون استثناء؛ وذلك لأنها مسألة جوهرية لدى الفرد تثير المواقع الفعالة في النفس تطلب ملء فراغ لا يشغله إلا الإطلاع على معرفة أسرار نشوء الكائنات، والتطلع لكيفية خروجها من العدم إلى الوجود، لربط ذلك بظاهرة الوجود للأشياء على أنماط توافق كثيرا من الأدوار التي تقوم بها تلك الموجودات في البيئة والمحيط، وكذا تفاعل هذه العناصر مع بعضها لتشكل منظومة تسير وفق وتيرة تضمن الاستمرار في حفظ البنية العامة للمحيط.

لقد استغلت أهمية ظاهرة الوجود وتأثيرها- في التوجه الفكري للفرد والمجتمع من قبل المؤسسين للأديان الوضعية والمذاهب الفكرية- في هندسة البنية الثقافية التي يقوم عليها النمط المفضل للحياة الاجتماعية، فوضعت أساطير تتخللها بعض الخرافات وبعض الحقائق الواقعية لاستثمارها في صورة مقّبلات ومسوغات عقلية؛ لكي تنفي الشعور بمنافرة تلك الأساطير، لتؤدي دورها في الرقابة الذاتية للإنسان ليقاوم التخلي عنها باعتبارها من مقومات الشخصية والانتماء المميز له عن غيره. لقد أقحم أهل الأديان السماوية كثيرا من أساطير الأديان الوضعية والمذاهب الفلسفية الخاصة بقضية الخلق في كتبهم المقدسة لأداء الغرض نفسه، وقلدهم الكثير من المفكرين اللاحقين في ذلك استئناسا في إثبات توافق المعقول مع نصوص الوحي المنقول في الكتب المقدسة.

نظرا لأهمية القضية ودورها الريادي في توجيه الثقافة والمعتقدات؛ ذكر القرآن عدة مواضيع من قضية الخلق في نصوص أغلبها جاء مجملا والقليل منها كان مفصلا؛ لكنها تخدم قضية واحدة وهي وحدانية الله والانسجام مع نواميسه الكونية. ورد خلق المحسات في الوحي للتدليل على خلق ووجود الغيبيات التي جعلها معرفة نقلية توقيفية خارجة عن الإدراك العقلي والممكن.

لقد أشارت نصوص القرآن الكريم في مواقع كثيرة عند ورود خلق ظاهرة طبيعية إلى تنبيه عقل الإنسان للبحث ومواصلة الكشف عن الأسباب والعلاقات الرابطة بينها وبين حدوث

الظاهرة، مع التحفيز لاستخدام القدرات العقلية والوسائل المادية المتاحة له في محيطه خلال مراحل البحث دون أي توجيه مسبق للمعرفة؛ بل جعل القرآن أهم وسيلة لفهم نصوصه تكمن في البحث والتنقيب وبذل الجهد للتوصل للحقائق التي ذكرها، أو أشار إليها. كما أن الوحي كتابا وسنة قد خص الباحث بمكانة شرفية رفيعة وبين أن الأكثر علما هو الأقرب لله وأحسن أجرا في الآخرة، ومن هذا المنطلق كانت أعظم نتائج بحوثهم هي: التوصل إلى ضوابط في بيان مفاهيم نصوص الوحي بواسطة الكشوف العلمية، على رأسها عدم تقييد دلالة النص وألفاظه أو توقيف معناها على الكشف الخاص بموضوعها؛ لأنه قابل للتدقيق والتصويب، ومعاني النص تبقى جامعة على الدوام.

أدى حث الوحي على المثابرة والمواظبة في البحث ببعض الباحثين إلى إقحام فرضيات أصلها معتقدات لثقافات قديمة ضمن التدليل على إعجاز الوحي؛ مثل فرضيات فيزيائية لتفسير ظاهرة انبثاق الكون ومادته، وكذلك فرضيات التطور في خلق الكائنات الحية. لكن لهذه الأعمال دور مهم في تحفيز همة البحث انطلاقا من نقدها وتصويبها.

تَضَمن القرآن وصفا دقيقا واقعيا لحقائق علمية ذات شأن عظيم في كيان الإنسان، لم يتمكن الأخير من التوصل إليه إلا مؤخرا؛ مثل تخليق ذات الإنسان بدء من مرحلة النطفة ثم المرحلة الجنينية بأطوارها لغاية اكتمال عملية خلق إنسان كامل يحمل جميع الصفات الخاصة بجنسه، التي من شأنها تثبت ظاهرة الحياة فيه، لبيان رعاية وعناية الخالق بهذا المخلوق خصوصا. كان هذا الأمر من أكبر الأدلة التي ترفع درجات اليقين بصدق الوحي والتصديق به وبمصدره.

أهم التوصيات النابعة من البحث هي: ترجمة البحوث المتخصصة في الكونيات، وإقامة الملتقيات العلمية، والندوات الخاصة بهذا المجال وكذا طرح بحوث تتعلق بجزئيات موضوع الخلق في نصوص الوحي والكشوف العلمية في مجال الدراسات العليا، وتبقى الدراسات في مجال قضية الخلق مفتوحة للبحث والمناقشة عبر الأجيال القادمة.

ملخص البحث

قضية الخلق في القرآن الكريم دراسة مقارنة بالنظريات العلمية الحديثة

يعود اهتمام الأديان والمذاهب بقضية الخلق قديما إلى دورها وموقعها في نفس الإنسان، وذلك أنها تعالج الحيرة التي تنبثق عن القوة العقلية، وقوة المخيلة لديه في محاولة معرفة كيفية صدور الكائنات إلى الوجود، وقد نبهت عملية تكاثر الأحياء وفنائها عقل الإنسان في البحث للتوصل إلى معرفة المصدر، والمصير، ومن ثم طرحت على ذهنه أسئلة أهمها؛ من أين جئت وإلى أين ذاهب؟ ومما خرجت هذه الكائنات وما مصيرها؟ بل كيف تم وجود الوجود وما مآله؟

فحاولت الأديان الإجابة عن هذه الأسئلة التي لا يخلو منها ذهن ونفس أي إنسان، واتخذت منها مطية لتوجيه تصورات أتباعها فكريا وعقديا، وجعلت منها قاعدة ترتكز عليها بنية وهيكل الدين أو المذهب المتبع، وبالتالي وضع صورة لسلوكياته الفردية والجماعية بعد تهدئة همة البحث وتهدئة النفس واستقرارها على تصورات تشبع موقع حب التطلع والانشغال بمحاولة التعرف على المصدر والمصير.

وهذا تهيئة للإنسان لكي ينطلق إلى تحقيق تلك التصورات التي غرستها في نفسه الأديان والمذاهب وأسستها فيه على قناعات يظل يسعى إلى تحصيلها في نفسه وفي مجتمعه.

كذلك لما تطور العلم الحديث قام بالدور نفسه تجاه نفس الإنسان محاولا ملء الفراغ الذي أحدثته أساطير وخرافات الأديان والمذاهب القديمة، بعد أن فندت وتجاوزتها المعارف في الكثير من الحقائق التي كانت تتخذ منها استدلالات وبراهين على صحة معتقداتها، وأساس قناعة المعرفة العلمية هو أن منطلقها مؤسس على مسالك منضبطة لاعتمادها على استقراء المعلومات من واقع الموجودات وبالتجارب في تحديد تفاعلات عناصر البيئة، وبيان العوامل والعلاقات المتحكمة في تلك التفاعلات، وبنية الأجسام المركبة والبسيطة، وهكذا زحزح العلم تلك المعتقدات المبنية عن المعارف الموروثة واستبدلها بمعلومات يقينية وأخرى افتراضية مؤسسة على المشاهدات وعلاقات مستخرجة من الواقع.

لكن مع ذلك بقي الإنسان غير قادر على إدراك وبلوغ حقائق الأمور وخاصة من جانب وجودها ومآلها، بل حتى في تفسير بعض الظواهر، لأنها تفوق قدرة استيعاب عقله، وطاقة

إحساسه بها فهي غيب عنه أو شبه غيب، فجاء الدين الإسلامي بمصدر خارجي للمعرفة من قبل الخالق والمدبر لهذا الوجود بما يحويه من كائنات وتفاعلات بين عناصرها.

وأول ما قام به الدين الإسلامي؛ أنه ركز على تحرر المعرفة والعلم من القيود التي توجه طلبهما وما تحققه المعرفة، وحث على تحصيلها بطرق مجردة من أحكام مسبقة ومن كل ما يوجهها؛ بل ركز على حيادية المعرفة إلى درجة أن جعلها من خصائص الإنسان ومميزاته عن المخلوقات الأخرى، ونص على ذلك في منظومته العلمية والعقدية.

بعد أن ميز الدين الإسلامي في نصوص الوحي الإنسان بقدرته على تحصيل المعرفة جعلها من وظائفه، بل حباها بالرفعة والمكانة لمن طلبها وحصلها، وقعد الوحي لتحصيل مفاهيمه ومعاني نصوصه ودلالة بعض مصطلحاته وألفاظه مناهج علمية دقيقة، ووضع لها مؤهلات تكتسب بالبذل، والجهد، وذاك بيان لقيمة المعلومة السليمة الصحيحة المعبرة عن حقيقة ما، ومن هذا المنطلق بين الوحي في قضية الخلق الجانب الذي هو في متناول الإنسان وأمده بمعلومات دقيقة، وأجمل معلومات، وجعل تحصيل تفاصيلها لا يتم إلا ببلوغ مراتب راقية في المعرف واكتساب مؤهلات أكبر، فعند بلوغها ستحصل له تفاصيلها وأبلغه بجانب غيبي لا يمكن للإنسان بلوغه لمحدودية طاقته، وقدرة استيعابه لها.

لكن ضرب له مثالا واقعيا من ذاته، ومن محيطه الذي يتفاعل مع عناصره على الدوام.

جاءت النصوص التي تحمل معرفة وخبرا علميا لها دلالات ومفاهيم جامعة، وأخرى مجملة، وأخرى مفصلة، فضبطت اجتهادات الإنسان العلمية في تحصيل الجامع والمجمل بقواعد أهمها عدم تقييد المفهوم الجامع للنص على ما بينته الكشوف التي قد تكون لوجه دون وجه آخر.

كما ركزت نصوص الوحي على قضية الخلق وجعلتها قاعدة تصحح الاعتقاد في المصير وبنيت على تفاصيلها وبيانها قناعة الإنسان المستيقنة بأخبار حوادث آتية تحدد مصيره بناء على وظيفته ودوره المنوط به في حياته، أي تحديد الغرض والمقاصد والحكمة التي خلقه الله من أجلها، المجملة في استخلافه في الأرض، وعرضت نصوص الوحي أخبارا ومعارف غيبية لا يتمكن الإنسان من الوصل إليها؛ وإن أحس بآثارها كوجود الروح، والكائنات الغيبية من

ملائكة وجن...الخ؟ وهي معارف موقوفة على الإعلام بوجودها دون تفصيل لماهياتها وقد بين الوحي أن التوغل في ذلك سيخرج الإنسان من المجال المحدد له في الخلق ويجعله عاطلا عن أداء وظيفته فأمده بمقدار لا يؤثر في مميزاته وخصائصه، وهذا أبلغ إعجاز في خلق الإنسان.

والمقارنة بين نتائج الكشوف العلمية ومفاهيم نصوص الوحي ما هو إلا ضبط في تصور بعض المفاهيم وتنقيتها من الشوائب الدخيلة عليها من أساطير الأديان والتصورات الخيالية، أو توجيه لمفهوم الكشف من قبل بعض النصوص، وقد استفاد العلماء المسلون الأوائل في كثير من جوانب تحصيل المعارف من توجيهات الوحي في مجالات البحث أمرا بالإتيان، أو الترك؛ أي المواضيع التي يجب البحث فيها والمجالات التي يجب التوقف فيها.

هناك معارف تسمى علمية وهي موجهة عقديا في كثير من جوانبها؛ مثل نظريات التطور والارتقاء، وقد تأثر بها علماء مسلمون قدماء ومحدثون فقالوا بها لكن وجود العلماء العارفين بحقيقة الوحي بينوا مواقع البحث التي للإنسان حق الخوض فيها، ومواقع التوقف إما لعدم وجود مؤهلات علمية، أو إمكانيات طبيعية، أو لمحدودية طاقات الإنسان مهما أوتي من قوة.

وبذلك جعلوا المعارف المنصوص عليها إجمالا أو تفصيلا في نصوص الوحي تبقى تتنامى يوما بعد يوم، وكلما تطور الإنسان في معارفه ووسائله أزداد دقة، وجلاء في وضوح الوجه الواحد من المعرفة، كما قد تظهر له وجوه أخرى كانت كامنة.

ومن باب تحصيل العلم والمعرفة التي جعلها الوحي في الإسلام فريضة مخاطب بها كل إنسان مسلم يصبح من الواجب استمرار ومواصلة البحث والمقارنة بين الكشوف العلمية ونصوص الوحي، وذلك إما تصليحا لما وقع فيه بعض الباحثين، أو إظهار معرفة حديثة لتحقيق المعجزة الخالدة التي حملها القرآن الكريم في طيات نصوصه، على رأسها قضية خلق الكون والإنسان؛ وذلك لتسخير القوانين التي أودعها الخالق في الظواهر الطبيعية في الكائنات الموجودة في الكون، والموجودة في ذات الإنسان خلال مراحل حياته، أو التي تبرز نتيجة تفاعله مع عناصر بيئته. الغرض الحاصل من ذلك هو تحقيق العبودية والوحدانية لله بانبعاث تلقائي من نفس الإنسان.

Création de l'être dans le Coran:
Étude comparative par des théories scientifiques

L'importance de la création de l'être dans les religions et les doctrines est souligné depuis l'antiquité, elle est liée particulièrement à son existence, à, son rôle, à son âme et à son esprit.
Car elle traite la tourmente qui dérive de l'énergie intellectuelle et psychique, qui concourre à la connaissance de leur existence.
Cependant les phénomènes de reproduction et d'anéantissement des êtres ont conduit l'homme à rechercher ses origines et sa destinée.
Les religions ont essayé de répondre à certaines questions auxquelles toute personne se pose. Elle a pris un moyen pour diriger les imaginations et les comportements de ses subordonnés.
Elle fait de la théorie de la création de l'être, une base laquelle s'appuie sur le génie de la religion ou de la concurrence, ce qui a conduit à mettre un prototype du comportement de l'individu et de la société dont laquelle il vit.
L'objectif principal est de démarrer dans la réalisation de tout comportement imaginatif religieux.
L'évolution scientifique a suivi le même rôle envers l'homme lui-même essayant de combler un vide déjà créer depuis l'antiquité par la mythologie.
Et cela après avoir été dépassé par les nouvelles théories, qui été considérées auparavant comme le fondement endoctrinien.
Les principes de la théorie scientifique basés sur le rassemblement des connaissances scientifiques expérimentales à partir de l'environnement.
Cependant, l'homme restera toujours incapable de connaître la réalité des choses, même en ce qui concerne l'explication de quelques phénomènes, car elle dépasse ses capacités intellectuelles.
L'islam, religion est venu comme une source exogène à l'être humain, dont l'origine est divine.
La première chose attribuée à l'islam est la liberté des connaissances, comme caractéristique principale : Relation Sciences-être humain, avec pour objectif essentiel l'anéantissement des théories anciennes.
L'islam a émis critères de base pour pouvoir connaître les textes et les termes divins.
Tout ça s'acquiert par des compétences et des efforts.
L'islam nous a montré des choses bien précises, que l'esprit humain n'arrive à les expliquer,
D'autres, il nous a donné des choses (textes) globales non expliquées pour nous inciter à rechercher dans la nature de la chose; ainsi qu'il nous a éclairé sur l'existence de l'au delà.
L'islam, nous a donné un exemple de nous même.
Des textes coraniques sont venus porter des connaissances globales non expliqués et autres bien détaillés.
Des textes globaux sont d'explication non finalisés et peuvent être expliqués en fonction de l'évolution des connaissances humaines et de son époque.
Les textes divins se sont basés sur la création de l'être et l'ont considéré comme base d'une croyance juste, et le grand miracle est sa création.
L'étude comparative entre les découvertes scientifiques et les textes divins est une purification de l'esprit de l'être des mythes anciens, elle dirige les intervalles de recherche.
Certaines théories appelées scientifiques mais dirigées d'une façon endoctrinienne comme la "théorie de l'évolution et du développement des êtres vivants", ou certains savants

Arabo-Musulmans ont été influencés par ses théories, de même que certains nouveaux chercheurs.
Mais, l'existence de savants qui connaissent les vérités des textes coraniques ont montré l'intervalle de recherche, ou l'homme peut chercher; d'autres ou il est impossible de rechercher, ce qui a permis un développement des connaissances globales jour après jour et cela en fonction de l'avancement et du développement scientifique.
Après tout ce qu'on a vu, il devient impératif pour tout musulman de rechercher et d'avoir la connaissance des choses. L'étude comparative devient une obligation entre textes divins et découvertes scientifiques et cela pour corriger les déviations de certains chercheurs ou apporter de nouveaux arguments pour expliquer une situation bien précise, un effet ou texte mal compris par les anciens (Miracle éternel=Coran).
De même pour établir des lois déjà existantes dans la nature et les exploitées.
Au terme de notre travail, l'objectif essentiel est: **ADORATION ET UNIFICATION DIVINE**
Ce Travail se réparti en quatre chapitres:

1- Chapitre I: Création de l'être dans les anciennes théologies (religions) qui ont précédé l'islam.
2- Chapitre II: Création des êtres qui ont précédé la création céleste, de même la création de ses constituants.
3- Chapitre III: Création de la terre et formation de l'écorce terrestre, les océans et les phénomènes atmosphériques.
4- Chapitre IV: Créations des êtres vivants de l'au-delà, de la flore, de la faune et de l'homme.
Cette a été réalisée sur des bases comparatives entre des textes divins (Coran et Hadith) d'une part et théories scientifiques.
Notre étude s'est terminée par une conclusion qui a compris des résultats et des suggestions.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

The Creation in Koran:
Comparative study by modern scientific theories

The importance given to creation by religions and doctrines in the past to is due to its role and place in man's mind since it treats his wander set when thinking and fancying to understand being's existence.

Man's knowledge on the proliferation of beings and their disappearance informed him about his origin and destiny and helped him as well to find answers to questions such:

-Where do i come from? And where am I going to? From where do these beings come? And what is their destiny? How did this life begin? And what will it be? Different religious tried to answer those questions that exist in every man's mind and shaped their disciple's thinking and faith. Those questions become the basis upon which lies the frame of that religion or doctrine. Therefore it created a vision to man's individual and collective behaviors after he had searched the truth and satisfied his curiosity and concern about the origin and the destiny knowledge.

-This of course permit man realize there visions for himself as well as for his society.

Also the modern technology did the same for man when it tried to fill that void left by the legends of the ancient religions and that became out of date in the light of new discoveries and scientific revelations which are used to explain and indicate the rightness of the beliefs. And since the purpose of any scientific study is: to sort out the rigorous routes and information from the real life and through different experience to understand the reactions between the environment components and the different factors and rules that underlie them; and to study the structure and composition of matters; it overthrow the inherited beliefs and replaced them with reliable information and other suppositions out of reality.

Nevertheless, man could not perceive the reality of matters, especially when it comes to their origin and destiny. Neither could he understand some phenomena that go beyond his abilities nor feelings until Islam brought a new source of knowledge, straight from the Creator, the organizer of life with answers to all its beings and the reactions between the different components.

Islam focused firstly on freeing science from the obstacles that impeded it and precognized to deal with it without any prejudices. In other words, Islam emphasized on the neutrality of sciences and considered its uniqueness to mankind rather other creatures and dictates it as one of its scientific and religious recommendations.

Not only did Islam characterize man with his abilities to earn science and make it one of his tools, but it also greeted those who are looking after it. In addition, the religion through its revelation focused on the notions, the explanations of the texts, the words and terms meanings with a subtle scientific approach. It set to science some qualifications paid by effort and devotion because of the value of right information leading to the truth. That is why the revelation differentiated between two sides in the creation matter.

On the one hand, what the human being is able to understand with very acute information when reaching a high level of knowledge (effort).

On the other hand, the unseen that man cannot reach or even assimilate.

Islam brought an example to man about him and also the environment he is living in and with which he is in a constant relationship.

The texts with scientific information and knowledge brought common meanings at turns and general and detailed ones at others. In that, they aimed to guide man's scientific efforts to differentiate between the common and general rules mainly not to limit the common meaning of a text to some explanations that may apply to one side and not the other.

The text also insisted on creation as a basis to correct the beliefs on the destiny and explained it in details and the man's convection about events that would determine his destiny according to his role and function in this life.
In other words, to settle the finality, the goal, and wisdom for which he has been created by god making of him his successor on earth.
The revelation text set forth unseen information and knowledge that is unreachable by man though hem ay feel the presence such: the sprit, the unseen creatures: like angels. demons…etc?
Though the knowledge about these creatures cannot be fully understood and must not be deepened for it will prevent in assume his role, this remains the very miracle of man's creation.
The comparison between the scientific discoveries results and the revelation texts notions is but a fixing of some notions considerations and their purification from the legends of the religions and people imagination, or guiding the notion of discovery by some texts. Consequently, the first Muslim scholars got benefit in a lot of sides of sciences from the orientations of the revelation in their researches whether to go through a subject or not to.
There is some knowledge considered scientific that is faith guided in many ways, like the development theory that influenced many ancient and modern Muslim scholars who sustain it, unlike the learned scholars about revelation matters who reminded the first ones the boundaries within which their researches must take place or natural unavailability of man or his limited capacities despite his skill.
They considered that the knowledge recommended generally or in details in the revelation texts will grow steadily day by day.
Each time a man develops his knowledge and tools, he become more subtle and aware about one side of a science or notices other sides that were hidden up to that time.
From the finality of acquiring knowledge and science that the revelation of Islam considered as an obligation (a must) to every man, it would be necessary to go on searching and comparing the scientific discoveries and the revelation texts whether to repair some scholar's errors or to show a modern knowledge that realizes the everlasting miracle within the they Koran's texts, chiefly about the universe and human creation in order to subdue god's rules in the natural facts, internal and exterior of human beings in the universe and also in man himself through the different stages of his life; or those facts that happen when interacting with the other elements of his environment.
The goal rests to realize the worshipping and the uniqueness of god coming out spontaneously from man's mind.

This Work divided into four chapters:

1 Chapter I: Creation to be it in old theologies (religions) which preceded Islam.
2 Chapter II: Creation of the beings which preceded celestial creation, in the same way the creation of its components
3 Chapter III: Creation of the ground and formation of the Earth's crust, atmospheric oceans and phenomena.
4 Chapter Iv: Creations of the alive beings of beyond, the flora, fauna and the man.
This was realized on comparative bases between divine texts (Koran and Hadith) on the one hand and scientific theories.
Our study ended in a conclusion which included/understood results and suggestions.

فهرس الآيات

رقم الآية	الآيات وسورها	الصفحة
	البقرة	
3-1	الم.ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ... وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ	140
12-11	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا ... إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ	146
22	الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ ... وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ	146
30	وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً	195، 198، 231، 241
29	هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ...	83،96،97
36	وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ...	88،155، 235
59	فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ...	89
74	وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ	181
98	مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ	199
127	إذ رفع إبراهيم القواعد من البيت .... إذ رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل...	49
255	إلا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ...	67
259	فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ...	48
	آل عمران	
50-47	قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ ... وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ.	216
27	وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي...	47
44	وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ ...	70
31	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الأَرْضِ ...	145
59	إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ ...	245
	النساء	
97	قَالُوا ... أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ ... وَسَاءَتْ مَصِيرًا "	145
	المائدة	
110	وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ...	46-216
	الأنعام	
1	وجعل الظلمات والنور...	48، 101
6	وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ...	88
35	نْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ ...	88

38	وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ...	44
77	فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي..	133
96	فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ...	175 -133
97	وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ...	108
125	فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ ...يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ...	172 ،87،169
144-142	وَمِنْ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ... أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ.	219

الأعراف

162	أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ...	89
54	الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ..	107،117
73	وإلى ثمود... ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها ...	217
145	وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا	76
96	ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء ...	88
27	يَابَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ...إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ	201
25 -24	في الأرض مستقر ومتاع إلى حين. قال فيها تحيون وفيها ..	235 ،155
12	قال ما منعك ألا تسجد ... أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين.	201

الأنفال

32	فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنْ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ...	89

التوبة

129	إِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُ	65

يونس

3	اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ	97
5	هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا...	103 ، 117
34	قل الله يبدأ الخلق	47
61	وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَ...	91 ، 173

هود

7	كان عرشه على الماء.....	79، 57، 56
61	هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنْ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا...	48
65 -64	وَيَاقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ ... فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ	218
70	فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ ...	198

يوسف

31	فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا...إِلا مَلَكٌ كَرِيمٌ.	187
100	ورفع أبويه على العرش....	61

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الرعد

2	اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ...	93، 118، 124
16	أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ	5

إبراهيم

33	وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ	118

الحجر

22	وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ...	140، 184، 189
26- 27	وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ. وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ...	219، 200، 234
28- 29	وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ.فَإِذَا...	232
30- 33	فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ...خَلَقْتُهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ	203

النحل

8	ويخلق ما لا تعلمون	96
5- 8	وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ... وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ	219
12	وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ...	107، 108، 117
16	وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ	108
79	أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلا اللَّهُ ...	168
89	وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ....	44

الإسراء

12	وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ..	133
36- 37	وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ ... وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا"	146
44	تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ...لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا	145، 161
59	وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلا تَخْوِيفًا.	219
70	وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ...وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا	231
85	وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا	232، 255

الكهف

50	وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ... وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلا	203
51	مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ ...	131، 141، 158

مريم

17	وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ...فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا	197
18- 19	قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ...قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا	197
90	تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ ...	27

طه

5	الرحمن على العرش استوى.....	61

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

53- 55	الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا... وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى	147، 211، 234

الأنبياء

30	وجعلنا من الماء كل شئ حي....	56، 57، 85، 86، 210
32	وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ	91- 103، 175
33	وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ.	119
48	"لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ"	101
81- 92	وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ ...وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلا دُونَ ..	204
104	يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ...	91، 96، 107، 122

الحج

5	يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ ... وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ.	244- 252
18	أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ	134

المؤمنون

12- 14	وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ... فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ	234، 243، 252، 254
17- 18	وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ ...	93، 181- 184

النور

35	الله نور السماوات والأرض	101
43	أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى ...	140، 183

الفرقان

48	وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ ... وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا.	188
61	تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا	117

الشعراء

4	إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ.	90
155- 157	قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ ... إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ	218

النمل

61	أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ ...	156
38	أيكم يأتي بعرشها....	60

القصص

71- 73	قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا ...مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.	176

العنكبوت

14	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ...	245
20	قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ ...	7، 41، 131، 156

الروم

19...	يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ ...	48

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

48	اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ...	184

لقمان

10	خلق السماوات بغير عمد ترونها...	93، 164
11	هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ...	27
20	أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ... لَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ	169
27	وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ	70
29	أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ... وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ.	175
30	وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى	118

السجدة

5	يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنْ... فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ	98
8- 9	ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ...وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ	233
11	قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ	199

الأحزاب

62	وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا	129

سبأ

2- 3	لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ ...	174
12- 13	وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا ...	204
14	خَرَّ تَبَيَّنَتْ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ	201

فاطر

1	الحمد لله فاطر السموات والأرض...	49، 193
9	وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا...	187
11	وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ ... كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ	243
41	إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ...	26، 50، 51، 94
43	فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ...	39، 129
27	وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ	164

يس

18	إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ...	50
36	سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ ....وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ	211
37	وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ	152
38	وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ	63، 92، 124
40	لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ ... وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ	148
77- 79	أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ...وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ.	47، 249
81	بلى وهو الخلاق العليم	96

الصافات

6	إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ .	91
125	أَتَدْعُونَ بَعْلا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ	20
165- 164	وَمَا مِنَّا إِلا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ. وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ. وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ.	195
152 -149	فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ...	196

ص

34	وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ..	67
38 -37	وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ. وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ.	205

الزمر

5	خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ .... الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ	152، 176
6	وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج...	49
9	قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ...	178
75	وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ	194

غافر

7	الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ.....	66
64	اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ ...	156
67	هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ ...وَلِتَبْلُغُوا أَجَلا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ	244

فصلت

12 -11	ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ... وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ...	80، 86، 96، 97، 103
37	وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ	134
53	سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ...	41، 159، 230
10 -9	قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ... فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ	125، 143,141، 158

الشورى

29	ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث....	47

الزخرف

19	وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَانِ إِنَاثًا ... شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ	196
81	سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ...	61
84	وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ	90

الدخان

10	فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ.....	81

الفتح

23	وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا "	129
8 -6	أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ... تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ.	84
38	وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ	97

الذاريات

1- 5	وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًافَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا. فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا. فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا...	189
26- 28	فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ. فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ... بِغُلَامٍ عَلِيمٍ	198
41- 42	أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ. مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ	189
47	وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ	94

النجم

1	والنجم إذا هوى".	106
5- 6	عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى. ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى	197

القمر

1	اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ	135
13	وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ	76
49	إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ...	75
27- 28	إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً ... فَتَعَاطَى فَعَقَرَ. فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ	218

الرحمان

5	الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ	118
14- 15	خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ....	51، 200

الواقعة

57- 60	نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ.أَفَرَأَيْتُم مَا تُمْنُونَ.أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ...	250
75- 76	فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ	108

الحديد

25	أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ...	49، 142

الحشر

24	هو الخالق البارئ المصور...	47

التغابن

3	وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير...	47

الطلاق

3	إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا....	75، 144، 174
12	اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ .... بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا.	144،160,153,157، 161

الملك

5	وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَ...	91
17	أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ...	89
30	قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ.	182

ن

1	ن والقلم...	70- 71

الحاقة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

6	وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ	189
17	وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ	66، 194
	نوح	
13- 17	مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا... مِنْ الأَرْضِ نَبَاتًا...	50، 234، 235، 244، 251
16	وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا	92
	الجن	
8- 9	وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا... الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا	203
	المزمل	
18	السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولا.....	83
	المدثر	
31	وما يعلم جنود ربك إلا هو	195
	القيامة	
9	وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ.	122
7- 9	فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ. وَخَسَفَ الْقَمَرُ. .... يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ	135
	الإنسان	
1- 2	هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ ... مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا	243
20- 2	أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ. فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. إِلَى ... الْقَادِرُونَ	249- 250
8	فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ	106
	النبأ	
6- 7	أَلَمْ نَجْعَلْ الأَرْضَ مِهَادًا.وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا	165
14	وَأَنزَلْنَا مِنْ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا	183، 188
11- 15	وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا...وَأَنزَلْنَا مِنْ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا. لِنُخْرِجَ ...	116
38	يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا ... مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَانُ وَقَالَ صَوَابًا.	194
	النازعات	
28	أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا...	91
27- 31	أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا ...ا.أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا.	210
30، 31	وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا...	96، 148
32	والجبال أرساها.	164
	عبس	
25- 29	أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ ... فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا. وَعِنَبًا وَقَضْبًا. وَزَيْتُونًا وَنَخْلا .	210
	التكوير	
1- 2	إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ. وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ.	106،109،122
11	**إذا السماء كشطت**	**91**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

16-15	فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ. الْجَوَارِي الْكُنَّسِ	109

الانفطار

1	إذا السماء انفطرت	91
7	الذي خلقك فسواك فعدلك.....	49
12 -10	وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ. كِرَامًا كَاتِبِينَ. يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ	73

البروج

22	في لوح محفوظ....	76

الطارق

3	النجم الثاقب	109
6 -5	فَلْيَنْظُرْ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ	57، 256

الأعلى

2-1	سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى .الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى	254

الغشاية

20 -17	أَفَلا يَنْظُرُونَ ...وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ.وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ.	49، 139 ، 164

التين

4	لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم	254

العلق

2	خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ	252
4	علم بالقلم....	70

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث

الحديث	الراوي	الصفحة
... أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال فانطلق منا فأرانا آثارهم وآثار	مسلم	202
... فقالت:يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية . .	مسلم	195
أتدرون كم بين السماء والأرض قلنا الله ورسوله أعلم قال بينهن مسيرة خمسمائة عام...	الترمذي	92
أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال خلق الله عز وجل التربة يوم السبت...	مسلم	100
أكرموا عماتكم النخل فإنها خلقت من بقية طينة آدم	ابن مسكويه	236
إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه ... سعيد ثم ينفخ فيه الروح	البخاري	255 ،244
إن الله تبارك وتعالى أول شيء خلق خلق القلم وهو من نور مسيرة خمسمائة عام....	أبو الشيخ	73
أن الله سبحانه خلق كرسيا بين يدي العرش دونه السماوات والأرض....	الزمخشري	67
أن أهل الفردوس يسمعون أطيط العرش وهو تسبيحه وتعظيمه....	البيهقي	68
أن أول شيء خلقه الله تعالى القلم وأمره فكتب كل شيء يكون	البيهقي	73
إن أول ما خلق الله عز وجل القلم فقال له أكتب فقال يا رب ما	أبو الشيخ	74
إن كرسيه وسع السماوات والأرض وإن له أطيطا كأطيط الرحل الجديد	ابن كثير	68
إنما يسمى إنسانا لأنه عهد إليه فنسى	الدميري	227
أنه قال عن الكرسي علمه	البيهقي	67
أني سمعت رسولﷺ يقول أن أول ما خلق الله القلم فقال له أكتب	ابن كثير	73
اهتز العرش لموت سعد ابن معاذ اهتز العرش لموت سعد ابن معاذ....	البخاري	63
أول ما خلق الله القلم فقال أكتب فكتب ما كان.....	ابن العربي	72
أول ما خلق الله تبار وتعالى القلم، ثم قال.....	أحمد	66
بعث علي... قال: فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء...	البخاري	90
بينما نحن عند رسول الله ص ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد...	مسلم	198
خلق إبليس من نار، وخلق الملائكة من نور العزة	أبو الشيخ	194
خلق الله عز وجل اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام فقال للقلم قبل أن يخلق الخلق ...	أبو الشيخ	76
خلق الله عز وجل الملائكة صمدا ليس لهم أجواف	أبو الشيخ	94
خلق الماء أولا، أو الماء وما شاء من خلقه لا عن أصل ولا على مثال سبق...	البيهقي	79،83
خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم	مسلم	194
خمس قد مضين الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر...	مسلم	81
رأيت جبريل منهبط قد ملأ الخافقين عليه ثياب سندس معلق بها اللؤلؤ والياقوت.	أبو الشيخ	195
روى في الخبر أن جارية عرضت على رسول الله ﷺ ممن أريد عتقها في الكفارة ...	ابن فورك	90
السماء والأرض رتقا واحدا، والأرض رتقا ففتق السماء والأرض سبعا...	**أبو الشيخ**	**85**
شر العلم الغريب وخير العلم الظاهر الذي قد رواه الناس.....	**العراقي**	**74**

العرش ياقوته حمراء.....	أبو الشيخ	65
عن أبي ذر(ت)قال: دخلت على رسول(ﷺ) ... ما السماوات السبع في الكرسي...	البيهقي	67
فإذا سألتم فاسألوه الفردوس الأعلى .	البخاري	62
فإنها تذهب تستأذن في السجود فيؤذن لها وكأنها....	البيهقي	63
فقالت يا أبا سلمة اجتنب الأرض فإن رسول الله (ﷺ) قال من ظلم قيد شبر طوقه من سبع أرضين.	البخاري	162
فمكثوا يدينون له من بعد موته حولا كاملا	ابن كثير	202
قال (ﷺ) من أخذ شيئا من أرض بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين	البخاري	162
قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم، وعقلت ناقتي بالباب	البخاري	64
قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد عند غروب...	البخاري	63
كان القمر يضيء كما تضيء الشمس، والقمر آية الليل، والشمس آية النهار، ...	ابن كثير	135
كان في عماء ما فوقه هواء...	البيهقي	64، 58
الكرسي موضع القدمين وله أطيط كأطيط الرحل...	البيهقي	68
الكرسي هو العرش والصحيح أن الكرسي غير العرش.....	ابن كثير	67
كرسيه موضع قدميه، والعرش لا يقدر قدره....	الذهبي	68
كما قال ... أمن شبه الله بخلقه كفر ومن جحد...	ابن كثير	62
لم يجئ أهل هذه الآية	ابن كثير	146
لوح من نور وقلم من نور يجري بما هو كائن.....	ابن كثير	73
ما في السماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم فذلك...	أبو الشيخ	195
مالك وغيره الاستواء غير مجهول والكيف غير...	البيهقي	62
مدة طيلة نحو من سنة فلما أكلتها دابة الأرض وهي الأرضة...	ابن كثير	202
من اقتطع شبرا رمن الأرض ظلما طوقه الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين...	مسلم	162
من الأرضين معها ست فتلك سبع، ومن السماء ست سماوات معها فتلك سبع ...	الشيخ	85
نعم كانت السماوات رتقا لا تمطر وكانت الأرض رتقا لا تنبت... ففتق هذه بالمطر...	السيوطي	86
وأما قول بواب السماء وقد بعث إليه فمراد، وقد بعث إليه للإسراء وصعود السماوات	النووي	91
وروى عن عمر أنه صارع جنا فصرعه عمر ت فقال إنكم تمتنعون منا بآية الكرسي ...	القرطبي	205
وكلني رسول الله (ﷺ) بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته...	البخاري	204
وما تسمع يا رسول الله قال أطت السماء وحق لها أن تئط...	أبو الشيخ	195

قائمة المراجع

1. القرآن الكريم برواية حفص
2. التوراة العبرية. طبعت بإسرائيل.
3. الكتاب المقدس (الطبعة المعربة، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط)
4. إبراهيم أحمد رزقانة. وآخرون. الجغرافية الطبيعية. دار النهضة العربية. ط (1967).
5. إبراهيم حلمي غوري .الأرض .دار الشروق.د.ط.ت
6. إبراهيم حلمي غوري .القمر .دار الشروق.د.ط.ت
7. إبراهيم حلمي غوري .النيازك والشهب والمذنبات .دار الشروق.د.ط.ت
8. إبراهيم حلمي غوري. الشمس.دار الشرق العربي. بيروت.د.ط.ت.
9. إبراهيم حلمي غوري .النجوم.دار الشرق العربي.بيروت.د.ط.ت.
10. إبراهيم حلمي غوري. نشوء الكون.دار الشرق العربي.حلب.د.ط.ت.
11. إبراهيم رزقانة ،وآخرون. الجغرافية الطبيعية. دار النهضة العربية .ط (1767).
12. إبراهيم مذكور. في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه.دار المعارف.مصر.ط3 (1983).
13. ابن أبي الدنيا المطر والرعد والبرق والريح.تحقيق: طارق محمد سكنوع الغمودي. دار ابـــن الجـــوزي . ط1 (1997م).
14. ابن العربي، أحكام القرآن. تحقيق:علي محمد البجاوي.دار المعرفة.بيروت.د.ط.ت.1
15. ابن القيم .الروح .دار الكتب العربية.بيروت.د.ط.ت.
16. ابن القيم.شفاء العليل.تحقيق:السيد محمد بدر الدين أبو فراس النعساني.دار الفكر.ط(1978م).
17. ابن تيمية. التفسير الكبير.تحقيق:عبد الرحمان عميرة.دار الكتب العلمية.بيروت.ط1(1988م).
18. ابن حجر العسقلاني. الإصابة في تمييز الصحابة. دار العلوم الحديثة ط1(1328 هـــ).
19. ابن حزم الفصل في الملل والأهواء والنحل.دار الكتب العلمية.بيروت.ط1(1996م).
20. ابن خزيمة:محمد ابن إسحاق.كتاب التوحيد واثبات صفات الرب.دار الكتب العلمية.بيروت.ط(1992).
21. ابن خلدون، المقدمة. دار الفكر
22. ابن رشد. الكشف عن مناهج الأدلة (الموجود في فلسفة ابن رشد).دار الافاق.بيروت.ط1(1982م).
23. ابن رشد.فصل المقال.الشركة الوطنيةللنشر والتوزيع.الجزائر.ط(1982).
24. ابن سبعين . بد العارف.تحقيق:جورج كتورة.دار الأندلس.بيروت.ط1(1978م).
25. ابن سينا الشفاء.دار المؤسسة الجامعية.بيروت.ط(1982).
26. ابن فارس. معجم مقاييس اللغة. تحيق:عبد السلام محمد هارون.دار الجيل.بيروت.ط1(1991).
27. ابن فورك.أبو بكر.مشكل الحديث وبيانه.تحقيق:موسى محمد علي.عالم الكتب.بيروت.ط2(1985).
28. ابن قتيبة أبي عبد الله ابن مسلم.تأويل مختلف الحديث.تصحيح:محمد زهري النجار.مكتبة الكليات الأزهر.د.ط.ت.
29. **ابن كثير. البداية والنهاية. مكتبة المعارف. بيروت**
30. **ابن كثير.بداية خلق الكون.تحقيق:عادل أبو المعاطي.دار البشير.ط(1993).**

31. ابن كثير:أبو الفداء اسماعيل ابن كثير. تفسير القرآن. دار الثقافة.الجزائر.ط(1990م).
32. ابن كمونة اليهودي، تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث.دارالأنصار.القاهرة.د.ط.ت.
33. ابن مسكويه: أبو علي أحمد بن محمد. تهذيب الأخلاق. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1(1985).
34. ابن منظور. لسان العرب. دار النشر. بيروت .ط(1968م).
35. أبو الشيخ:عبد ابن محمد ابن جعفر بن حيان.العظمة.تحقيق:محمد فارس.دار الكتب العلمية.بيروت.ط1(1994).
36. أبو القاسم البلخي، القاضي عبد الجبار، والحاكم الجشمي،فضل الاعتزال و طبقات المعتزلة.تحقيق: فؤاد سيد.الدر التونسية.ط(1986م).
37. أبو يعرب المرزوقي. مفهوم السببية عند الغزالي.دار بو سلامة.تونس.ط2(1985م).
38. الأجري:أبي بكر محمد بن الحسين. الشريعة.تحقيق:محمد حامد الفقي.دار الكتب العلمية.ط1(1983م).
39. أحمد ابن سهل البلخي. البدء والتاريخ.تحقيق:خليل عمران المنصور.دار الكتب العلمية.بيروت.ط1(1997).
40. أحمد البنا. الفتح الرباني. الطبعة الثانية. دار إحياء التراث العربي. بيروت.
41. أحمد الحوفي. معاني السماء والأرض في القرآن.مؤسسة الخليج العربي.د.ط.ت.
42. أحمد شلبي. أديان الهند الكبرى-البوذية - مكتبة النهضة المصرية. القاهرة .ط2 (1966م).
43. أحمد علامة. صور الأرض. دار الفتح العربي. بيروت. ط2(1985م).
44. أحمد ابن حنبل في المسند.دار مؤسسة قرطبة.مصر.د.ط.ت.
45. إخوان الصفا. جامعة الجامعة.تحقيق:عارف تامر.دار الحياة.بيروت.د.ط.ت.
46. إخوان الصفاء. الرسائل.دار بيروت.ط(1983).
47. ادوارد أو .دودسن. التطور عملياته ونتائجه.ترجمة:أمين رشيد حمدي،ورمسيس لطفي. عالم الكتب. ط(1969).
48. أدولف ارمان.ديانة مصر القدية.ترجمة:عبد المنعم أبو بكر،ومحمد أنور شكري.مكتبة مدبولي.القاهرة.ط1(1995)
49. أديث راسكين العالم من حولنا. ترجمة: أحمد أبو العباس. دار المعارف.مصر. ط(1965م).
50. أرنست ماير. هذا هو علم البيولوجيا. ترجمة: عفيفي محمود عفيفي. عالم المعرفة.جانفي 2002 الكويت.
51. إسماعيل حقي البر سوي. روح البيان. دار التراث العربي. بيروت.
52. الأشعري. مقالات الإسلاميين.تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد.دار الحداثة.ط2(1985).
53. الألوسي. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. دار الفكر العربي. بيروت.ط1970م).
54. أمير عبد العزيز . الإنسان في الإسلام . دار الفرقان. ط2(1986).
55. أنطون مورتكات. تاريخ الشرق الأدنى القديم. تعريب: توفيق سليمان وعلي العساف وقاسم طوير.د.ط.ت
56. الإيجي: عبد الرحمن بن أحمد. المواقف. علم الكتب. بيروت. د.ط.ت.
57. البخاري :محمد ابن إسماعيل.الجامع الصحيح.تحقيق:قاسم الشماعي الرفاعي.دار القلم.بيروت.ط1(1987م).
58. بركات محمد مراد.البيروني فيلسوفا.دار سيكو.ط1(1988).
59. البغدادي. والفرق بين الفرق.تحقيق:محمد محي الدين.دار المعرفة.بيروت.د.ت.
60. البغدادي، الملل والنحل.تحقيق البر نصري.دار الشروق.بيروت.ط2(1983).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

61. البهي الخولي. آدم فلسفة تقويم الإنسان وخلافته.دار التراث. القاهرة.ط3 (1974).
62. البيضاوي . أنوار التنزيل وأسرار التأويل.دار الفكر.د.ط.ت.
63. البيهقي. الاسماء والصفات.دار إحياء التراث العربي.
64. تاج الدين الحاعوني.الإنسان.دار عمار.ط1(1993).
65. الترمذي:أبو عيسى محمد بن عيسى.الجامع الصحيح.تحقيق: عبد الرحمان عثمان.دار الفكر.ط2(1394هـ-1974م).
66. تشارلز داروين.أصل الأنواع.دار موفم للنشر.الجزائر.ط(1991).
67. التفتازاني. شرح المقاصد.تحقيق:عبد الرحمان حمزة.دار الشريف الرضي.ايران.ط1.د.ت.2
68. التوراة العبرية
69. جلال محمد موسى. منهج البحث العلمي عند العرب. دار الكتاب اللبناني. ط(1982).
70. جمال عبد الهادي محمد مسعود، ووفاء رفعت جمعة.الإسلام دين في الأرض وفي السماء.دارالصديقية. الجزائر.ط(1990م).
71. جواد الحسيني علي الشاهرودي.الإنسان في مراحله الست.دار الزهراء.بيروت.ط4(1987م).
72. جودة حسين جودة.العصر الجليدي.دار النهضة العربية.مصر. ط(1980م).
73. جوزيف جارلان مخلوقات كوكبنا الأرضي. ترجمة: عبد المنعم سلام.دار نهضة مصر. ط(1964).
74. جول كارل. أصول الحياة .ترجمة: خليل الجر. المنشورات العربية. د.ط.ت.
75. جون غريبين. النجم الغريب مولد الشمس وموتها.ترجمة: فائز فوق العادة.دار الشيخ.دمشق ط1، (1988).
76. جيمس فريزر. الفلكلور في العهد القديم. ترجمة: نبيلة إبراهيم. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط (1972م).
77. حسام الألوسي. حوار بين الفلاسفة والمتكلمين.المؤسسة العربية.بيروت.ط2(1980م).
78. حسام الألوس. الزمان في الفكر الديني والفلسفي.المؤسسةالعربية.بيروت.ط1(1980م).
79. حسام الألوسي. الزمن في الفكر الديني الفلسفي القديم مجلة: عالم الفكر، عدد يونيو .1977.
80. حسام محي الدين الألوسي. فلسفة الكندي.دار الطليعة.بيروت.ط1(1985م).
81. حسن حامد عطية خلق الإنسان بين العلم والقرآن. دار مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله . تونس .ط1 (1987).
82. حسن سيد أحمد أبو العينين. أصول الجيومورفولوجيا. دار الثقافة. ط3.د.ط.ت.
83. حسن سيد أحمد أبو العينين. كوكب الأرض. دار النهضة العربية. ط5 (1979).
84. حسن سيد أحمد أبو العينين.جغرافية البحار والمحيطات.الدار الجامعية.بيروت.د.ط.ت.
85. حسن صعب. الاسلام وتحديات العصر.دار العلم للملايين.بيروت.ط4(1979).
86. حسين افندى الجسر.الحصون الحميدية.دار المكتبة المحمودية.القاهرة.ط2.د.ت.
87. حمادة أحمد العائدي. من الذرة إلى المجرة. دار الفكر. عمان.ط1(1994).
88. حيدر بامات. إسهام المسلمين في الحضارة الإنسانية.ترجمة:ماعر عبد القادر،وعبد القادر البحراوي.دار المعرفة.د.ط.ت.
89. خالص الحلبي. الطب محراب الإيمان.مؤسسة الرسالة.ط(1981).
90. الخطيب البغداد:أبو بكر أحمد بن علي. الكفاية في علم الرواية.تحقيق:أحمد هاشم.دار الكتاب

العربي.بيروت.ط2(1986م).
91. الخياط:أبو الحسين. الانتصار والرد على بن الروانديّ الملحد.دار الفكر.د.ط.ت.
92. الدميري:كمال الدين محمد بن موسى الدميري. .حياة الحيوان. دار التحرير. القاهرة.ط(1965)
93. الذهبي. ميزان الإعتدال.تحقيق:علي محمد البجاوي.دار المعرفة.بيروت.د.ط.ت.
94. ربحي كمال. دروس في اللغة العبرية. عالم الكتب. بيروت.ط(1982م).
95. رحمة الله الهندي، إظهار الحق. تحقيق:عمر الدسوقي.دار الكتب.الجزائر.ط(1988).
96. رشيد الناضوري. المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي. دار النهضة العربية. بيروت. ط(1977م).
97. زكريا ابن محمد القزويني. عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات.مطبعة البابي الحلبي.القاهرة.ط4(1970).
98. الزمخشري.أساس البلاغة.تحقيق:عبد الرحيم محمود.دار المعرفة.بيروت.د.ط.ت.
99. سبتينو موسكاتي. الحضارات السامية القديمة. ترجمة: السيد يعقوب بكر. دار الترقي. بيروت.ط (1986م).
100. ستيفن هوكنغ. موجز في تاريخ الزمان. ترجمة: عبد الله حيدر.دار الكتاب العربي.بيروت.ط1(1990).
101. سليمان مظهر قصة الديانات.دار الوطن العربي.بيروت.ط1(1984).
102. سميح الزين. ابن رشد.دار القاموي الحديث.بيروت.د.ط.ت.
103. سهيل ديب. التوراة بين الوثنية والتوحيد. دار النفائس. بيروت.الطبعة الثانية (1985م).
104. السيد أحمد فرج.مقال في الإنسان والتوحيد.دار الوفاء.ط1(1993م).
105. السيد الجميلي . الإعجاز الكوني في القرآن، دارالشهاب. باتنة. د.ط.ت
106. السيد سابق. العقائد الإسلامية. دار الفكر العربي. ط (1978م).
107. سيد قطب. في ظلال القرآن.دار الشروق.ط24(1995م).
108. السيد وقار أحمد الحسيني. العلوم الفلكية في القرآن الكريم.ترجمة:سمية زيتوني.دار طلاس.دمشق.ط(1996).
109. السيوطي:جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر.تدريب الراوي.تحقيق:أحمد عمر هاشم.دار الكتاب العربي.ط1(1985م).
110. السيوطي:جلال الدين.الدار المنثور.دار المعرفة. بيروت. والسيوطي:جلال الدين.الدار المنثور.دار المعرفة. بيروت.
111. الشاطبي. الموافقات. تحقيق:عبد الله دراز.دار المعرفة.بيروت.ط2(1975م).
112. الشهرستاني في الملل والنحل.تحقيق:محمد سيد الكيلاني.دار المعرفة.بيروت.د.ط.ت.
113. شوقي أبو خليل الانسان. دار الفكر.دمشق. ط6(1993).
114. صادق شحاتة عمارة. سر الحياة. مطبعة لجنة البيان العربي. القاهرة. ط (1375هـ 1956م).
115. صالح موسى درادكه. الإنسان في القرآن الكريم. دار الهجرة. ط 1(1978).
116. الصاوي:أحمد الصاوي المالكي. حاشية الصاوي على تفسير الجلالين.دار الفكر.ط(1977م).
117. صموئيل هنري هووك. منعطف المخيلة البشرية بحث في الأساطير. ترجمة: صبحي جديدي. دار الحوار. اللاذقية.الط1(1983م).

118. طالب الجنابي. نظرية التطور الداروينية خرافة علمية.دار الأضواء.بيروت.ط1(1989م).

119. طنطاوي جوهري، الجواهر في تفسير القرآن.دار آفتات.قمران.ط2

120. عبد الحليم محمود. القرآن في شهر القرآن. دار رحاب. الجزائر.ط (1988م).

121. عبد الحميد سماحة .في أعماق الفضاء. دار الشروق.بيروت.د.ط.ت.

122. عبد الرحمان ابن إبراهيم المطرودي الانسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن والسنة.دار وهبة. القاهرة.ط(1990).

123. عبد الرحمان غنيم.مذكرة البحث عن آدم.دار الجيل.دمشق.ط1(1992).

124. عبد الرحمن مرحبا.من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية.المطبوعات الجامعية.الجزائر.ط3(1983).

125. عبد الرحيم بدر. المحيرات الفلكية.مؤسسة الكويت للتقدم العلمي. ط1(1984).

126. عبد العليم عبد الرحمان خضر. الإنسان في الكون بين القرآن والعلم.دار عالم المعرفة.جدة.ط1(1403هـ-1983م).

127. عبد العليم عبد الرحمان خضر. الطبيعيات والإعجاز العلمي للقرآن الكريم.الدار السعودية.جدة.ط1(1987م).

128. عبد العليم عبد الرحمان خضر. الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن.الدار السعودية.جد.ط1(1404هـ-1984م.

129. عبد العليم عبد الرحمان خضر. مفاهيم جغرافية في القصص القرآني. دار الشروق. بيروت. الطبعة الأولى (1981م).

130. عبد الفتاح رياض. التصوير بالأشعة غير المنظورة.دار الهنا.ط1(1964م).

131. عبد الكريم الخطيب. التفسير القرآني للقرآن.دار الفكر العربي.د.ط.ت.

132. عبد الكريم الخطيب. القضاء والقدر.دار الفكر.ط(1974).

133. عبد المجيد عمر النجار. مبدأ الإنسان. دار الزيتونة للنشر. المغرب. ط1(1996).

134. عبد المنعم السيد. تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم. الهيئة المصرية للكتاب. القاهرة.ط(1985م).

135. عبد المنعم بنبع. خصوبة الأراضيوالتسميد.دار المطبوعات الجديدة. ط(1973م).

136. عبدو محمدخير الأحمر. الكون والنسبية. دار طلاس دمشق.ط2(1995م) .

137. عدنان الشريف. من علوم الأرض القرآنية. دار العلم للملايين. دمشق. ط1 (1993).

138. عدنان الشريف.من علم الطب القرآني.دار العلم للملايين.ط3(1997).

139. العراقي:أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين.فتح المغيث.تحقيقصلاح محمد محمد عويضة.دار الكتب العلمية.بيروت.ط1(1993م).

140. عز الدين الخطيب، وآخرون. نظرات في الثقافة الاسلامية.دار الشهاب.الجزائر.ط(1988م).

141. عصام الدين حنفي ناصف. اليهودية بين الأسطورة والحقيقة. نشوء وتطور العقيدة الموسوية. دار المروج. بيروت. ط(1985م).

142. العقاد. أثر العرب في الحضارة الأوروبية. دار المعارف. ط2.د.ت.

143. العقاد. الإسلام والحضارات الإنسانية.المطبعة العصرية.بيروت.

144. العقاد. سن ياتس أبو الصينيين. المكتبة العصرية. بيروت.طبعة (1973م).

145. العقاد. عقائد المفكرين. المكتبة العصرية.طبعة (1979م).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

146. علي أحمد الشحات. أبو الريحان البيروني. دار المعارف المصرية. ط(1968).
147. علي الشابي. مباحث في علم الكلام والفلسفة.دار بو يلاة.تونس.ط2(1984م).
148. علي عبد الواحد وافي. الطوطمية. أشهر الديانات البدائية. دار المعارف القاهرة.طبعة (1959م).
149. عناية الله إبلاغ الأفغاني. جلال الدين الرومي بين الصوفية علماء الكلام.الدار المصرية.ط1(1987).
150. الغزالي. التفكير في خلق الله. تحقيق ماهر المنجد. دار الفكر. ط1 (1995).
151. الغزالي. الحكمة في مخلوقات الله.تحقيق: محمد رشيد القباني.دار إحياء العلوم.ط3(1986م).
152. الغزالي. المقصد الأسنى في شرح اسماء الله الحسنى. دار الكتب العلمية.بيروت.ط(1990).
153. الغزالي. تهافت الفلاسفة.تحقيق.موريس بويج.دار الشروق.بيروت.ط3(1982م).
154. الغزالي.التفكر في خلق الله.تحقيق:ماهر المنجد.دار الفكر.بيروت.ط1(1416هـ-1995م).
155. الغزالي.المنقذ من الضلال. تصحيح:محمد محمد جابر.مكتبة الجندي.مصر.د.ط.ت.
156. الغزالي:أبو حامد محمد ابن محمد. الاقتصاد في الاعتقاد.دار الكتب العلمية.ط1(1983م.
157. غوستاف لبون. حضارة الهند. ترجمة: عادل زعيتر. دار إحياء التراث العربي. بيروت. ط1(1948م).
158. فؤاد الكردي. كيمياء الأراضي وخصوبتها.دار خالد ابن الوليد.ط2(1977م).
159. فؤاد حسيني علي. التوراة الهيرغليفية.دار الكاتب العربي. القاهرة.د.ط.ت.
160. الفارابي . المدينة الفاضلة.دار موفم.الجزائر.ط(1987م).
161. الفخر الرازي. التفسير الكبير.دار إحياء التراث العربي.ط3.د.ت.
162. فرانسيس كريك.طبيعة الحياة.ترجمة:أحمد مستجير.عالم المعرفة.عدد:ماي1988.الكويت.
163. فرانكفورت.هـ.د،وفرانكفورت.هـ.ا،وجون.ا.ولسن،ونوركيند جاكوبسن. ما قبل الفلسفة.ترجمة:جبرا إبراهيم جبر.دار مكتبة الحياة.بغداد.د.ط.ت.
164. فريق من العلماء. خلق لا تطور. عربه إحسان حقي .دار النفائس.ط4 (1986).
165. فورث.هـ.د،وتورك.ل.م.أساسيات علم التربة.ترجمة :صالح محمود دميرجي،وعبد الله نجم العاني.بغداد.ط(1978م).
166. فوزي محمد حميد: الجغرافية القرآنية برهان على عظمة الخالق.دار الصفدي.دمشق.ط1(1414هـ-1993م).
167. الفيومي.المصباح المنير. مكتبة لبنان.بيروت.ط(1987م).
168. قدري حافظ طوقان. العلوم عند العرب.دار مكتبة مصر.ط(1960م).
169. القرآن الكريم برواية حفص
170. القرطبي. الجامع لأحكام القرآن.تحقيق:أحمد عبد العليم البردوني.دار الشعب .القاهرة.ط2(1372هـ).
171. الكاشاني. قرة العيون.دار الكتاب العربي.بيروت.د.ط.ت.
172. الكتاب المقدس (بالغة العربية والإنجليزية والفرنسية)
173. كمال المويل. آيات طبيعية في القرآن. دار الكتب العربية. ط1(1995م).
174. كولسون.ج.ج.عالم العصور الوسطى.ترجمة جوزيف نسيم يوسف.مؤسسة الشباب.الأسكندرية.ط(1983م).
175. لكونت دي نور. مصير الإنسان.ترجمة:خليل الجر.المطبعة البولسية.بيروت.ط(1967م).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

176. لـــويس غوديـــة،وقنواتي.فلســـفة الفكـــر الـــديني.ترجمـــة:صـــبحي الصـــالح،وفريد جـــبر.دار العلـــم للملايين.بيروت.ط1(1967م).
177. ماجد فخري. تاريخ الفلسفة الإسلامية.دار المتحدة.بيروت.ط(1974م).
178. مجدي محمد الشهاوي.قصص الطير والحيوان في الحديث والقرآن.مكتبة الإيمان.القاهرة.د.ط.ت.
179. محفوظ علي عزام . نظريات التطور عند مفكري الإسلام. دار الهداية. ط2 (1986).
180. محمد أبو زهرة. مقارنة الأديان. دار الفكر.
181. محمد أحمد ذياب عبد الحافظ. أضواء على اليهودية من خلال مصادرها. دار المنار. القاهرة. ط(1985م).
182. محمد السيد ارناؤوط. الاعجاز العلمي في القرآن الكريم. مكتبة مدبولي .ط(1989م).
183. محمد الصالح السيد. أصالة علم الكلام. دار الثقافة والنشر. القاهرة.طبعة (1983م) .
184. محمد الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير.الدار التونسية.ط(1977).
185. محمد المبارك. الاسلام والفكر العلمي.دار الفكر.بيروت.ط1(1978).
186. محمد باسل الطائي. خلق الكون من العلم والإيمان.دار النفائس.ط1(1998).
187. محمد بن أبي بكر الرازي.مختار الصحاح.رتبه محمود خاطر.مكتبة شهاب أحمد بن محمد. مراكش.د.ط.ت.
188. محمد بن أحمد الأسكندراني. كشف الأسرار النورانية القرآنية.المطبعة الحجرية.القاهرة.
189. محمد تقي الأميني الندوي.عصر الإلحاد.ترجمة:مقتدى حسن ياسين.دار الصحوة.القاهرة.ط(1984).
190. محمد جابر عبد العال الحيني. في العقائد والأديان. الهيئة المصرية العامة للتأليف. ط (1971م).
191. محمد جمال الدين القندي،ومحمد يوسف حسن. قصة السماء والأرض.دار مطابع الشعب.القاهرة. ط4.د.ت.
192. محمد جمال الدين الفندي. السماوات السبع. الهيئة المصرية العامة للكتاب.ط (1973م).
193. محمد جمال الفندي.الإسلام وقوانين الوجود.الهيئة المصرية. ط (1993)،
194. محمد حسن آل ياسين. الإنسان بين الخلق والتطور.المكتب العالمي.بيروت.ط2(1977م).
195. محمد سعيد العشماوي. تاريخ الوجودية في الفكر البشري. الدار القومية للطباعة والنشر.القاهرة.د.ط.ت.
196. محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية. دار الفكر. دمشق. ط 8 (1402هـ).
197. محمد صالح محمد السيد.أصالة علم الكلام.دار الثقافة.القاهرة.ط(1987م).
198. محمد صديق خان القنوجي.قطف الثمر.تحقيق:عاصم عبد الله القريوتي.دار الإمام مالك.البليدة.ط2(1984).
199. محمد عزة دروزة، القرآن المجيد.المكتبة العصرية.بيروت.د.ط.ت.
200. محمد عطية الأبراشي. الآداب السامية. دار الحداثة. بيروت.الطبعة الثانية (1984م).
201. محمد عقله. الإسلام حقيقته وموجباته.دار الشهاب.الجزائر.د.ط.ت. محمد عقله. الإسلام حقيقته وموجباته.دار الشهاب.الجزائر.د.ط.ت.
202. **محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي.دار النهضة العربية.مصر.ط1973م).**
203. **محمد علي الصابوني. مختصر تفسير بن كثير.دار القرآن الكريم.بيروت.ط7(1402هـ-1981م).**
204. **محمد علي يوسف.مصرع الداروينية.دار الشروق.بيروت.ط1(1983م**

205. محمد غنيمي هلال. مختارات من الشعر الفارسي. دار الطباعة والنشر. مصر.ط (1965م).
206. محمد فاتح البرقوقي، وأبو الفتوح محمد التونسي. الخوارزمي.الدار القومية للنشر.مصر.ط(1964)
207. محمد كامل عبد الصمد.الإعجاز العلمي في الإسلام.الدار المصرية.بيروت.ط1(1990).
208. محمد محمود حجازي. التفسير الواضح. مطبعة الاستقلال. القاهرة. ط6 (1969م).
209. محمد منير أدلبي.أبناء آدم من الجن والشياطين.دار الأهالي.دمشق.ط(1993م).
210. محمد مهدي الاستانبولي الإعجاز القرآن العلمي.دار الافاق. ط (1396-1976).
211. محمد يوسف حسن،وعمر حسين شريف،وعدنان باقر النقاش.أساسيات علم الجيولوجيا.دار جون وايلي.أنجلترا.ط(1987م).
212. محمد بن محمد أبو شهبة. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير. الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية. القاهرة. ط(1390هـ 1970م).
213. محمود زيدان. مناهج البحث الفلسفي.دار الأحد.بيروت.ط(1974م).
214. محي الدين بن العربي. فصوص الحكم .دار موفم .الجزائر.
215. مصطفى غالب. في سبيل موسوعة فلسفية (ابن سينا).دار مكتبة الهلال.بيروت.ط(1985م).
216. مصطفى غلوش ،"الوجود في الميزان"، مجلة:رسالة الإمام، العدد: الرابع أوت (1985)، ص:13.
217. معاد يلدرم. مستندات التوفيق بين النصوص القرآنية وبين النتائج العلمية الصحية. المؤتمر العالمي الأول. تأصيل الاعجاز العلمي في القرآن والسنة. اسلام اباد. (25-28 صفر 1408هـ).
218. المناوي:عبد الرؤف.فيض القدير.دار المعرفة.بيروت.ط2(1391هـ-1972م).
219. منصور حسب النبي. إعجاز القرآن في آفاق الزمان والمكان.دار الفكر العربي.القاهرة.ط1(1996م).
220. منصور حسب النبي.الكون والإعجاز العلمي في القرآن.دار الفكر العربي.مصر.ط3(1996م).
221. موريس بوكاس. دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة. دار المعارف. القاهرة. ط4 (1977م).
222. موريس بوكاي. التوراة والإنجيل والقرآن والعلم. ترجمة: نخبة من الدعاة. دار الكندي. بيروت. الطبعة الأولى (1978م).
223. موريس بوكاي. ما أصل الإنسان. ترجمة: مكتب التربية العربي لدول الخليج. ط12(1985م).
224. موسى الموسوي. من السهر وردى إلى الشيرازي .دار المسيرة.ط1(1979م).
225. نبيل عبد السلام هارون، كشاف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. مكتبة بن سينا.د.ط.ت.
226. نبيه عبد الرحمان.الإنسان الروح والعقل والنفس.سلسلةدعوة الحق. سنة7عدد:70.محرم1408/أغسطس 1987.رابطة العالم الإسلامي .مكة.
227. نخبة من العلماء. الموسوعة الفلسفية.ترجمة:سمير كرم.دار الطليعة.بيروت.ط6(1987م).
228. نخبة من العلماء. قاموس الكتاب المقدس.مكتبة المشعل.بيروت.ط6(1981).
229. نضال قسوم مكانة الإنسان في الكون. مجلة عالم الفكر. مج:27، عدد1 يوليو 1998 الكويت.
230. نورالدين عتر. منهج النقد في علوم الحديث .دار الفكر.بيروت.ط2(1997م).
231. النووي:أبو زكريا يحي ابن شرف.صحيح مسلم بشرح النووي.دار الفكر.د.ط.ت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

232. وحيد الدين خان.البعث.ترجمة:محسن عثمان الندي.دار الصحوة.القاهرة.ط(1984م).
233. وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى.ترجمة:ظفر الإسلام خان.دار المختار الإسلامي.القاهرة.ط7(1977م).
234. وليام جيمس. بعض مشكلات الفلسفة. ترجمة: فتحي الشنيطي. المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. القاهرة. ط(1962م).
235. وهيب إبراهيم سمعان. الثقافة والتربية في العصور القديمة. دار المعارف. مصر .ط(1969م).
236. ويل ديورنت. قصة الحضارة. ترجمة: محمد بدران. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. ط3 (1966م).
237. باروسلاف تشرني. الديانة المصرية القديمة. ترجمة: أحمد قدري. هيئة الآثار المصرية.ط(1987م).
238. يحي هويدي. دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية.دار الثقافة.القاهرة.ط(1985م).
239. يوحنا قمير، أصول الفلسفة العربية.المطبعة الكاثوليكية.بيروت.ط2(1967).
240. يوسف عبد المجيد فايد. الغلاف الجوي . دار المعارف.مصر. ط(1977م).
241. يوسف مروه. العلوم الطبيعية في القرآن.دار الهلال.بيروت.ط(1982).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المراجع الأجنبية

.242 A.Hallam. alfred wegner et l'hypothèse de la dérivé des continents. la dérivé des continents pour la science, éd : S.A.R.L,1979

.243 A.Tomiline. La cosmogonie récréative. Traduit par : I.Sokolov ed .Mir. 1978.

.244 Alebert, A.V. Ruffié. de la Biologie à la culture, Printed. France. Ed:1983.

.245 Ben Pansky. Embryologie humaine. Traduit par: Gary.F.H.éd: Marketing.1986

.246 Cambaluzier.C. introduction à géologie. Éd: des seuil. France. 1966,

.247 Charls, F.J. Milieu bibliques ; T :1 157-158. Toussant,C. Les origines de la -religions de Israël..

.248 David lambert. la terre et l'espace. Ed Gamma(1981).imp:en Italie.

.249 Denis Masson. Monothéisme Coranique et Monothéisme Biblique. Ed: 1976. Dasclée de Brower

.250 Dominique et Michèle f. Encyclopédie. Quid (1992).

.251 Encyclopaedia: Judaica. Volume:5. C-BII. Jerusalem.

.252 Encyclopédie Bordas. La philosophie et les religions. Ed 1967.

.253 Encyclopédie. La rousse. L'homme. éd: 1978.

.254 Ernst.mayr. La biologie de l'évolution. Herman.éd(1978).

.255 Gerard lucotte. Biologie animale et humain. Ed:Masson.Paris.1980.

.256 Giroud.A et Lelièvre.A. Elements d'embryologie. Paris.éd:Le francois.1969.

.257 I.Perelman. L'astronomie Récréative, 2ème Edition, Moscou.

.258 Jac.P et autres. Embryologie Humaine. éd: 1985.Maloine.S.A.Paris.

.259 Lincolt. Barnett. Ce monde ou nous vivons. Traduit par:Denis. François. Ed:1962.

.260 Louis, Frederic. Lee shinto esprit et religion du japon. éd:bordas1972-Paris

.261 Manzoor-I- Khuda, M,God and the science of creation. Islamic Thought and scientific creativity. Vol :2 (3)(1991) .

.262 Max de Ceccatty La vie de la cellule à L'homme. seul (1978) France

.263 Michèle. Cassé. La vie des étoiles. Imp: AUBIN. france. (1985). pp :11.

.264 Monique sicard. L'étonnent cycle de l'eau. éd:1987.Femand Nathan. France.

.265 Nestourkh. M. L'origine de l'homme. Ed: Mir.1983.

.266 O.Binder. La Lune, Ed : 1962- By derux d'or, Paris.

.267 Patrik Hurly, Les preuves de La dérivé des Continents, Pour La Science, S.A.R.L, éd : 1979.

.268 Payot . (Dr.G) . La magie chez les Assyriens et les Babyloniens; Ed: 1947. Paris.

.269 Richard. Dikerson. L'évolution chimique et l'origine de la vie. Pour la sciences. Ed: hérissey (1980).France.

.270 Robert, Luffont. Histoire du Développement culturel et scientifique de l'humanité (U.N.E.slo)Vol :1. Ed 1967

.271 Robert. Tocquet. La vie sur Planètes. ed: du siut. (1963).

.272 siredward Bullurd. L'origine des océans. Pour la sciences. S.A.R.L. France. éd:1979

.273 Steren Weinberg, les trois premières minutes de l'univers, ed useuil (1980).Paris.

.274 Sven.Horstduis. Experimental Embryology of Echinoderms. Éd: oxford press.1973.

الشكل (1)

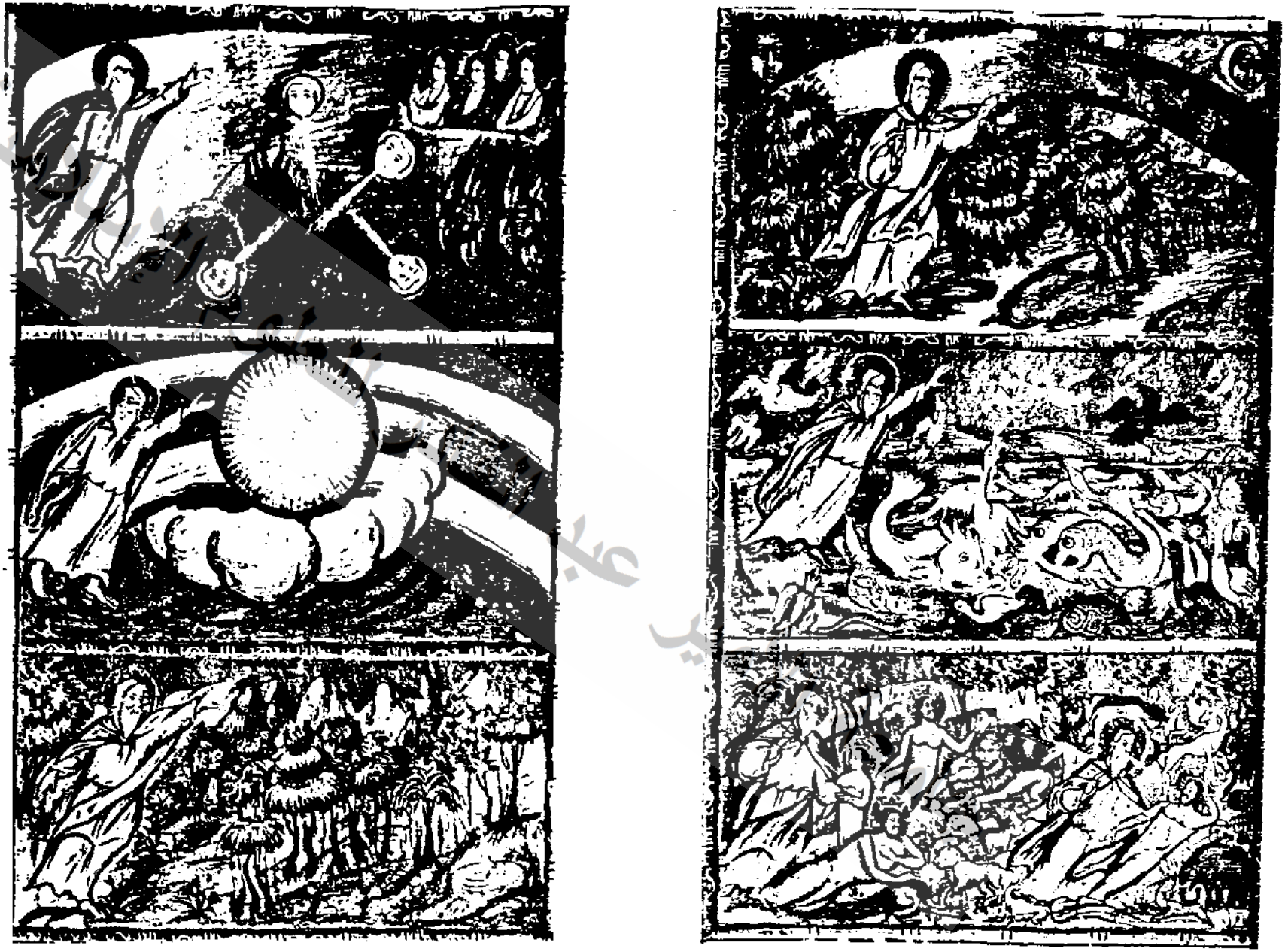

PLATE 3. The six days of the Creation, from a 17th-century Armenian Bible. Jerusalem, Armenian Patriarchate, Armenian ms. 1927, fols. 8 and 9. Photo David Harris, Jerusalem.

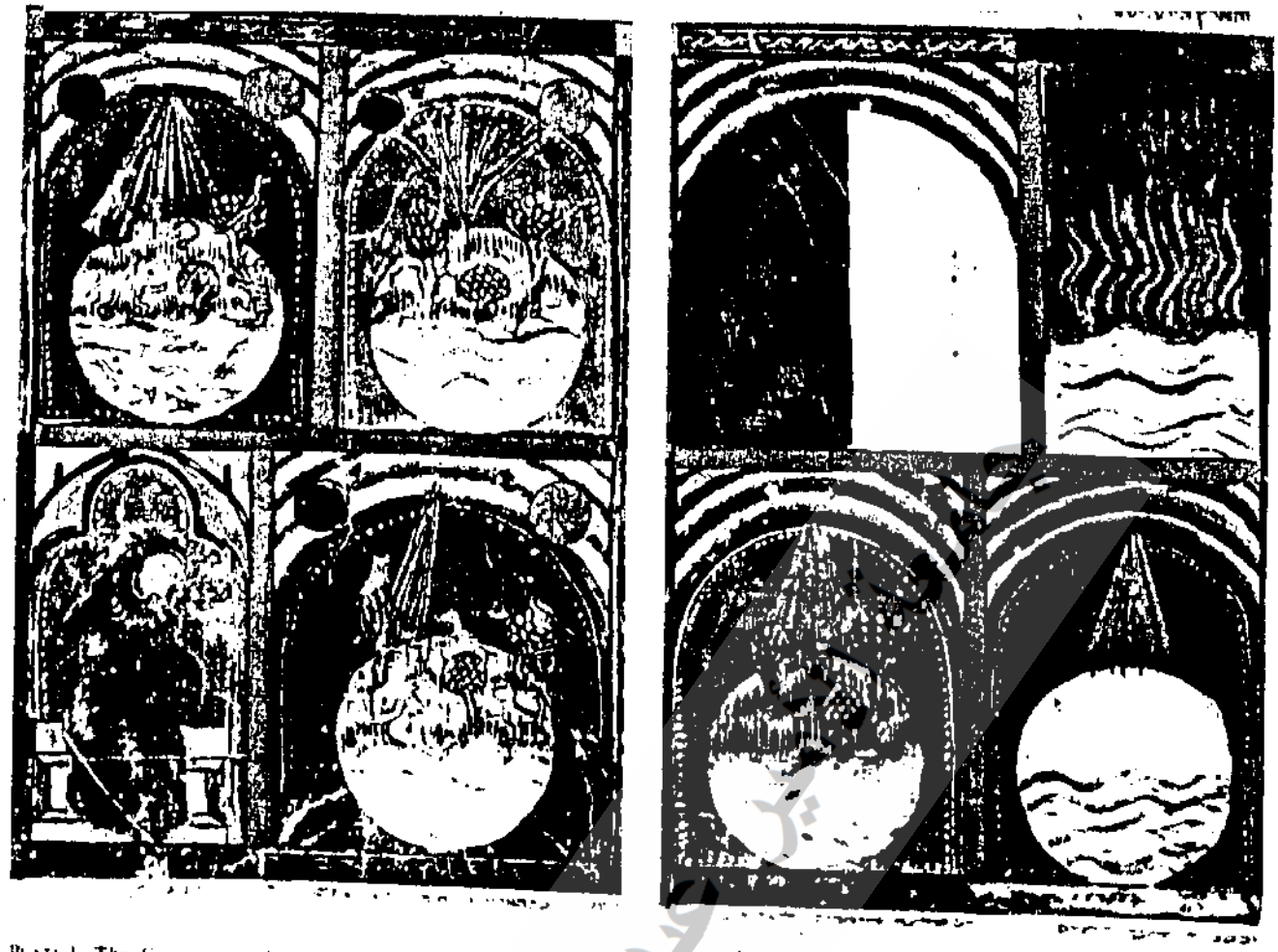

PLATE 1. The Creation as depicted in two pages from the *Sarajevo Haggadah*, Spain, c. 1400. Right-hand page: top right panel – the earth unformed and void; top left – the division of light and darkness (first day); bottom right – the division of the waters (second day); bottom left – the creation of vegetation (third day). Left-hand page: top right – the creation of the sun and the moon (fourth day); top left – the creation of living creatures (fifth day); bottom right – the creation of man (sixth day); bottom left – the Sabbath, illustrated by a man resting. Throughout, the power of God is represented by rays of light. Sarajevo, National Museum, fols. 1 and 2.

Creation

PLATE 2. "God creating the earth," from a 16th-century Greek illuminated manuscript, *The Sacred History of the Old Testament*. Sinai, St. Catherine's Monastery Library, ms. 1187, fol. 1v. Photo Richard Cleave, Jerusalem.

الشكل (2)

Creation

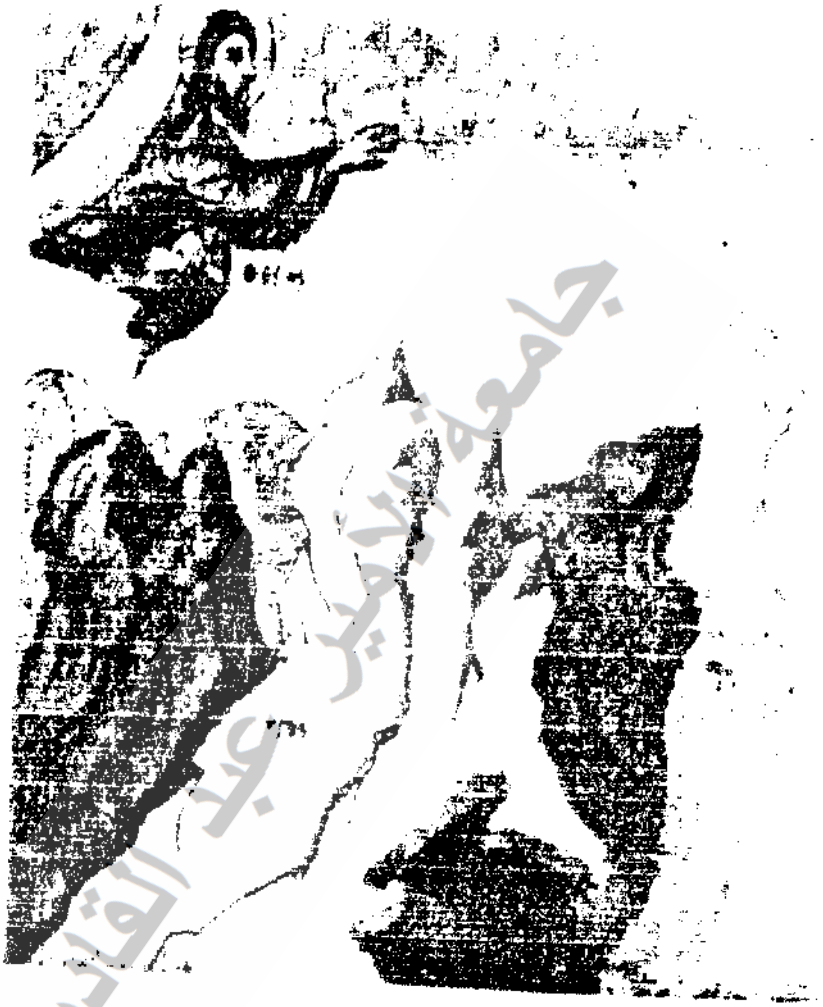

الشكل(3)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية